سلسلة تفسير

الكتاب المقدس يتحدث اليوم



سفر أيوب

العهد القديم

BST

إهـــــداء2005

الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد
القاهرة

سلسلة
تفسير

الكتاب المقدس يتحدث اليوم

سفر أيوب

العهد القديم

تأليف
ديفيد أتكنسون

ترجمة
د. عزت ذكى	القس: نشأت رفعت

مراجعة
القس: فاروق الديرى

المحرر المسئول: ملاك نصر



BST

The Bible Speaks Today
The Message of Job
By: David Atkinson.

This Translation of **The Message of Job** first published in 1991 is published by arrangement with **Inter-Varsity Press,** Leicester, United Kingdom.

الطبعة الأولى

الكتاب: .... **سفر أيوب**

الناشر: .... دار النشر الأسقفية.

ص. ب: ٧قصور الشوام - القاهرة

المؤلف: .... ديفيد أتكنسون

المترجم .... د. عزت زكي - ق. نشأت رفعت

الجمع التصويري والتصميم الداخلي: دار النشر الأسقفية

تصميم الغلاف: .... هوزانا ستوديوز

رقم الإيداع: ٣١١٦/٩٩

الترقيم الدولي: .... 977 - 5884 - 14 - 4

المطبعة: .... كونكورد - ت: ٢٠٥٧٩٠٢

تقديم .. وإهداء

إنه ليسعدني كثيراً أن أهدي هذه السلسلة الرائعة: "الكتاب المقدس يتحدث اليوم"، لجميع القرَّاء بالعربية: منهم القارئ العادي ومنهم المتخصص أو الباحث أو اللاهوتي، حيث أشرف عليها وكتب فيها مشاهير الوعَّاظ واللاهوتيين في عصرنا الحاضر، وهم: جون ستوت John R. W. Stott، وموتييّه J. A. Motyer، وغيرهما من الذين قدموا لنا هذه السلسلة؛ حتى يستمتع بها القارئ وهو يصغي لما يقوله الروح القدس، من خلال العهدين القديم والجديد، في شرح ينساب بسهولة وجاذبية.

وهي لذلك، لا تُعتبر مجرد سلسلة في كتب التفاسير، بل هي وسيلة فعَّالة للبناء الروحي لكل إنسان.

وإنني انتهز الفرصة لأقدِّمها في وقتنا الحاضر، وقت الاستعداد للمجيء الثاني للسيد المسيح، ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين، حيث بزوغ فجر الألفية الثالثة. مع تقديرنا العميق للكثير والعديد من المساعدين والمساهمين معنا بمحبة في هذه السلسلة، في جميع مراحل إعدادها شكلاً ومضموناً؛ حتى تخرج السلسلة بالمستوى الذي يمجِّد الله القدوس. أصلّي أن يستخدمها الله، لبناء كنيسته، ولمجده في حياة كل من يقرأها.

المُحب،

المطران الرئيس / غايس عبد الملك

رئيس الكنيسة الأسقفية بالقدس والشرق الأوسط

هذه السلسلة

إن سلسلة: "الكتاب المقدس يتحدث اليوم" The Bible Speaks Today، تجمع شرحاً لكل من العهد القديم والعهد الجديد، في محاولة صادقة منها لأن تتميز بثلاث ميزات:

- شرح دقيق لنصوص الكتاب المقدس.
- ربط لهذه النصوص بالحياة المعاصرة التي نحياها اليوم.
- سهولة ووضوح في العرض والتحليل.

وبالتالي، فهذه السلسلة، **ليست مجرد "سلسلة تفاسير"، بالمعنى المألوف**، حتى لا تقتصر على مجرد الشرح دون التطبيق العملي له؛ فتصير مرجعاً دراسياً بحتاً على حساب الجانب الأدبي الجمالي.. كما أن هذه السلسلة، وعلى الجانب الآخر، **ليست مجرد نوع من "العظات"** في قضايا الحياة المعاصرة، دون أساس كتابي عميق..

لذلك.. فقد اتحد جميع المساهمين في هذه السلسلة على هذه المبادئ، واتفقوا **على أن الله مازال "يتحدث" من خلال ما نطق به سابقاً**، حيث لا يوجد شيء أهم للحياة السليمة النامية في المسيحية، من الإصغاء إلى ما يقوله لنا الروح القدس، من خلال كلماته الخالدة المعاصرة دائماً.

محررا السلسلة،

جون ستوت
John. R. W. Stott

ج. أ. موتييه
J. A. Motyer

المحتويات

مقدمة المؤلف

لقد ظهرت هذه الآراء التفسيرية عن سفر أيوب إلى الوجود، كسلسلة من القراءات الكتابية، خلال فترات العبادة الصباحية في قاعة ويكليف بأكسفورد.

إن "سفر أيوب" يواجهنا بتساؤلات ضخمة، تتضمن مشكلته الشخصية، والرعوية. **فحقيقة المعاناة في هذا الوجود، تمسنا جميعاً في مستويات متباينة.** فقد تضغط علينا بصورة أقوى في الآلام الجسدية، أو العاطفية، والتي يجب أن نتحملها. وقد تكون معاناتنا في ارتباطنا بمن يجتازون الآلام، وشعورنا بالعجز أمام آلامهم. وقد تكون معاناتنا فيما يجول بأفكارنا من تساؤلات حادة: **لماذا الألم؟! وهل هناك أي معنى لآلام لا يستحقها الإنسان؟!**

بل قد يمسنا الألم، أيضاً، في شعورنا بالعلاقة مع الله: **فأين الله، حينما نكون كالذبيحة في يد الآخرين ؟! وما مدى ثقتي بالله، في ضوء ما يحدث لجاري؛ فابنه الصغير يتعذب بآلام السرطان الرهيبة؟! وهل يمكن أن نستمر في الحديث عن محبة الله وعطفه وعنايته، في الوقت الذي تشير فيه كل الأحداث حولنا بأنه قد تركنا بمفردنا؟!**

وهنا، يأتي "سفر أيوب" ليتناول كل هذه التساؤلات، حيث نلتقي بإنسان قد جاز في المعاناة الرهيبة؛ الجسدية والنفسية. وحيث نلتقي أيضاً بمجموعة من أصدقائه، قد حاولوا تقديم أفضل تعزياتهم، لكنهم زادوا الأمر سوءاً! فنجد أنفسنا وجهاً لوجه مع التساؤلات التي يوجبها العقل، الأمر الذي يجعلنا نجد "أيوب" في صراع مرير مع إيمانه بالله ..

ولكننا نسمع في نهاية الأمر، كلمة النعمة الإلهية؛ فتُستعلن وتُبَرِّر عدالة ومقدرة وحكمة الله.. وتنتهي رحلة ألام أيوب بالبركة. وهكذا، نجد أنه قبل أن يصل الإنسان إلى غايته ومعناه، عليه الاجتياز أولا بمراحل عديدة من الشدة.

ويمتلك "سفر أيوب" القدرة على الوصول إلى الواقع الإنساني، والتفاعل مع احتياجاتنا الشخصية، فهو يُظهر الواقع الإنساني بتفاصيله الدقيقة. ولكنه ليس من الأسفار التي ترتاح لقر ائتها؛ بسبب واقعيته ورفضه للواقع الظاهري الذي يوحي بأن كل شئ على ما يرام، بينما على العكس من ذلك؛ فن سفر أيوب يقدم نوعية من التعزية القوية التي تنبع من إدراكنا بأن إنساناً آخر- مثلنا- قد اجتاز أيضاً هذه دروب الألم.

ويثير سفر أيوب تساؤلات تتعلق بالخدمة والرعاية: **فما الذي يجب أن أفعله لكي أساعِد المتألمين؟! وما هي الاهتمامات المناسبة التي يجب أن أبديها في مواقف مثل هذه؟!**

وسوف نتطلع إلى سفر أيوب، واضعين أمامنا وجهة النظر المسيحية التي تشمل صليب المسيح،القبر الفارغ، واهتماماتنا الرعوية. وما الذي تتطلبه الخدمة المسيحية، حينما نُجابه بأسئلة نظير هذه.

إن هذا الكتاب الذي بين يديك، ليس مجرد تفسير، بقدر ما هو رحلة لإعادة كشف الحقائق. وإنني آمل أن يصبح ذا منفعة، وبخاصة للمنخرطين في العمل الرعوي؛ حتى يساعدنا لأن نأتي باحتياجاتنا الرعوية وتساؤلاتنا إلى نور حكمة الله، التي تتألق- حتى من خلال الأحداث المأساوية التي في هذا السفر.

وقد أقمت تفسيري هذا، مستخدما ترجمة (NIV)،

وكم استفدت خلال عملي مديراً للمعهد المسيحي للمشورة بأكسفورد،من التعاون والتكامل بين الاهتمامات الرعوية للكنائس المحلية في دائرة أكسفورد- بتقديم خدمة المشورة والتعضيد والتدريب، حيث ابتغي الذين اجتازوا محنة أيوب، المعونة من العاملين في هيئة(OCIC)للرعاية المسيحية ؛ فوجدوا التعزية والمساندة من هذه الهيئة.وتكريماً لهذه الهيئة التي تسعى إلى نقدم خدمة مشورة بشكل مسيحي، أهدي هذا الكتاب.

ديفيد أتكنسون

ترتيب الأحداث لسفر أيوب

(ترتيب الأحداث لهذا السفر، ليس بالضرورة حسب الترتيب العادي للأصحاحات، بل حسب الترتيب الذي وضعه المفسر)

الباب الأول

أيوب البار.. والمراهنة في السماء

[أصحاح ١ - أصحاح ٣]

هل من مُجاوب؟

حملت لوحة الإعلانات في إحدى الكنائس عبارة تقول: المسيح هو الحل. وقد سطر أحدهم بجوارها هذه العبارة : نعم.. ولكن ما هو السؤال الذي يحتاج إلى هذا الجواب؟.بل، ماذا لو كان التطلع دائمًا إلى حلول، يعتبر غير مناسب في كل الأحوال؟!

يهتم الكثيرون من عالمنا المعاصر بالبحث عن حلول، فعقليتنا العلمية تنظر إلى العالم، كأنما هو شيء نستطيع أن نستوعبه، ونسيطر عليه. كما أننا نميل لرؤية الحياة من حيث: التساؤلات التي تحتاج لإجابات، والمشكلات التي تحتاج لحلول، والعلاقة بين المسببات والنتائج.

وقد قدم الأسقف "ليسلي نيوبجن" Newbigine في كتابه الموجز الرائع بعنوان الجانب الآخر لعام١٩٨٤ سمات هذا العالم المعاصر فقال: إننا كورثة وممثلين لاستنارة الرؤية العالمية العلمية الحديثة، فإن إجراءاتنا العادية في أن نُبوب سلسلة من المشكلات، ونشخّص مسبباتها، ونقترح حلولاً مبنية على التحليلات العلمية للموقف، إنما نفعل كل هذا،بناءً على افتراضنا، بأنه يوجد أساساً(حل) يُحدد بالبحث المناسب ويُنفذ بطريقة ملائمة. (١)

ويستمر الأسقف "ليسلي" مفنداً هذه النظرة السائدة، فيقول: "لقد أصبحنا اليوم متشككين في هذا المنهاج. فنحن نرى "مشاكل" في حياة البشر "لا حلّ" لها. مما يجعلنا نطرح السؤال التالي: ألا نحتاج إلى أساليب جديدة لفهم حالتنا البشرية(٢)؟!"

والحقيقة هي أنه يجب ألا نُجيب السؤال دائماً، لأنه من المهم أحياناً أن نسقط ونفشل. وذلك كان تعليقي في سنة ١٩٨٣، على اقتراح وزير التعليم. آنذاك. "كيث جوزيف" بمنح شهادة حُسن السلوك" لكل الذين تركوا المدرسة دون إتمام الدراسة. ولقد تعجب الأسقف "جون. ف. تايلور" فيما إذا كان الغرض من هذه الشهادة هو إقرار يُبيّن أن "هؤلاء التلاميذ عرفوا الفشل"، ثم أضاف:

---

(١) L.Newbigin, *The Other Side of 1948* (World Council Church, 1983), PP18-19.

(٢) المرجع السابق.

إن ذلك الأمر من النادر أن يحدث، ويحتاج إلى سند قوي. فمنذ ثلاث سنوات تحدثت إلى ابنة أحد الأصدقاء في دائرتنا، وهي فتاة نابغة؛ نالت منحة دراسية مجانية للدراسة في الجامعة قائلاً: في يوم مثل هذا اليوم، سوف تُجربين الفشل، ولست أدري كيف ستجابهين ذلك اليوم[1] (!)

قد يسمح الله - أو قد نتجرأ نحن - بأن نجتاز في وادي ظل الموت؛ لأنه قد لا يوجد طريق آخر (به) نكتشف قدرة الله على تعزية قلوبنا بعصاه وعكازه.

أو ربما بسبب عنايته الغامضة. في كل محبته ونعمته. قد يدعونا لنكون خدّامه، من خلال ضعفاتنا وآلامنا؛ لهدف في السماء أعظم من الذي نبصره على الأرض.

ويبدو أن هذا جزءاً من هدف سفر أيوب؛ فهناك. كما سنرى. العديد من المشكلات والاستفسارات. ولكن هناك ثمناً قليلاً سوف يُحسب، في سبيل نوال الحل، كما اعتدنا فهم هذا التعبير. فنحن نقف وجهاً لوجه مع إنسان، صالح وتقي، في محنة، يتألم بقسوة، بلا انقطاع. يجذبنا إلى محنته، ومأساته، وإلى كل الظلم الذي تعرض له؛ فيشملنا جميعاً في الْتماسه لله، حتى يخبره عما يحدث على الأرض أو في الجحيم. كما أن هذا الإنسان يغمرنا بإحساسه بأن عائلته، وأصدقاءه، وحتى الله قد تركه. فلا نملك أن نقول له شيء يعزيه في ورطته، أو نفعل شيئاً يجعل الأمور أفضل.

الرحيلُ إلى الحافة

يأتي بنا سفر أيوب إلى الحافة، ويواجهنا بالفشل والألم الذي لا تفسير لهما. فيُبيِّن: قصور خدمتنا؛ وعدم ملائمة بعض عظاتنا مع ما يجتاز فيه الناس من تجارب؛ حيث الله الذي قد يبدو للبعض صامتاً، قاسياً، ظالماً، بعيداً. فُندفع لأن نعيد التفكير في مذاهبنا، ولاهوتنا، ومعنى العناية الرعوية في مواجهة الظلم والألم، وما يمكن أن نقوله عن الله. ومع نهاية الرحلة، يأتي بنا السفر إلى كفاية النعمة الإلهية، ويقف كحُجَّة بين أسفار الحكمة في الكتاب المقدس، لنرى الأمور من النظرة الإلهية - لا الإنسانية. فعلينا - إذاً - أن نقطع طريقا طويلاً شاقاً، قبل أن نسمع صوت الله - كما فعل عند نهاية السفر من العاصفة.

---

[1] Bishop John V. Taylor, *in the Hockerkill Foundation Lecture*, 1983.

معاناة البريء!

إن المسألة الرئيسية في هذا السر الغامض المتعلق بتألم البريء، إنما هي مسألة يتعرض لها جميع من لديهم إدراك لهذا العالم الذي يعيشون فيه، أو الذين ليست رؤوسهم مدفونة في الرمل، فتثور داخلهم تساؤلات مؤرقة. مثل: لماذا يسمح الله بهذا؟! أين الله من كل هذا؟! وهل يمكن أن نؤمن به، بعد كل مفارقة: حينما يتعرض حياة الأطفال الأبرياء للإيذاء. وحينما نجابه بعاصفة تصدم بيتا، فينهار على كل من فيه ... أو نعاني زلزالا مدمرا يؤدي بحياة الألوف ... أو مفرقعات فجرها الإرهابيون، فمزقت مئات الأبرياء. وقد نرى في بعض من هذه الأحداث أيدي رجال ونساء أشرارا وقد نلومهم للألم الذي سببوه لإنسان بريء. وفي المقابل، نرى أيضا أن يد الله تقف خلف هذه الأحداث، فهل نلومه حينئذ؟! فلماذا يبدو الله متقلبا في عنايته؟! ولماذا يمد يد الشفاء لأحد المرضى، بينما لا يبدي اكتراثا للآلاف الذين يموتون في انفجار قنبلة من الغاز السام؟!

هذه هي الأسئلة التي دارت في أذهاننا. لكن سفر أيوب لا يقدم أجوبة سهلة شافية، ولكنه يفتح أمامنا طريقا للجهاد، لكي نكون نساء ورجالا في الإيمان. ويبين لنا أيضا كيف يمكن للإنسان، بنعمة الله، في نهاية الرحلة، أن يعيش بتساؤلاته.

وفيما ندرس هذه الأصحاحات، سوف ينمو في داخلنا إحساسا عميقا نحو الحالة الإنسانية. حيث نحتاج أن نستعد لمواجهة -كما حدث لأصدقاء أيوب- رهبة بعض الآلام الإنسانية. ونحتاج أيضا أن نترك حججنا تسقط جانبا؛ الأمر الذي كان صعب على أصدقائه، ونسمح لأنفسنا أن نستمع إلى أيوب وهو يسائل الله، يائسا من الأسلوب الذي يدير الله العالم به.

ليعيننا الرب لأن نتمسك بأسلوبه (هو)، وليس بتفسيرنا البشري؛ الأمر الذي فشل فيه أصحاب أيوب، فلم يقدروا أن يتلاءموا مع الآلام الإنسانية التي جسدها أيوب. حيث أصروا على اكتشاف المسببات، والحلول، فلم يشعروا بالارتياح وهم يواجهون ما يتعارض مع منطقهم اللاهوتي، فكان يجب عليهم أن يعلنوا الحق. وقد أصروا على أن ((الألم)) هو مشكلة يجب أن تحل، بدلا من التعامل معه على أنه "سر" من أسرار الإيمان، فكان من نصيبهم عند نهاية الرحلة، أن ينالوا كلمة قاطعة من فم الرب لأجل ذلك (انظر ٤٢: ٧). والسفر يرجو منا أن نسلك مع أيوب عمق صراعاته، حيثما يأخذنا، لأن عندها فقط ندرك دلالة صوت الله الرءوف، عند نهاية القصة.

طبيعة السفر

لنترك الآن كل ما سبق، ولنبدأ من جديد:

يقع "سفر أيوب" في ثلاثة أقسام واضحة. فهو يبدأ بالأصحاحين الأول والثاني، بتمهيد نثري، فيه نجد مسرح الأحداث، الذي تتضح فيه صورة التعاملات التي على الأرض وفي السماء، حيث يسيران جنبا إلى جنب. وبنفس الكيفية، يختتم السفر أيضا، بخاتمة نثرية (٤٢: ٧-١٤)، والتي تخدم غرضا خاصا عند نهاية القصة. ومن ثم، تأتي بالسفر إلى نهايته. وبين المقدمة والخاتمة يقع قلب السفر (الأصحاحات ٣: ١-٤٢: ٦)، والذي يعتبر مقطوعة شعرية طويلة، فيه يحاول أيوب وأصدقاؤه بحث الموقف، ليخلصوا إلى نتيجة موحدة، وفي النهاية يستمع أيوب إلى صوت الله.

يعتقد بعض المفسرين أن القصة الحقيقية تبدأ من الأصحاح الثالث، وأن الأصحاح الأول والثاني إضافات لاحقة. ومع ذلك، فإننا نعتقد بأن هذين الأصحاحين لازمان كل اللزوم للسفر؛ لأنهما يتضمنان الإطار الذي يلزم لمعرفة الموضوعات التي تأتي بعد ذلك حتى نهاية القصة.

ولسنا نعرف من الذي كتب "سفر أيوب"، ولا أي شيء عن الكاتب، سوى الذي نحصل عليه من نص السفر نفسه، ولا نعرف أين كتب، ولو أنه من المحتمل أن القصة كانت متداولة من قبل في صورة فلكلورية، سطرت بعد ذلك في ملحمة شعرية رائعة.

وهناك تقليد معروف عن أيوب، في الإشارة إليه في نبوات (حز١٤: ١٤)، لكن من الواضح أن كاتب السفر هو نفسه راوي القصة الرئيسية، ولأن الأصحاحين الأول والثاني لازمان لزوما جوهريا لكيان القصة، فإننا نبدأ بهما، لنرى قصة "المراهن أيوب" في المجلس السماوي.



١. وراء الكواليس ... في المجلس السماوي

(١:١، ٢:٨)

"كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب. وكان هذا الرجل كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر. وولد له سبعة بنين وثلاث بنات. وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وخمس مئة فدان بقر وخمس مئة أتان وخدمه كثيرين جدا. فكان هذا الرجل أعظم كل بني المشرق. وكان بنوه يذهبون ويعملون وليمة في بيت كل واحد منهم في يومه ويرسلون ويستدعون أخواتهم الثلاث ليأكلن ويشربن معهم. وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرسل فقدسهم، وبكر في الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم لأن أيوب قال ربما أخطأ بني وجدفوا على الله في قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام. وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضا في وسطهم.

فقال الرب للشيطان من أين جئت. فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها. فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجانا يتقي أيوب الله أليس أنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه في الأرض.

ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ما له فإنه في وجهك يجدف عليك.

فقال الرب للشيطان هوذا كل ما له في يدك وإنما إليه لا تمد يدك. ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب. وكان ذات يوم وأبناؤه وبناته يأكلون ويشربون خمرا في بيت أخيهم الأكبر، أن رسولا جاء إلى أيوب وقال البقر كانت تحرث، والأتن ترعى بجانبها فسقط عليها السبئيون وأخذوها

وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت أنا وحدي لأخبرك.

وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال نار الله سقطت من السماء فأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم، ونجوت أنا وحدي لأخبرك.

وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال الكلدانيون عينوا ثلاث فرق، فهجموا على الجمال وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت أنا وحدي لأخبرك. وبينما هو يتكلم إذ جاء آخر وقال بنوك وبناتك كانوا يأكلون ويشربون خمرا في بيت أخيهم الأكبر وإذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الأربع فسقط على الغلمان فماتوا ونجوت أنا وحدي لأخبرك. فقام أيوب ومزق جبته وجز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد وقال

عريانا خرجت من بطن أمي

وعريانا أعود إلى هناك.

الرب أعطى والرب أخذ

فليكن اسم الرب مباركا.

في كل هذا لم يخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة. وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا في وسطهم ليمثل أمام الرب. فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها. فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. وإلى الآن هو متمسك بكماله وقد هيجتني عليه لأبتلعه بلا سبب. فأجاب الشيطان الرب وقال جلد بجلد وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه. ولكن ابسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فإنه في وجهك يجدف عليك. فقال الرب للشيطان ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه. فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته. فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد."

إن الشيء الأول والأكثر أهمية الذي يجب أن نلاحظه عن الأصحاح الأول والثاني، هو الصورة الأدبية التي يستخدمها الكاتب في إخبارنا بما يحدث: حيث أن هناك قصتين ترتبطان الواحدة بالأخرى، فبينما تحدث الواحدة في السماء، تتم فصول الثانية على الأرض.

أ. الرجل الذي من أرض عوص

نبدأ الآن بما يتم على الأرض (١:١-٥). في أرض عوص (أينما كانت هذه الأرض)، ونحن نعلم أن أيوب. الشخصية المركزية في القصة. كان إنسانا ثريا، له سبعة أبناء وثلاث بنات ... العدد الذي يرمز إلى الكمال.

لقد كان في منتصف العمر، على رأس أسرة مزدهرة، وكان يتمتع بالصحة لإنجاب أولاد أكثر، فنعلم من خاتمة السفر أنه أنجب بنين وبنات (٤٢: ١٣) كان كاملا ومستقيما (١:١). نعم، لم يكن له ما يدينه أمام الله أو الناس، ذو أخلاق وتقوى يتقي الله ويحيد عن الشر (١: ٨،١: ٢: ٣)، وكان معروفا في البلاد المجاورة، بأنه إنسان ذو هيئة محترمة. ويخبرنا السفر (١: ٣) بأن أيوب كان أعظم كل بني المشرق.

ب. الازدهار المادي

يجب أن نعلم، أن الثراء المادي كان دليلا على بركة الله ورضاه في المجتمع العبراني. ويبين (تث ٢٨) هذا الأمر بكل وضوح، في مقارنة بين البركة التي تحل على الإنسان الذي يطيع الرب، وبين اللعنة التي تصيب غير الطائعين. وفي واقع الأمر، يذخر الكتاب المقدس بالشواهد التي تساند هذا المفهوم، والتي تساند رأي المرنم في المزمور الأول:

"الذي لم يسلك في مشورة الأشرار.

لأن الرب يعلم طريق الأبرار

أما طريق الأشرار فتهلك" (مز ١: ١،٦)

إن الله هو الخالق الصالح الذي يهتم بكل خلائقه، ويجب على شعب الله أن يضعوا ثقتهم فيه، من أجل خيرهم، وأن يستأمنوه على حياتهم. هذه هي أخلاقيات البشر، حيث تكافأ الفضيلة،

وتعاقب الرذيلة. ويصور لنا الكتاب المقدس شخص الله، مرارا وتكرارا، بأنه الإله الصالح الذي يكافئ أولئك الذين يطلبونه (عب ١١: ٦)، ويسيرون معه بالطاعة الكاملة. وقد يكون الازدهار المادي في بعض الأحيان، جزءا من الطريقة التي يظهر الله بركته بها.

ولا يعتبر المعنى السابق هو المفهوم الوحيد عن الإيمان، فبجانب مفهوم الإيمان في المزمور الأول، نحتاج أن نتذكر أيضا - على سبيل المثال - مفهوم الإيمان في (مز ٤٢)، الذي نرى فيه صاحب المزمور وهو مكتئب في بلوته، وكذلك (مز ٧٣) الذي فيه يصاب المرنم بصدمة عنيفة من جراء نجاح الأشرار في طريقهم، في مقابل البلايا التي تصيب الصديقين. **فالحياة مع الله لا تعني دائما الرخاء والازدهار المادي**، ومع كوننا نؤمن بأن الله يعلم ما هو لخيرنا، إلا أن هذا الخير ليس واضحا بالقدر الكافي لعيوننا. فهناك جانب غامض في العلاقة مع الله، وأحيانا قد يسر الله بأن يجيزنا في الجانب القاتم. وهناك كثير من الوجوه في معاملات الله معنا، قد تبدو لنا أنها لا تعمل لخيرنا على الإطلاق. نعم، هناك صراع في الإيمان، كما أن هناك أيضا اطمئنان وثقة في معونة الله! وهذا هو الجانب الغامض الذي يصوره لنا سفر أيوب.

ج. رجل كامل!

لقد كان أيوب إنسانا بارا وصالحا، ويمكن لكل إنسان أن يرى ذلك. وهذا ما يحرص كاتب السفر على أن يصوره لنا من البداية. فهو إنسان أكثر من عطوف، تقي، صالح بشكل لا يمكن تخيله، وهذا، يبرز حدة الفرق بين حاله الآن وبين المصائب التي على وشك أن تحل به.

وقد امتدت دائرة تقوى أيوب وأمانته، فقدم ذبائح تكفيرية ككاهن العائلة بالنيابة عن أبنائه وبناته (١: ٥)، حيث أراد أن تكون أسرته مطهرة من الخطية، فقال: ربما أخطأ بني وجدفوا على الله في قلوبهم (١: ٥). فأيوب كان يعلم أن التجديف على الله هو خطية، وأراد أن تبقى عائلته طاهرة ؛ لذلك كان يقوم "باكرا" - وهو تعبير عبراني عن ضمير حي - ويقدم ذبائح محرقة. وكانت هذه عادته على الدوام(١: ٥).

د. في المجلس السماوي [1]

ثم يتغير المشهد في العدد السادس، ونتذكر فجأة بأن هناك أشياء في السماء وعلى الأرض أكثر مما حلمت به الفلسفات. نتذكر ذلك، ونحن نتعلم من سفر التكوين (الأصحاح الأول) أن الرب هو خالق السماوات والأرض. والسماء بطبيعة الحال تمثل هذا الجزء من نظام الله المخلوق، حيث حضور الله ومجلسه [2].

ولا يستخدم سفر أيوب كلمة السماء في الأصحاح الأول، ولكنه يستخدم وجه الرب (١: ١٢)، فالتعبيران يؤديان ذات المعنى بالنسبة لحضور الرب. فهناك مكان آخر أو مملكة أخرى، حيث يعقد الرب مجلسه السماوي، وحيث تتم مناقشة الأعمال التي تؤثر على ساكني الأرض. ويبدو أن أيوب لم يدرك تلك الحقيقة! وفي الواقع فإنه من المهم للقصة أن يكون أيوب غير مدركا بالكامل لكل أبعاد هذا المأزق. وأن كل ما عرفه أيوب، هو نتائج الألم، أما نحن قراء القصة فقد أعطينا لمحة عن المملكة السماوية، الأمر الذي كان يجهله أيوب.

٥. الشيطان.. المقاوم

لقد كان أعضاء المجلس هناك، وكان أيضا المقاوم، الذي بدت كل مهمته في المعارضة؛ فالشيطان - الملاك الذي يمثل الإدعاء - يشبه "رجل البوليس السري" [3]. ويجب أن نحذر من فهم التصوير الذي يقدمه السفر عن المقاوم، من خلال الفكر الذي يقدمه العهد الجديد عن الشيطان؟؟. وقد صورت هيئة المخلوقات الشيطانية تدريجيا، وبشكل واضح، وبتعبيرات أكثر دلالة على الشر، حتى وقت الأناجيل، فالشيطان Satan اسم أعطي "الإبليس". ولكنه هنا المقاوم، الذي يتمشى في الأرض، ويجول فيها؛ ليجرب شعب الله. محاولا، كما يبدو، أن يجد فيما بينهم دلائل عدم الإخلاص. وليس ذلك فقط، بل يبدو أنه كان مسرورا بمهمته هذه. والصورة المعطاة هنا، هي صورة كائن مكلف بهدم الأبرار والصالحين.

---

(١) يشير "المجلس السماوي" إلى سلطان الله وسيادة ملكه المطلقة (التحرير).

(٢) إن تحديد مكان معين لحضور الله، حتى وإن كان السماء، هو موضوع دراسات واتجاهات مختلفة (التحرير).

(٣) Jones, P.27

وهكذا، جاء الشيطان إلى المجلس، حيث يسأله الله عما يفعله. ثم يَبْدَأ الله في الدراما التي يتضمنها السفر بجذب الانتباه إلى شخصية أيوب: هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ (١: ٨) (لاحظ أن معنى الإشارة إلى "أيوب" بصفته عبد الله، سوف تتضح أكثر فأكثر حينما نتقدم في فصول القصة).

و. سخرية الشيطان

لكن الشيطان الذي شغله الشاغل هو تصيّد الأخطاء، نراه هنا يتبع فلسفة مدمرة، فيجيب الله: هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟، وكأنه يقول له: ألا تعتقد أنه يفعل كل هذا (بدون) التطلع إلى مكافأة؟! إن تقواه على أية حال، تقوى زائفة - أليس لأنك سَيَّجْتَ حوله، وأمددته بالغنى والثروة والعائلة؟! (١: ١٠)! ففي عالم الألم الحقيقي، عالم الضياع، عالم الصراع، لا يكون الإنسان صالحاً، لذا، خذ ثروة أيوب، فيفشل ويجدف في وجهك، فالصلاح لا يمكن أن يحيا في عالم الألم الإنساني!!

كانت هذه سخرية الشيطان، وصار السؤال "هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟" (١: ٩) واحداً من الموضوعات الرئيسية في باقي السفر، أو بعبارة أخرى: هل هناك مثل هذا الصلاح الذي بلا مقابل؟! هل أيوب صالح، فقط، لأجل ما يجنيه من ثمار صلاحه؟! والسؤال الذي يلح علينا نحن: هل الناس متدينون فقط لأجل ما يجنونه من تدينهم؟! وهل إيمانك بالله يعتمد على مقدار ما تظن أن الله سوف يكافئك عنه؟!

يميز بعض علماء النفس الديني، بين ما يسمونه التدين السطحي أو ما يسمونه التدين الجوهري، وتدين الإنسان يعتبر سطحياً إذا اتخذه لغرض آخر، ولربما كان التدين بمثابة المظهر الاجتماعي، أو مجموعة من الطقوس التي تخفف من حدة الشعور بالذنب. ويقصد علماء النفس بالتدين الجوهري بأن الإنسان لا يبغي شيئاً آخر من التدين سوى حياة الإيمان. ويبدو الفرق في أن البعض يؤمنون بالله لأغراض أخرى، بينما بالنسبة للبعض الآخر؛ فإن الإيمان بالله يصبح هدفه الله نفسه. **والسؤال المحوري لسفر أيوب، يُوجه إلينا جميعاً: لماذا نخدم الله؟ هل لمجرد ما نناله منه ؟ أم أن إيماننا يضرب بجذوره في حقيقة الشركة الشخصية مع الله، ولأجل الله؟!**

ز. هل مجاناً يتقي أيوب الله؟!

يُجيب الشيطان على هذا السؤال بالنفي. إن العدو المشتكي، يُوحي بأن أيوب يخدم الله ويعبده - لا لأجل شيء سوى الازدهار المادي الذي ناله، ويضع تفسيره وتوضيحه لسلوك أيوب، بشكل معاكس لنظرة الرب. ويُبَيِّن الشيطان بهذه التفسيرات، أنه لا يعرف حقيقة علاقة أيوب وصلته العميقة بالله. فالشيطان يوحي بأن علاقة أيوب مع الله هي مجرد "عقد شركة" (Contract) يعود بالفائدة على الطرفين، فيعود على أيوب بالغنى من الله، وعلى الله بنوال العبادة والإكرام من أيوب!

لقد جانب الشيطان الصواب في أن أهم شيء عند أيوب، وهو أنه يحيا إيمانه - لا أن يستخدمه للمنفعة الشخصية، وأن شركته مع الله هي التي تشغل كل اهتمامه.

وكما سنرى، عند نهاية السفر، فإن حقيقة شركة أيوب الشخصية مع الله هي التي تنقذه من الإحباط.

ح. الشيطان مقيداً بسلسلة

وكان جواب الله بأن أعطي الحرية للشيطان ليجرب أيوب، ووضع أيضا حدودا لهذه الحرية ((كما لو أن الله قد طوّق الشيطان بطوق الخاص بالحيوانات، فصار "شيطاناً في سلسلة" - Satan on a Chain))، وهنا نرى الشر - لا مبدأ الثنائية (Dualism). وقد نحتاج إلى وقفة للتأمل في هذه الحقيقة.

ولكن، ومع الأسف، يستعمل قطاع كبير من المسيحيين هذا النوع من الثنائية، حيث تُفهم الحياة كلها على أنها معركة بين الله والشيطان، أو بين الروح القدس وعالم الشياطين، كما لو كانا طرفين متكافئين في مُبَارَزَة! وقد يكون من السهل أن نفسر حياتنا - في بعض الأحيان - في ضوء هذا الصراع المزعوم بين القوات السماوية أو بين الخير والشر، دون أن نتحمل المسئولية نحو أنفسنا، لأن الكتاب المقدس لا يُعلِّم بثنائية الخير والشر. وبَيْنَمَا يجب ألا نغفل حقيقة الحرب الروحية، لكننا يجب أن نتذكر أن الصراع ليس بين قوتين متكافئتين. فقوة الشرير المضادة، لا تكافئ صلاح الله. والكتاب المقدس يخلو من فكرة مثل هذه، حيث أن الله هو صاحب السلطان المطلق، وأن الشيطان

هو دائماً المقاوم الذي يتحرك في حدود قدرته الشريرة، فهو- الشيطان- يتحرك دائماً بسماح من سلطان وسيادة الله. فالله صاحب السلطان المطلق، وهو الذي قال: هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ (١: ١٢).

وهكذا خرج الشيطان من حضرة الله.

ط. العودة للأرض

يعود المشهد إلى الأرض في (العدد ١٣)، حيث يجهل الكل الحديث الذي جرى في السماء. فأبناء أيوب وبناته كانوا يصومون، ويبدو أنها كانت عادتهم، أن يقضوا أيضاً الأعياد في بيوتهم (١: ٤).

لقد كان اختبار أيوب على الأرض، في حيِّز الزمان والمكان الحقيقيين، بينما يجهل الكل أن أيوب قد زُجَّ به في هذه المجادلة السماوية، لكي نعرف كيف يدير الله دفة الأمور. **فقد استخدم الله أيوب، كعبد متألم، لأهداف سماوية، فنفس أيوب من هذه الساعة، قد دخلت في إِسْتراتِيجِيَّات السماء**[1].

لقد كانت الأسرة مجتمعة في بيت أخيهم الأكبر، مما يعني أنه كان أول الأسبوع، وأن أيوب كان لتَّوه قد قدم ذَبِيحَة محرقات بالنيابة عنهم. وكاتب السفر يريدنا أن نتأكد، بشكل قاطع، بأنه لا توجد خطية سرية فيه أو في أبنائه، فالكل قد تطهر لتَّوه. ولا يقصد من وراء ذلك، أن أيوب أو أبناءه بدون خطية، بل إن أيوب كان صالحاً بصِدْق. فقد كان مستقيماً أمام الله، ولم تكن هناك بين الله وأيوب أو بين الله وأسرة أيوب أية أمور غير مفصول فيها ومُنْتظِر تسويتها، حيث أن المحرقات قد قُدِّمت.

[1] وهذا تفسير نسبي لفكرة أن الألم هو "سر" من "أسرار" الإيمان (التحرير).

ي. البلايا:

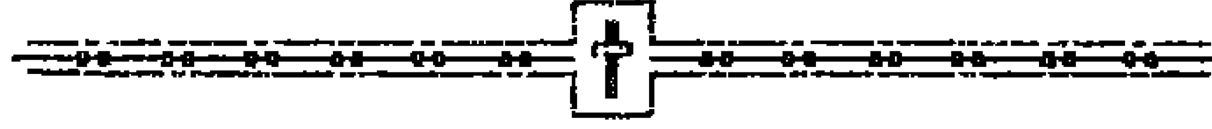
والمثير حقاً، أن أيوب قد تلقي البلايا واحدة تلو الأخرى، وهو في عمق صلاحه، حيث أسرع إليه أربعة من غلمانه، واحد تلو الأخر، حاملين إليه أخبار هذه البلايا.

١- الْبَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ وَالأُتُنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَئِيُّونَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ.

٢ - نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ.

٣ - الْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَق، فَهَجَمُوا عَلَى الْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ.

٤ - بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الأَرْبَعَ، فَسَقَطَ عَلَى الْغِلْمَانِ فَمَاتُوا، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ.



٢. العبادة ... لمواجهة البلايا

(١ : ٢٠ – ٢١)

"فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ وَقَالَ عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا".

لقد كان الشيطان مخطئاً في تقديره؛ فلم يجدف أيوب على الله، ولم يتجه إلى الظن بأن هناك مسببات أخرى لهذه النكبات، ولم يلق بالملامة على أحد. بل قَبِل كل ما ورد في العددين السابقين. الأحداث من يد الله، وسجد لله! فنقرأ في أعظم ما كتب عن أيوب:

لقد رأى أيوب يد الله خلف كل هذه الأحداث. وبشكل مذهل، كان رد فعله الأول هو أن يتجاوب مع الله بالعبادة. ورغم أنه من النادر أن نجد العبادة هي رد الفعل الأول. لدينا، حتى في الأوقات الطيبة، إلا أننا أمام رجل تغلّب على بلايا متضاعفة. فقد اِبْتُليَّ بخسارة تلو الأخرى. لقد كانت حَسْرَته واقعية، غير مبالغ فيها، ولا يمكن تحملها. **ورغم أنه من العسير أن يفكر الإنسان في العبادة، في وقت مثل هذا، إلا أنها كانت هي أسلوب تجاوب أيوب مع البلية.** فقد كان متشبعاً بالشركة مع الله، فرأى أن الله هو الذي يعطي وهو الذي يأخذ.

لَيْتَنا نتعلم أن تكون الصلاة هي رد الفعل الأول في الأزمات، وكم يبدو مهما في الخدمة الرعوية أن نقود المتألمين، ليضعوا احتياجاتهم أمام الله.

أ. العودة للسماء (٢: ١-٧)

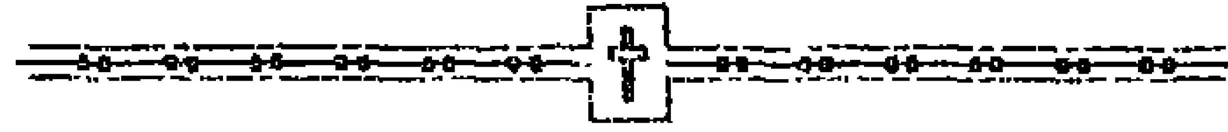
"وكان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم ليمثل أمام الرب. فقال الرب للشيطان من أين جئت. فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها. فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في

الأرض. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. وإلى الآن هو متمسك بكماله وقد هيّجتني عليه لابتلعه بلا سبب. فأجاب الشيطان الرب وقال جلد بجلد وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه. ولكن ابسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فانه في وجهك يجدّف عليك. فقال الرب للشيطان ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته" .

يتغير المشهد الآن مرة أخرى، ويَرْجِع إلى المجلس السماوي. ويُفتتح الأصحاح الثاني من سفر أيوب بمناسبة أخرى، حينما جاء الملائكة لِيَمْثُلُوا أمام الله، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. ويسأل الله الشيطان مرة أخرى مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ ويجيبه الشيطان. ثم يقول الله للشيطان: هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأَبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ (٢: ٣). والصورة هنا تماثل تلك التي في الأصحاح الأول، لكن مع إضافات ثلاث: لم يأت الشيطان مع الملائكة الآخرين فقط، ولكنه جاء لِيَمْثُلَ أمام الرب (٢: ١). (وهل هذا يعني أن الشيطان جاء ليَعْتَرِف بأن الله قد كسب الجولة الأولى من هذه المبارزة؟!). ولعلنا نتخيله ساجداً أمام الله بقلبٍ متمرد. والأمر الثاني هو أن الله أضاف إلى كلماته بأن أيوب مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ(٢: ٣)، مُؤَكِّدا على شخصية أيوب البارة. والأمر الثالث، هو الله يضيف وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأَبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ (٢: ٣). وهكذا تأتي كل سخرية الشيطان إلى لا شيء. ويوبخ الله الشيطان قائلاً: أيوب لا زال مُتَمَسِّكاً بِكَمَالِهِ. وعبارة الشيطان جِلْدٌ بِجِلْدٍ، عبارة صعبة الفهم، ولكنها قد تعني: إن كل ما حدث لأيوب هو مجرد "لمس" الجلد الخارجي له؟؟، ولكن يقول: ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَمَسَّ عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ (٢: ٥).

بيد أنه لأسباب غير واضحة لنا. ولنترك أيوب بمفرده، فهو غير واعٍ لما حدث في السماء. قد وضع الله حدوداً إضافية لنشاط الشيطان، وسمح له بهذه التجربة الثانية، وقد أضيف المرض إلى كل المحن التي واجهها أيوب، وذلك بسماح من الله، حيث جرَّب الشيطان أيوب بهذه الحالة الكريهة التي لا تُطاق.

والقروح المؤلمة (٢: ٧) التي من أسفل القدم إلى أعلى رأسه، قد تكون نوعاً من البرص أو "داءُ الفيل". فاعتزل بنفسه بعيداً، كما يفعل الأبرص، حيث يذهب خارج المدينة، فيحك قروحه بشقفة من الفخار. فذاك الذي كان واسع الثراء، بات فقيراً، عبداً لله، متألماً.



٣ . معاناة الإيمان

لقد ثبت أن إدعاءات الشيطان زائفة، فحياة الإنسان لا تتوقف على ثرَاء ممتلكاته (لو ١٢: ١٥). وكان أيوب عند ثقة الرب فيه، فلم يلعن الله، بل احتفظ بإيمانه، الأمر الذي صار مشكلته العظمى على الإطلاق.

وبمهارة يأتي بنا كاتب السفر، وجهاً لوجه، إلى المخاطر التي لا تتغير في الحروب الإنسانية، والخراب، والمرض، والمذلة، والضياع، والكآبة. وقد أُشير إلى الحرب في هجمات قبائل السبئيين (١: ١٥)؛ الأمر الذي أفقد أيوب مواشيه وجِماله (١: ١٦-١٧). وتبدو مذلة أيوب في تغيُّر هيئته، من رجل ذي ثروة، إلى إنسان يجلس على كومة من الرماد يحك قروحه! وقد اكتسى جلده بقروح رديئة من باطن قدمه إلى هامته (٢: ٧). لقد سُلبَ أيوب في موت أبنائه (١: ١٩)، وكان على موعد مع الكآبة، كما سنرى في الفصل الثالث.

أ. يد الله .... خلف الستار

لقد كانت يد الله مختفية خلف الستار، وفيما نحن نشاهد القصة من الخارج، يمكن أن نُمَيِّز أن إرادة الله تسمح بحدوث أشياء في تنظيمه الكامل لهذا العالم، وهو الأمر الذي نحتاج أن نفهمه.

فنحن لا نُسلِّم ببساطة بأن الله قد وضع الكوارث، كجزء من تَصْمِيمه لهذا العالم. فنظامه الدقيق لا يشتمل على الخطية، أو الأمراض، أو التجارب الشيطانية. في حين أن هذا العالم، ليس أصلاً كما خلقه الله، حيث رآه الله: أنه حسن. لأنه مَرْحَلَة فمَرْحلة، فسد البناء المنسجم الذي بناه الله الخالق الصالح. فهذا العالم، عالمٌ ساقطٌ، خلا من الجمال الذي خُلق عليه، وامتلأ بالفوضى، والألم، والصراع، والموت.

ونحن في حاجة إلى التمييز بين إرادة الله الكاملة، وبين سماحه ببعض الأحداث. ويبدو ذلك واضحاً - على سبيل المثال - في قصة نوح. فبعد نهاية الطوفان، قال الله لنوح نفس الكلمات التي قالها في بداية الخليقة أثمروا وأكثروا (تك ٩: ١-٧)، ولكن بنغمةٍ مختلفةٍ. فالله يتكلم، هنا، عن خوف ورعب، ويعطي الشرائع ليكبح شر الناس؛ لأن الإنسان لم يعد بعد في جنة عدن، فالعالم

الساقط هو عالمُ محطَم. ورغم أنَّ إرادة الله لا زالت واضحة لعيوننا، إلا أنها تأتي منعكسة من خلال احتياجات عالم ساقط.

ويُبين الأصحاحان الأولان من سفر أيوب، السماح الإلهي لإبليس لكي يُجرب أيوب، ونحن لا نقرأ في الكتاب المقدس أن إرادة الله الكاملة، باقية كما هي نحونا/ وكأننا لا زلنا في جنة عدن. وبالتالي، علينا أن نميِّز بين إرادة الله الكاملة وبين سماحه، لكن رؤية أيوب في تجربته، لم تكن كافية، لكي يُميِّز بينهما.

ب. الحيْرَة ...

كانت الأمور محيِّرة من وجهة نظر أيوب، ولم يظَن بتدخل الشيطان، فكل الأمور تبدو طبيعية للغاية؛ فالإرهاب، والصواعق، والأعاصير، أشياء تصيب الناس، وتطالعنا بها وسائل الإعلام كل يوم. وفي هذا الاتجاه، فإن أيوب مثل باقي الناس، تحت نفس النير. ولكن في اتجاه آخر، كان أيوب شخصاً مختلفاً، لقد كان باراً، تقياً، آيَة في الصلاح، وكان مثالاً فائِقاً للإنسان التقي الذي تحل عليه المصائب. وقد أصر على رؤية بلاياه، في ضوء يد الله الخفية.

وهذه هي مشكلته!

وينكشف الآن الهدف الرئيسي لسفر أيوب، وهو أن إيمان أيوب لم يحرره من معاناته، بل صيّره أسْوَأ، أو تسبب إلى حد ما في ذلك. وقد بُني إيمان أيوب على الله الحيّ الذي يعتني بشعبه. فقد آمن بيهوه إله العهد: إله العدالة، والمراحم والصلاح. وكان يعرف نعمة الله (وإلا فلماذا كان يتقدم إليه بذبائح محرقات؟). وكان يؤمن أن الله في نعمته يُزهر الإنسان البار، فالله ،كما يعتقد أيوب، يبارك الإنسان البار. والآن، كيف يوِّفق أيوب هذا الإيمان مع موقفه الميئوس منه. لقد صار كل ما آمن به أيوب عن الله موضع تساؤل!

ج. ... والإيمان

من المهم أن نتذكر أن هذا التساؤل عن المعاناة الإنسانية، كان يمكن أن يُطرح في إطار سفر أيوب فقط، بسبب التعليقات الجوهرية لكل من أيوب وكاتب السفر عن الإيمان، فالمعاناة في واقع الأمر تُعتبر مشكلة الإنسان الذي يؤمن بصلاح الله. والإنسان الملحد - بطبيعة الحال - يتعامل مع تعْبير الألم، على أنه حقيقة أو جزء من سخف هذا العالم. **ولكن الحقيقة هي أن العديد من الناس يفهمون أن الألم مشكلة، في ذاتها، تشهد لحقيقة وجود الله الصالح.**

وكما علّق "فرانز أندرسون":

لا يوجد ما يُسمى "بالصدفة" في عالم يُسيطر عليه رب واحد، فلقد كانت هذه هي مشكلة أيوب. فالكوارث لا تمثل مشكلة عند المشركين، أو الملحدين، والقدريين، والماديين، أو الغنوسيِّن؛ فالمضايقات وحتى المآسي لا تُشكِّل مشكلة لهم. إن المعاناة التي تأتي نتيجة شر الإنسان، أو الكوارث الطبيعية، تعتبر مشكلة عويصة للذين يؤمنون بخالق واحد صالح وقدير. لذلك، فإن مشكلة مثل هذه لا تثور إلا في الكتاب المقدس، الذي يتحدث عن الإله الواحد [١].

ولكن ... تُرى، هل فعل الله شيئاً رديئاً؟ وأين هي تلك المعونة غير الظاهرة؟ وأين عدالة الله؟! وما الذي يفعله الله حيال ذلك؟! وما التعزية التي يقدمها الإيمان الآن؟!

د. شكوك

يقول "سي. إس. لويس" في كتابه "ملامح حزينة"، وهو مُعَذَّب يُصارع الله (الذي يدعوه في نقطة واحدة: السادي الكوني Cosmic Sadist) في مواجهة موت زوجته: تحدث إليَّ يا رب عن حقيقة الدين، وأنا أصغي إليك بفرح ... تحدث إليَّ عن مُهِمَّة الديانة وأنا أصغي إليك بخضوع وتسليم. ولكن لا تتحدث معي عن مُوَاسَاة التدين، حتى لا أفقد الثقة في حكمتك [٢].

ورغم أنه قد أعطيت لنا، نحن القراء، الفرصة لنعرف بعض الأسرار التي خلف الستار في المجلس السماوي، إلا أن هناك الكثير الذي لا نقدر أن نفهمه. وينطبق هذا الأمر على الإيمان المسيحي أيضاً؛ فرغم أن الله كشف لنا بوضوح عن مقاصده في المسيح أكثر مما حلم أيوب به، إلا أن هناك عالم مخفي من المقاصد الإلهية الذي لا نعرف عنه إلا القليل. فالعبارة السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إلهنا (تث ٢٩: ٢٩) تنطبق علينا أيضاً. إن الإيمان يُعلِّمنا أن نثق في الله، حينما نسلك وسط الظلام، وحينما تعجز عقولنا على الفهم، وحينما لا يوجد سوى الفشل. فالإيمان هو ما يعطينا الله، ليُعيننا على الحياة وسط الشكوك.

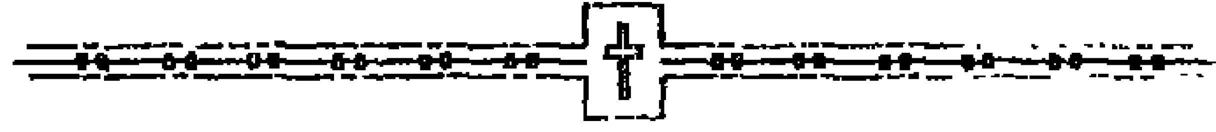
ونحن يمكن أن نبقى في آلامنا، كما كان أيوب ومن حوله، فلم يبقى شيء لهم سوى إيمانهم واختبارهم، يصارعون مع قضية التوافق بين الإيمان والتجربة. فالهجوم المؤذي الذي يدفعنا حتى الحافة، يطرح علينا تساؤلات مؤرقة مثل، ترى هل نحن راغبون في الوقوف مع أيوب، ومع كل

---

[١] F.I.Andvson, Job (Tyndale old Testament Commentary, IVP,1476).

[٢] C.S.Lewise, A grief Observation (Faber,1961),P23

الذين يجتازون طروفه؟! وما هي شكل الخدمة التي يجب أن نقدمها لتسديد احتياجات أمثال أيوب؟!



٤. زوجة أيوب

(٢: ٩-١٠)

"فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ بَارِكِ اللهَ وَمُتْ.
فَقَالَ لَهَا تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟ . فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ."

تأتي زوجة أيوب، الآن، على مسرح الأحداث، أو لعلها كانت هناك طيلة الوقت، ولكنها كانت صامتة متحيِّرة، وهاهي الآن تأتي تحت الأضواء، أو بشكل مجازي نقول إن زاوية الكاميرا قد اتسعت لتشمل أيوب ومن حوله أيضاً في لقطة عامة.

لقد أغضبت وَرْطَة أيوب البائس زوجته، فصرخت في وجهه: أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ؟ بَارِكِ (ألعن) اللهِ وَمُتْ! (٢: ٩).

فما الذي نفعله حيال ذلك؟ وهل تُعتبر هذه الكلمات أسلوبًا إضافياً للشيطان في التجربة؟! أو هل نحن بصدد زوجة بائسة؟

من الصعب أن تَحْيَا بالقرب من شخص متألم، وتكون غير قادر على فعل شيء حياله. إن عجزنا على المساعدة، يتَّجَهَ في شكل السخط على الإنسان المتألم؛ فنلومه على الانزعاج الذي سبَّبه لنا. وتوحي زوجة أيوب إلى أن أيوب لا يختلف عن الشخص الميت؛ فلماذا لا يُنهي هذا الألم بأن يلعن الله، فيدمره؟!

ولكن هل هذه الكلمات هي الرَحْمَة الحقيقية الممتدة إلى أيوب، حتى لا يتألم فيما بعد؟! وهل زوجة أيوب غاضبة من الله، لسماحه بألم مثل هذا؟! يبدو أن هذه هي الاستجابة الغَرِيزِيّة لبعضنا نحن البشر.

أ. الغضب .. تجاه الله

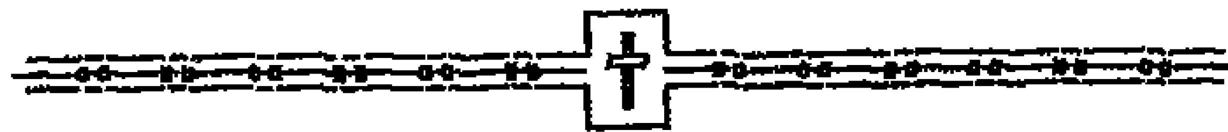
يعتبر الغضب تجاه الله رد فعل شائع يصاحب حدوث الكوارث، فحينما حدثت كارثة ابرفان في ويلز، حينما انحرفت قطعة فحم حجري على مدرسة ريفية، فقتلت العديد من الأطفال وهم جلوس في فصولهم؛ عبر الناس واحد تلو الآخر بأنهم غاضبون من الله. ونلمس ذات التجاوب، حينما يطلب الموت لصديق يتألم من مرض عضال. والإنسان المسيحي لا يعرف ماذا يفعل مع مشاعره، وبخاصة حينما يغضب من الله، فهل هذا هو الغضب الذي شعرت به زوجة أيوب نحو الله؟!

من الطبيعي أمام التجارب الصعبة أن تنفجر المشاعر الدينية في قلب الإنسان، وتخرج على السطح، معلنة أمام الله. وهذا ما حدث مع زوجة أيوب، بينما عاتب النبي حبقوق في صلاته الله بقوة.

"حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص. لم تريني إثما وتبصر جورا. وقدامي اغتصاب وظلم ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها" (حب ١: ٢،٣).

وقد رأت زوجة أيوب الأحداث، على الأقل، من حيث ما يفعله الله، الأمر الذي يمكن أن يقال بالنسبة رفقاء أيوب أيضا في آخر السفر. والغضب يمكن أن يكون نقطة بداية صحية، إذ عبر عنه في التسليم لله، لا إنكاره، وهو الأمر الذي يزعج الإنسان المسيحي. هناك - إذا - واقع صحي في غضب زوجة أيوب، حتى وإن عبرت عنه بشكل خاطئ، أكثر من صيغة الإيمان المسيحي السلام مهما كان الثمن، التي ترفض ببساطة الموافقة على أن الصالحين يغضبون.

ولم تساعد هذه الكلمات أيوب، لكنها في الواقع وضعت عليه حملا إضافيا، حتى يعرف في هذه اللحظة الحرجة أين يقف هو وامرأته؛ فلقبها بالجاهلة (٢: ١٠). وذلك لأنها زادت تجربته سوءا، ولأنه كان يعرف أن لعن الله خطية (١: ٥). ورغم كل الضباب الذي أحاط برؤية أيوب، في أماكن أخرى من السفر، إلا أنه حتى الآن، على الأقل، لم يخطئ.



٥. الوُجُود المؤلم

(٢: ١١-١٣)

"فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ أَيُّوبَ الثَّلاَثَةُ بِكُلِّ الشَّرِّ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ. أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَبِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَصُوفَرُ النَّعْمَاتِيُّ وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَأْتُوا لِيَرْثُوا لَهُ وَيُعَزُّوهُ. وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا وَمَزَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ وَذَرَّوْا تُرَابًا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نَحْوَ السَّمَاءِ. وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ لأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ كَآبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا".

نأتي الآن إلى واحد من أكثر المقاطع تحريكاً للمشاعر في سفر أيوب، فها هم أصدقاؤه. كما سنرى فيما بعد. يفسرون بَلِيَّة أيوب بشكل خاطئ، رغم أنهم تصرفوا بشكل صحيح في بداية الأمر جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَأْتُوا لِيَرْثُوا لَهُ وَيُعَزُّوهُ (٢: ١١). فقد ربطتهم الصداقة بأيوب في آلامه ومعاناته. لكنهم حينما شاهدوه، ميزوا هيئته بصعوبة. والمدهش أننا إذا استعرنا الكلمات التي ذُكرت عن عبد الرب في الجزء الثاني من سفر إشعياء (إش ٥٣: ٢-٣)، نرى من وجهة نظرنا أنها مطابقة للوصف الذي خلقه كاتب الوحي على أيوب:

"... لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ
وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ.
مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ
رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ
وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ"

وحينما رأى الأصدقاء حالة صديقهم، بدأوا في البكاء بصوت عال، وشقوا ثيابهم، وذرّوا التراب على رؤوسهم، علامة على الحزن العميق، ثم جلسوا على الأرض قبالته صامتين سبعة أيام وسبع ليال [١]. لم يفتح واحد منهم فمه بكلمة، لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جداً (٢: ١٣).

أ. الصمت

هنا، تبدو الصداقة الحقيقية، والتعزية الصادقة. وهذا ما دوَّنه "ستانلي هوار" في كتابه الوجود المؤلم، فوضع هذه الفقرة من سفر أيوب كمقدمة لأحد أبواب الكتاب، حيث يتحدث عن تعزيته لصديق قد انتحرت أمه، فقال:

حالما سمعتُ هذا النبأ المأسوي في ذلك الوقت، تذكرت مدى فقر مساعدتي لصديقي. فلم أكن أعرف كيف أو ما الذي يجب أن يُقال؟ لم أكن أعرف كيف أساعده على الخروج من جو هذه الحادثة المفجعة؛ ليواصل الحياة. كل ما استطعت فعله هو أن أكون بجواره. وساعدني الوقت لأدرك أن وجودي بجواره، هو كل ما يحتاجه. ورغم محدوديتي هذه، إلا أن رغبتي في الوجود معه كانت دليلاً على أن هذه الحادثة المفجعة لا تمنعنا من جميع نواحي النشاط الإنساني. فالحياة يجب أن تستمر..

واعتقد الآن أن الله قد منحني هذا الامتياز العجيب في ذلك الوقت، لكي أسعى في مواجهة هذا الألم العميق والمعاناة، حتى وإن كنتُ غير مُقَدِرٍ لأهمية وجودي معه.

ورثاء الوجود الصامت، هو ما نراه هنا في أصدقاء أيوب، فصمتهم كان أبلغ تعبير.

ويقول الكاتب "كرايج ديكسترا":

إن خدمتك للآخرين تكمن في تحملك لتشوهاتهم؛ فأن تساند شخصاً في مشكلته، فهذا يعني أن لديك الاستعداد أن تتحمل تبعات هذه المشكلة معه. وأن تُتاح أنت نفسك للآخرين، فهذا يعني أنك قد تتأثر بأذيتهم، وقد تكون أنت أيضاً خطراً عليهم. وهذا معناه أن تتألم من نفس الآلام التي يتألم منها الآخرين، وأن تحيا مع المتألم آلامه. لكن هذا يختلف عن محاولتك لتكون أنت الشخص المتألم، فالوجود مع شخص في محنته لا يتضمن ضرورة وضعك مكانه، وإن تطلب الأمر ذلك. وقد يُقترح أحدهم لصديقه المتألم: يمكنني أن أحمل آلامك أكثر منك، فتحرك جانباً لأنني

---

[١] عبروا عن حزنهم وفقاً لمفاهيم البيئة التي عاشوا فيها.

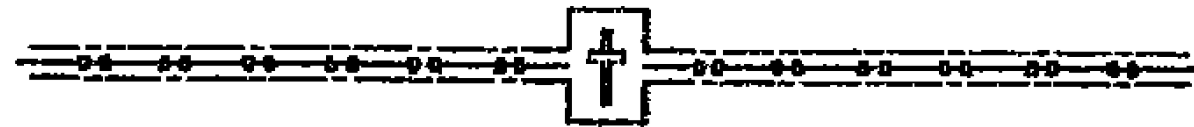
سوف أحلُ محلكَ، بدلاً من المبدأ: الوجود مع الآخر، يتضمن تعريض النفس لما يتعرض له هذا الآخر المتألم أيضاً، حيث التواجد مع الآخرين في هذه البلية [١]

أما الأسقف "جون تايلور"، فيعلق في كتابه الشفيع:

وصف لي مُؤَخَّرًا أحد الزملاء حالة امرأة هندية تقطن شقة بلندن، وكان زوجها قد مات في حادثة وقعت في الشارع. فضربها الحزن كالصاعقة، فغاصت في ركن من الأريكَة، متشنجة ، لا تسمع. ولوقت طويل، أرَبَكَتْ غيبوبتها هذه عائلتها وأصدقائها الذين التفوا حولها، وبعد ذلك أتت إليها مُدرسة أحد صغارها، وهي امرأة إنجليزية لترى حقيقة الأمر. وبدون أن تفتح فمها بكلمة، وضعت ذراعها فوق كتفها، وضمتها بكل قوة إلى صدرها، وعانقتها، وحينئذ فاضت عينا المرأة الإنجليزية بالدموع. وقد بقيا على هذا الوضع لفترة من الزمن، حتى بدأت المرأة الهندية تشْهَق وتبكي. وقد حدث كل ذلك، ولم تفتح المرأة الإنجليزية فمها بكلمة واحدة، حينئذ، قام المعزون وانصرفوا تاركين لها مسئولية مساعدة هذه الأسرة ...

وهكذا، يُعَانِقنا الله، مانحاً إيانا قُبْلَة الحياة. إنه الحضن الحقيقي، والذي يدرك ما يجيش في نفوسنا من اضطرابات. أما الروح القدس، فهو القوة التي تزيل ذلك التشنج، وهو طَبَقَة العرق الذي كان بين خديهما، إنه البلل أو النداوة المختلط بين الأيدي المتشابكة، فهو قريب جداً ودمث ولا يُقاوم.

فالحنان الصامت قد يكون أبلغ تعبير عن آلمك وانزعاجك لما حدث للآخرين.



[١] Dykestra, *Vision and Character* ,1981,P102.

٦. هدف الفصول التمهيدية

لقد صِيغت القصة في سفر أيوب، حتى الآن، في قالب نثري. لكن بدءاً من (الأصحاح ٣) حتى (الأصحاح ٤١)، تتغير الصيغة إلى الشعر، ثم تعود هذه الصياغة النثرية من (الأصحاح ٤٢)، حتى نهاية السفر.

الصياغة الغالبة على قلب السفر شعرية، وتتعلق بالحالة النفسية لأيوب، ورد فعل أصدقائه، ومُجَاوَبَة أيوب، وحديث الرب (يهوه) نفسه. ولعلنا نتساءل: لماذا هذه المقدمة النثرية؟! وكما قلنا، فهي كذلك لكي ترسي المشهد الذي تتم من خلاله الدراما الشعرية، رغم أن الهدف منها أكبر من ذلك.

يُبين "إدوار جونس" في كتابه " نصرة أيوب"، على الأقل، خمس سمات لهذه المقدمة النثرية التي تساهم في فهمنا لباقي السفر.

أولاً: يلغي الأصحاح الأول والثاني وجهة النظر التي تربط الألم بالخطية [١]. فنحن نعلم أن معاناة أيوب ليست عقاباً على خطايا، وبطبيعة الحال يشير الكتاب المقدس، في بعض الأحيان، إلى أن المعاناة ترجع إلى الخطية؛ فمريم ضُربت بالبرص بسبب خطيتها (عدد ١٢: ١٠-١٢)، ومُنعَ الكثيرين في كنيسة كورنثوس من الاشتراك في مائدة الرب المقدسة بسبب سوء حالتهم الروحية (١كو٣: ١١). ولكن الكتاب المقدس يحذِّرنا مراراً وتكراراً من الربط الدائم بين الخطية والألم وليس هناك أوضح من سفر أيوب، من صعوبة المعادلة بين معاناة الإنسان وخطاياه. وفي ذلك يقول "جونس": "تفقد فكرة الألم التأديبي معناها، حينما نبحث عن إجابة شافية لكل الآلام [٢]".

ثانياً: يبدو واضحاً أنه من الخطأ أن نتصور، كما فعل أصدقاء أيوب فيما بعد، أن أيوب يُؤَدب حتى يعرف خطأ طرقه، فقد أعلن الله رأيه في أيوب مرتين رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ. ويجهزنا ذلك لنقِّيم معونة أصدقائه في الأصحاحات المقبلة. ولكن يصعب أيضاً أن تقرر تماماً أن شخصية أيوب قد تمحصت من خلال آلامه، مع أننا لا نستطيع أن نستبعد هذا الرأي تماماً.

---

(١) Jones,p.33.

(٢) Jones,p.33.

ثالثاً: يوضِّح سفر أيوب أن الإنسان الصالح والمستقيم يعاني من الألم في هذا العالم بدون سبب واضح، فالسفر في حقيقة الأمر يوجِّهنا لكي نرى أن الألم يُثمر علاقة عميقة بين الإنسان المتألم والله.

رابعاً: تستدرجنا المقدمة، لنضع مشكلة "ألم البريء" في قرينة أوسع: فكيف يبدي الإنسان إيماناً نحو الله إزاءَ بليته؟! وهذه هي القرينة الدينية التي يدور حولها سفر أيوب، وهي التي يدور حولها كل الموضوع. فالمقدمة قد جهَّزتنا ليس فقط لنواجه أسئلة الألم، بل لنراها في ضوء القرينة الكبرى، في ضوء علاقة أيوب بالله.

أخيراً: يُعلِّق جونس بأن تحويل المشهد من الأرض إلى السماء، يرمز إلى أن الإنسان غير الواعي يمكن أن ينقل مقاصد الله [١]. فالآلام الإنسانية تُفهم في ضوء مقاصد الله نحو هذا العالم. ومن خلال آلام أيوب، عبد الله، أعَدَّ الله مقاصد نعمته. وبهذا المعنى، سوف يقف أيوب شاهداً للحق الذي يُعلن بالكامل في حياة وموت الرب يسوع المسيح. لأن آلام المسيح، عبد الرب المتألم، كانت أعظم من تلك التي تعرض لها أيوب. وكما يعلق "هويلر روبنسون". إن سفر أيوب هو المُسَوَّدَة الأولى عن قصة الإنجيل، فهو (سفر أيوب) يتحدث عن إنسان حمل صليبه قبل مجيء المسيح [٢]



[١] المرجع السابق

[٢] Wheeler Robinson, The Cross in the Old testament. (SCM press1955), p.54

٧. مرثاة أيوب

(٣: ١-٢٦)

"بَعْدَ هذَا فَتَحَ أَيُّوبُ فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ وَأَخَذَ أَيُّوبُ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ:
لَيْتَهُ هَلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ: قَدْ حُبِلَ بِرَجُلٍ.
لِيَكُنْ ذلِكَ الْيَوْمُ ظَلاَمًا . لاَ يَعْتَنِ بِهِ اللهُ مِنْ فَوْقُ وَلاَ يُشْرِقْ عَلَيْهِ نَهَارٌ.
لِيَمْلِكْهُ الظَّلاَمُ وَظِلُّ الْمَوْتِ. لِيَحُلَّ عَلَيْهِ سَحَابٌ. لِتَرْعَبْهُ كَاسِفَاتُ ظُلُمَاتُ النَّهَارِ.
أَمَّا ذلِكَ اللَّيْلُ فَلْيُمْسِكْهُ الدُّجَى وَلاَ يَفْرَحْ بَيْنَ أَيَّامِ السَّنَةِ وَلاَ يَدْخُلَنَّ فِي عَدَدِ الشُّهُورِ.
هُوَذَا ذلِكَ اللَّيْلُ لِيَكُنْ عَاقِرًا لاَ يُسْمَعْ فِيهِ هُتَافٌ.
لِيَلْعَنْهُ لاَعِنُو الْيَوْمِ الْمُسْتَعِدُّونَ لإِيقَاظِ التِّنِّينِ.
لِتُظْلِمْ نُجُومُ عِشَائِهِ. لِيَنْتَظِرِ النُّورَ وَلاَ يَكُنْ وَلاَ يَرَ هُدُبَ الصُّبْحِ
لأَنَّهُ لَمْ يُغْلِقْ أَبْوَابَ بَطْنِ أُمِّي، وَلَمْ يَسْتُرِ الشَّقَاوَةَ عَنْ عَيْنَيَّ.
لِمَ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّحِمِ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ لِمَ لَمْ أُسْلِمِ الرُّوحَ
لِمَاذَا أَعَانَتْنِي الرُّكَبُ، وَلِمَ الثُّدِيُّ حَتَّى أَرْضَعَ
لأَنِّي قَدْ كُنْتُ الآنَ مُضْطَجِعًا سَاكِنًا . حِينَئِذٍ كُنْتُ نِمْتُ مُسْتَرِيحًا
مَعَ مُلُوكِ وَمُشِيرِي الأَرْضِ الَّذِينَ بَنَوْا أَهْرَامًا لأَنْفُسِهِمْ
أَوْ مَعَ رُؤَسَاءَ لَهُمْ ذَهَبٌ، الْمَالِئِينَ بُيُوتَهُمْ فِضَّةً
أَوْ كَسِقْطٍ مَطْمُورٍ فَلَمْ أَكُنْ كَأَجِنَّةٍ لَمْ يَرَوْا نُورًا .
هُنَاكَ يَكُفُّ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الشَّغْبِ وَهُنَاكَ يَسْتَرِيحُ الْمُتْعَبُونَ.
الأَسْرَى يَطْمَئِنُّونَ جَمِيعًا لاَ يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْمُسَخِّرِ.

الصَّغِيرُ كَمَا الكَبِيرُ هُنَاكَ وَالعَبْدُ حُرٌّ مِنْ سَيِّدِهِ.

لِمَ يُعْطَى لِشَقِيٍّ نُورٌ وَحَيَاةٌ لِمُرِّي النَّفْسِ؟

الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ وَلَيْسَ هُوَ وَيَحْفُرُونَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنَ الكُنُوزِ

الْمَسْرُورِينَ إِلَى أَنْ يَبْتَهِجُوا الفَرِحِينَ عِنْدَمَا يَجِدُونَ قَبْرًا

لِرَجُلٍ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَقَدْ سَيَّجَ اللهُ حَوْلَهُ.

لأَنَّهُ مِثْلَ خُبْزِي يَأْتِي أَنِينِي وَمِثْلَ الْمِيَاهِ تَنْسَكِبُ زَفْرَتِي

لأَنِّي ارْتِعَابًا ارْتَعَبْتُ فَأَتَانِي وَالَّذِي فَزِعْتُ مِنْهُ جَاءَ عَلَيَّ.

لَمْ أَطْمَئِنَّ وَلَمْ أَسْكُنْ وَلَمْ أَسْتَرِحْ وَقَدْ جَاءَ الرُّجْزُ".

وأخيراً، شقّ الصمت، حيث صرخ أيوب بعد الحالة التي ظل فيها سبعة أيام وسبعة ليال، لقد خرج عن صمته؛ فهو ليس حيوان أبْكَم، إنه إنسان ذو مشاعر وأفكار. ولَعَلَّ الصمت لم يعد له مجال الآن، أو لَعَلَّه أدرك أن كماله سوف يتعرض للخطر لو طال صمته عن ذلك. فوجد أن عليه أن يعترض، ويدافع عن نفسه.

وهنا، يأتي الأصحاح الثالث، وهو أصحاح شعري طويل، بعد أصحاحين من المقدمة النثرية. فندخل إلى قلب أيوب، ونشعر بانسحاقه. فنرى أنه قد انسحق - لا لسبب الخسارة المادية، أو مرضه، أو الكلمات الجارحة التي وجهتها إليه زوجته بالدرجة الأولى، ولكن انسحاقه يعود إلى تغيُّب وصمت الله عنه. وهنا، نجد اعتراض بشري على طرق الله.

وهنا، يحاول أيوب بشكل مُستميت أن يوَّفق بين إيمانه واختباره، فيَسْعَى تفسير هذا الاختبار المؤلم، من خلال إيمانه. ولا يقدر أن يفهم ما قد حدث له، سمح الله بحدوثه؟ فما فعله الله قد جرحه جرحاً عميقاً. ولكنه تمسك بإيمانه اليائس؛ إيمانه بأن الله ليس أقل من أن يكون إله الكمال، والحق، والعدل.

أ . اليأس

وهكذا، بدت مشاعر أيوب في اليأس من نفسه، فرغم أنه صاغ مرثاته في ضوء إيمانه بالله، إلا أن الأسى العميق ظل في كامل قوّته.

والأصحاح الثالث ينقسم إلى ثلاث فقرات رئيسية:

I - (الأعدد ٣-١٠)

لقد لعنّ أيوب اليوم الذي جاء فيه. ولم يلعن الله، أو أي شخص آخر، أو نفسه. فقط، يريدً أن يُمحى يوم مولده، وليكن - لا يوم فرح واحتفال، بل يوم لعنة.

إن كل شيء قد صار مُتْعِباً، وقد ضربه الشعور بالوحدة والعزلة؛ فصار بائساً.

II- (العددان ١١، ١٩)

ثُمَّ يواصل مرساته بمجموعة من الأسئلة:

لماذا لم يهلك عند مولده (٣: ١١)؟!

لماذا وجَد مَنْ يرضعه ويرعاه حتى لا يموت (٣: ١٢)؟!

لماذا لم ينتهِ كسقط ميت (٣: ١٦)؟!

لماذا تُعطى الحياة للذين يشتهون الموت (٣: ٢٠)؟!

ولماذا يحيا الشخص الذي يشعر أن الله صار فخاً له (٣: ٢٣)؟!

لماذا، ولماذا، ولماذا؟!

يا رب ... لماذا؟!

لا شك أننا قد عرفنا أناساً تقدموا بنفس الأسئلة، ونحن أيضاً لا محالة قد سألناها. ونعلمُ أيضًا أنه لا توجد إجابة على أسئلةٍ. على الأقل في هذا الجانب من السماء. مثل تلك التي تقدم بها ليسلي نيوبيجن في بداية هذا الفصل. ولكن من جانبنا؛ جانب صليب يسوع المسيح، والقبر الفارغ، والقيامة؛ نأتي بهذه الأسئلة إلى إشارة مختلفة. فنحن نعلم. الأمر الذي جهله أيوب. بأن هناك شخصاً معيناً لنا، قد صرخ بصوت عظيم: إلهي إلهي لماذا تركتني، لماذا ...؟ (مز ٢٧: ٤٦؛ مر ١٥: ٣٤). **فعندما صرخ يسوع على الصليب صرخة الإحساس بالترك من الآب؛ حمل على شفتيه أسئلتنا، وكأنها أسئلته هو، وكما يقول "هلموت" في عمق الهاوية السحيق يقف معي.** (١).

---

(1) H.Thielick.*I Believe* (Collins,1969),p.117.

والأمر يختلف بالنسبة لأيوب في هذه المرحلة؛ فهو لا يملك شيئاً تجاه كلمة "لماذا"؟ (٣: ١٣-١٥).

III. (الأعداد ٢٠-٢٦)

يختتم أيوب مرثاته بصرخة عتاب وذهول، فهو يقترب هنا إلى المنطقة الخطرة، حيث ينال عقاباً على إيمانه المحدود بصلاح الله، حيث أنه قد ينكر صلاح الله - لو ساءت الأمور أكثر من ذلك. إنه، إلى الآن، يُدقق النظر في هذه المحدودية، ولم يَتحَوَّل عن إيمانه بعد ، لكنه رغم ذلك، لا يفهم لماذا يريد الذين منحهم الله الحياة أن يتخلصوا منها.

إن أيوب يشعر بالمحاصرة (٣: ٢٣)، وهذه ليست المحاصرة التي تكلم عنها الشيطان في (١: ١٠)، حيث كان أيوب محاطاً بالأمن، والسلامة، والحماية من الشيطان والألم. فاشتكى عليه الشيطان، بأن صلاحه زائف، لأنه يحيا حياة سهلة. لكن الحصار التي يشعر أيوب به الآن هو حصار السجن واليأس. فقد سقط في شَرَك الله الذي لا مفر منه.

ومنْ ثَم؛ صار التنهد والأنين مأكله ومشربه (٣: ٢٤)، وخاف أن يتحول الله عنه (٣: ٢٥). وينتهي الأصحاح بأربعة صَرَخَات قاطعة، وكأنها مجاوبة على الأربع طعنات السابقة للخنجر (٣: ٢٦).

" لَمْ أطْمَئِنَّ ...
وَلَمْ أسْكُنْ ...
وَلَمْ أسْتَرِحْ.
وَقَدْ جَاءَ الرُّجْزُ"

أو كما يترجم "أندرسون" معاني هذه الآية:
"لا أستطيع أن استريح،
ولا يهدأ لي قرار،
والاضطراب يتولاني" (١).

(1) Andrsen ,p.26

وهذه حالة من القلق الشديد؛ فأيوب في ألم ساحق. يعتقد أن الله قد تركه حزيناً، حيث ينمو حزنه أكثر فأكثر؛ فيصبح منظره فظيع. فهل هذا هو العدل؟!

لقد أنتقد الشاعر "كولردج" ذات مرة المسيحيين، لأنهم لا يؤمنون بالله الحق، لكنهم يؤمنون فقط بما يعتقدونه عن الله. حيث تأتي البلايا الساحقة، لتضع نهاية لإيماننا بما نعتقده عن الله، ولكن حتى هذه المرحلة، لا يزال أيوب متمسكاً بعقيدته بالله.

وقد علق كارل بارت K arl Barth قائلاً:

لقد كانت مأساة أيوب في أحزانه الشخصية ... وليست خسائره المادية. ولذا، فإن الموضوع الرئيسي لشكواه، يتضمن معرفته العميقة بأن ما حدث له وما سيأتي عليه هو من عند الله، وكذا بجهله العميق عن كيفية التعامل مع الله [١].

وبكلمات أخرى، لقد حدث تضارب بين معرفة أيوب وجهله بطرق الله.

ب. سر الإيمان

إن ما نعرفه عن الله، وعن صلاحه، وما لا نعرفه عن سر مقاصد الله السماوية، يتصارعان أحدهما مع الآخر، وهو صراع لا يحتمل. وهذا هو جوهر عذاب أيوب من الآلام [٢]. لقد كان أيوب يعرف أن حياته في يد الله، وكان يؤمن بأن الله إله صالح، ولكن في تجربته الفعلية، وجد أنه من المستحيل أن يرى، بأي شكل من الأشكال، أن يكون الله قد حجب جُوده عنه. وفي كل مصائبه التي حلّت عليه، كان متيقناً أنه مازال على علاقة بالله، ولكنه ليس هو الإله الذي كان يعتقد أنه يعرفه. فالإله الذي يختبره الآن، يبدو له وكأنه، عدواً لا صديقًا، أشبه بالظلمة لا النور. فالله، الآن، هو الإله المختبئ، الذي قد نعلم بوجوده حينما تحل الكوارث فقط. فهل يمكن أن يكون هذا الإله هو الإله الذي خدمه كل سنوات عمره الماضي؟!

---

(١) K.Barth,Church Dogmatics,IV/3(T&T. Clark),p401.

(٢) المرجع السابق صفحة ٤٠١.

ولنعد الآن مرة أخرى إلى "كارل بارت"، حيث يقول: "لم يشك أيوب للحظة واحدة بأن عليه أن يتعامل مع هذا الإله، لكن الذي كان يدفعه إلى الجنون أن الله صدمه، وكأنه شخص غريب عن"ه. فكيف صار الله لأيوب؟! هذا ما يأتي بنا إليه الآن سفر أيوب.

ويأتي بنا كاتب السفر أيضاً، إلى النقطة التي فيها يقدم لنا كيف نساعد هذا الإنسان؟! وماذا عسانا أن تقول له؟! وكيف نخدم احتياجاته العميقة؟! وما الذي يقوله فكرنا اللاهوتي عن شخص بهذه الحالة؟! وكيف نحتفظ بإيماننا بالله، في مواجهة مثل هذه المعاناة الرهيبة؟! وهل نؤمن بما نعتقده عن الله أم أننا نؤمن بالله ذاته في مثل هذه الظروف؟! وكيف توَّفق بين حضور الله، وبين اختفائه الظاهري؟!

ولكن لو لم تجذبنا معاناة أيوب إلى الله، الذي يريد أن يعلن عن ذاته بشكل شخصي؛ فإننا سنفقد الهدف الرئيسي الذي كُتب من أجله هذا السفر.

فكيف جاوب أصحاب أيوب هذه الأسئلة؟

هذا ما سوف نكتشفه في الفصل القادم:

"لماذا يا رب؟!

لماذا يا رب ليس هناك أحد ...

ليس أحد يكترث؟!

تجتمع الوحشة مع المرارة تنمو مع الأيام؟!

لماذا لم يعد قلبي يُحب كالآخرين؟!

يعتقد أحدهم بأنه من نوع خاص،

ألست أنت كذلك؟!

لماذا يا رب؟! لماذا لم يعد شيء أستطيع أن أسميه ملكي؟! لماذا لم يعد هناك مكان أستطيع أن ألجأ إليه؟!

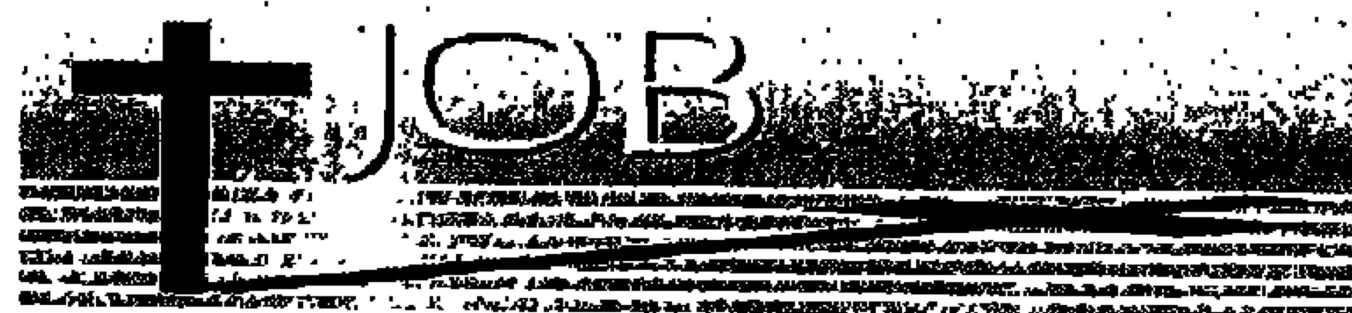
لماذا يا رب لا يطلبني أحد - حتى أي أحد؟!

لماذا يا رب تركني الجميع وحدي ... وحدي تماماً؟!

وهل يا رب تتركني أنت أيضاً؟! أم أنك هناك على الدوام؟!

لقد وضعت فيَّ أعوازاً، ليكون هناك مَنْ يسددها.."

"اليزابيث ستيوارت"



الباب الثاني

أحاديث أصدقاء أيوب

[أصحاح ٤ - أصحاح ٢٧]

لقد تركنا أيوب يصرخ إلى الله، مؤنباً إياه على ظروفه التي بدت في الألم، والذهول، والسَلَب. وها هو لازال جالساً على كومة الرماد، خارج المدينة، يَحك قروحه، وأصدقاؤه الثلاثة معه سبعة أيام وليال، وهي فترة الحِدَاد الرسمية على الموتى في الشرق، في ذلك الوقت.

ثم يفتح أيوب فمه في الأصحاح الثالث، خارقاً فترة الصمت الطويلة. فنسمع عُمْق مرثاته، فيشعر أصدقاؤه بوجوب الرد عليه.

ثم تنقسم أصحاحات سفر أيوب (٤ - ٢٧) إلى ثلاثة أحاديث دورية:

* **أليفاز يتحدث وأيوب يجاوب.**
* **بلدد يتحدث وأيوب يجاوب.**
* **صوفر يتحدث وأيوب يجاوب.**

ثم تتكرر هذه الدائرة في الحديث بين أيوب وأصدقاؤه مرة ثانية وثالثة. ثم تبدو النصوص، في الدورة الثالثة من الحديث، مشوَّشة وغير مرتبة. وبينما ينال بلدد نصيبا أقل في حديث الدورة الثالثة، لا يُذكر صوفر بَتّاتًا. وقد أعاد بعض المتخصصين في دراسات العهد القديم ترتيب الشكل العام، فعيَّنوا بعض آيات (الأصحاح ٢٦) لبلدد، وبعض آيات (الأصحاح ٢٧) للحديث الثالث لصوفر. ورغم أن ذلك قد يحفظ الشكل العام للأحاديث، إلا أنه يبقى نَظريّاً.

ويبدو أن الأصدقاء قد انجذبوا تدْريجيًا إلى الصمت، ومن المؤكد أن هناك إيجازاً لبلدد وصوفر في حديثهم الثاني، بالمقارنة مع حديثهم الأول. والدورة الثالثة غير المكتملة للحديث، لا تعكس فقط غيظهم، بل أيضاً نفاذ صبرهم.

١. مُجْمَل الأحداث في (٤- ٢٧)

يمكن إجمال أحداث (الأصحاحات ٤-٢٧) في الخطوط العامة التالية:

أحاديث أصدقاء أيوب الثلاثة	أجوبة أيوب
أليفاز:	
(ص ٤ - ص ٥)	(ص ٦ - ص ٧)
(ص ١٥)	(ص ١٦ - ص ١٧)
(ص ٢٢)	(ص ٢٣ - ص ٢٤)
بلدد:	
(ص ٩ - ص ١٠)	(ص ٨)
(ص ١٩)	(ص ١٨)
(ص ٢٦ - ص ٢٧) ....[ص٢٦: ٥-١٤]*	(ص ٢٥)
صوفر:	
(ص ١٢ - ص ١٤)	(ص ١٩)
(ص ٢١)	(ص ٢٠)
[ص٢٧: ١٣-٢٣]*	

* تشير النصوص الكتابية التي بين الأقواس، [....] إلى الفقرات التي أختلف حولها المفسرون، فنسبها البعض إلى "بلدد" أو "صوفر" وتمسك البعض الأخر بأنها تخص "أيوب".

ولكننا، سوف نركِّز في هذا الفصل، على أحاديث "أليفاز"، و"بلدد"، و"صوفر"؛ فاحصين أقوالهم، كما وردت في (الأصحاحات ٤ ـ ٢٧).

وسوف نرجع في الفصل الثالث إلى هذه الأصحاحات مرة أخرى، لنركز على أجوبة أيوب، ثم نتحرك في تأملاتنا إلى (الأصحاحات ٢٩-٣١) (سوف نعود بعد ذلك إلى (الأصحاح ٢٨) لأسباب سوف تتضح في الفصل الرابع).

(**ملاحظة**: بالرجوع إلى الكتاب المقدس ننصح بقراءة هذه النصوص الكتابية، قبل المضي قدما في قراءة الشروحات.)

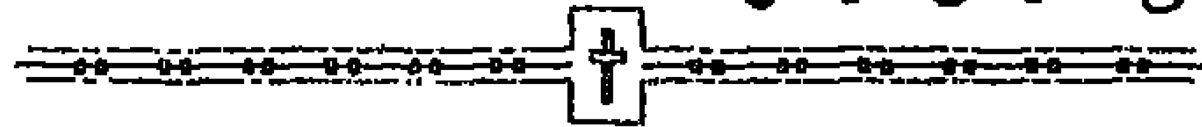
٢. الأصدقاء الثلاثة: أليفاز، بلدد، صوفر

يرسم لنا سفر أيوب صورة إحباط الأصدقاء الثلاثة المخلصين، وهم يحاولون تعزية إنسان حزين. والصورة محبطة، لأن أول شرط لمساعدة المتألمين هو أن تدرك أنك قد يساء فهمك منهم.

فقد تحاول أن تطهو لهم طعامهم المفضل، أو ترتب لهم حجرة المطبخ أثناء وجودهم في الخارج، أو تضع زهورا مبهجة في الصالة، أو تشير إليهم بارتداء معطف جديد، ولكن لا شيء يفيد من كل ذلك. إنك تفعل كل شيء يحبونه، ولكنهم ليسوا هنا، إنهم هناك، في عالم الحزن، يرثون حالتهم. وعليك أن تفترض أنهم قد يفسرون تصرفاتك على النقيض تماما. فحالة فقدان الشهية لديهم تفيد أن رؤية طعامهم المفضل قد يقلل من بكائهم. وقد يفهموا ترتيبك لحجرة المطبخ، معناه أنك تقول لهم: إنك لا تود أن يتركوا حجرة المطبخ هكذا غير مرتبة! وأنه كان خطأ منك أن تضع الزهور المنعشة في الصالة، لأنهم سيموتون! فالزهور تبدو أجمل فوق القبور!! وفي مشورتك عن المعطف الجديد، قد يبدو لهم الأمر لأنك قد توحي لهم أن يحاولوا أن يفعلوا شيئا لمظهرهم غير المرتب، بيد أنهم يشعرون بالخوار.

وإجمالا نقول: لقد حاول أصدقاء أيوب الثلاثة تعزية إنسان يائس، فسكبوا خلا على جراحه. ويعود فشلهم في تقديم تعزية حقيقية - لا فقط إلى تفاقم الحالة النفسية والفكرية التي أصابت أيوب، بل بالدرجة الأولى على نفسيتهم، كما سيتضح لنا. ولكننا نحتاج أن نطرح العديد من الأسئلة عن الأرضية اللاهوتية التي يقف عليها هؤلاء الأصدقاء الثلاثة، حينما يتجاوبون مع أيوب، وكذلك عن استنتاجاتهم التي توصلوا إليها.

ولنلق أولا نظرة على مقياس أليفاز.



أولا: أليفاز

١. الحديث الأول لأليفاز

(٤- ٥)

تبدأ أحاديث "أليفاز" من الأصحاح الرابع. ويبدو أن "أليفاز" كان أكبر الثلاثة سنا، وأرجحهم فكرا، وأكثرهم دماثة ولطفا. فهو ذو إيمان راسخ بقداسة الله المطلقة، واختبار عميق لما يعلنه الله عن ذاته.

وهو يواجه، هنا، صديقه المتألم. وقد روعه التغيير البالغ والمفاجئ لثروة أيوب؛ فمن إنسان ذي ثروة وجاه، لإنسان معدم. وقد سمع بالمصائب التي حلت على أيوب، لكنه كان لا يعلم بأمر الحديث الذي جرى بين الله والشيطان في المجلس السماوي. وها هو، الآن، يتجاسر ويرد على مرثاة أيوب قائلا:

"إن امتحن أحد كلمة معك فهل تستاء
ولكن من يستطيع الامتناع عن الكلام
ها أنت قد أرشدت كثيرين
وشددت أيادي مرتخية.
قد أقام كلامك العاثر
وثبت الركب المرتعشة
والآن إذ جاء عليك ضجرت
إذ مسك ارتعت.
أليست تقواك هي معتمدك
ورجاؤك كمال طرقك "(٤: ٢-٦)

أ . أليفاز يتجاسر بالكلام (٤: ٧-٩)

يميز أليفاز تقوى وصلاح أيوب في حديثه الأول. فقد ميز أن أيوب كان قد أرشد كثيرين (٤ : ٣)، وثبت الركب المرتعشة (٤:٤). فقد عرف عن أيوب، اهتمامه بالمنسحقين، فهو إنسان ذو تقوى وطرق مستقيمة (٤ : ٦). ورغم أنه أشفق كثيرا على آلام الآخرين ، لكنه تضجر حينما جاءته الآلام (٤ : ٥).

ولقد حاول أليفاز تعزية أيوب، ليثق ويتمسك بالرجاء (٤ : ٦)، لأنه ألا يحفظ الله الأبرياء والمستقيمين (٤ : ٧)، وقد بنى تعزيته على اعتقاده بأن البار لا يهلك، وأن البريء لا يعاقب (٤: ٧) قائلا:

"اذكر: من هلك وهو بريء
وأين أبيد المستقيمون
كما قد رأيت: أن الحارثين إثما
والزارعين شقاوة يحصدونها .
بنسمة الله يبيدون وبريح أنفه يفنون ."

ب . تحصد ما تزرع

نحتاج أن نذكر أنفسنا بهذه النظرة اللاهوتية التي أشترك فيها أيوب وأصدقاءه الثلاثة، والتي وردت في (٤ :٨) أن الحارثين إثما والزارعين شقاوة يحصدونها.

نعم، أنت تحصد ما تزرع، هذا هو الأساس الذي يبني عليه أليفاز محاجته. ويقف خلف هذا المبدأ اللاهوتي نظرة مفادها: أن العالم هو بناء أخلاقي متكامل، وأن الله هو الإله الصالح، الذي يكافئ الفضيلة، ويعاقب طرق الأشرار بالهلاك (مز١ : ٦).

وبطبيعة الحال، لأن كل شيء على ما يرام حتى الآن، فإن أليفاز على صواب أيضا حتى الآن.

فالكون، هو كون أخلاقي. وكما يبين المرنم في المزمور الأول، أن هناك فرقا أساسيا بين التقوى، وطرق الأشرار، وأنه لا يوجد اختيار ثالث بينهما. وكما أورد الرب يسوع في الموعظة على الجبل، أن الذين يسلكون مع الله باستقامة، يطوبون (مت ٥ : ٣).

وقد أورد الكثيرون من كتبة الوحي هذا الموضوع، كما بنيت الرسالة الأولى لبطرس الرسول (١بط ٣: ١٢) على ما ورد في (مزمور ٣٤: ١٢-١٦).

... عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم. وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم.

و يقول الرب يسوع: بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم ويزاد لكم أيها السامعون (مر ٤: ٢٤). ويشرح بولس الرسول ذات الموضوع، حينما يقول: لا تضلوا الله لا يشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد (غل ٦: ٧).

هذا هو المبدأ الأخلاقي في هذا العالم: أن هناك دينونة أخلاقية. لذلك، لا ينبغي أن ترتاع قلوبنا، ونحن نناضل لنعمل الصواب. هذا هو التطبيق الأساسي لهذا الإيمان، بالرغم من أن إنجيل النعمة في العهد الجديد يذكرنا بأنه إن كنا في المسيح؛ فإنه لا دينونة علينا من ناموس الله الأخلاقي (رو٨: ١). لأن هذا لا يلغي الجانب الآخر الذي بينه بولس الرسول، بأن المسيحيين سوف يدانون بحسب أعمالهم (١كو٣: ١٠-١٩). فالأمر يتعلق بطريقة حياتنا، لأننا نحصد ما نزرع.

وبهذا المعنى، نعرف أن أليفاز على صواب - حتى الآن. فهو يذكر أيوب بأنه يحيا في عالم أخلاقي (Moral Universe)، وأن التقوى لها مجازاتها.

ج . المنطق لا يكفي

لكن أليفاز كان أيضا خاطئا، لأنه اعتقد خطأ بأن هذا هو المبدأ اللاهوتي الوحيد على طول الخط؛ من حيث أن كل ما تحصده يجب أن يأتي من شيء قد زرعته أنت. وهو الأمر الذي يصعب تطبيقه على أيوب، ويبدل أليفاز هنا اللاهوت بالمنطق السببي Causal Logic. فهو يأخذ المبدأ اللاهوتي، ويطبقه بشكل خاطيء وغير عادل.

لذلك، يجب علينا أن نكون واعين تماما لما يحدث هنا. فاعتقادنا بأن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد، هو إقرار إيمان بكل معنى الكلمة. فنحن نؤمن أن الله صالح، هو الخالق العظيم الذي يعرف ما هو الأفضل لشعبه، ونؤمن أيضا بأنه سيدين المسكونة بالحق والعدل. لكننا لا نعرف

دائما ما هو الأفضل لنا، ولا نعرف أيضا كيف يدير الله عالمه. وفي واقع الأمر، فإن ما نراه أحيانا يبدو أنه يتعارض مع إيماننا بصلاح الله، فنصرخ مع المرنم في (مز ٧٣: ٣):

"لأني غرت من المتكبرين
إذ رأيت سلامة الأشرار".

وبكلمات أخرى، وكما رأينا في الفصل السابق، فإن هناك جانبا غامضا عن حقيقة الإيمان. لكن رغم هذا الجانب الغامض، إلا أننا لا زلنا نؤمن أن الله يكافئ الأبرار ويدين الأشرار. وحينما أقر أليفاز بذلك (أنك تحصد ما تزرع)، كان محق. ولكن حينما قلب فكرة المزمور الأول رأسا على عقب، وأكد أن النكبات التي يحصدها أيوب، ما هي إلا ثمر أفعاله؛ فقد ترك الإيمان بالله الحي مفضلا المنطق الإنساني العادي.

د. نظرة أليفاز الضيقة

يبدو أن أليفاز ما كان قابلا أن يكون الله قاضي المكافآت والدينونة، أو أن يسمح بمبدأ آخر غير العقاب والثواب. ولقد أصر على أن ما رآه بعينيه دليل على فكر الله. ولكن، وكما أعلنها (مز ٧٣) بوضوح، فإن أفعال وعناية الله قد لا تحدث بالضرورة مع توقعاتنا الحالية. فالله يعمل على تحقيق مقاصده. وحينما بدأ المرنم يرى الأمور من وجهة نظر الله؛ بدأ يفهم (مز ٧٣: ١٧). وقد فشل أليفاز في تمييز وجهة النظر السماوية من وجهة النظر الأرضية. فتناول وجهة النظر الطبيعية، السهلة، المتعلقة بالأسباب والنتائج. فالنتائج المرئية: معاناة أيوب، يجب أن تأتي من أسباب واضحة: خطايا أيوب. لذا، يجب على أيوب أن يتوقف عن الاحتجاج ببرائته، وأن يتولى أمر خطاياه التي يصر أليفاز على أنها السبب الرئيسي لآلامه الحالية.

إن هذه المعادلة السقيمة التي تربط بين الآلام والخطايا، تأتي من عملية سقيمة للمجادلة بحقائق لاهوتية ضيقة، حيال نتيجة لا مبرر لها. فالإيمان الحي بالله كلي القدرة، والصلاح، والنعمة، قد تحول إلى إيمان عقلاني، يقوم على نظرية المسببات الطبيعية.

بالتالي، ويجب أن نحذر من تطبيق منطقنا السببي Causal Logic على طرق الله، وكما قال العالم "باسكال" ذات مرة: آخر خطوة يخطوها العقل هي إدراكه لوجود عدد لا يحصى من

الأشياء التي تفوقه. وإذا لم يستطع العقل إدراك ذلك؛ كان ذلك لضعفه وفساده. فإن كانت الأمور الطبيعية فائقة للإدراك، فما بالك بالأمور الفائقة للطبيعة؟!!

نحتاج إذا أن نضع عقيدة العدالة الجزائية، في إطار قرينة محبة الله ونعمته المتفاضلة.

إن الشر الذي يأتي من الانحراف عن حياة الإيمان إلى المنطق، قد ظهر في "أليفاز الوقت الحاضر" الذي وجد في حركات الثراء المادي في الكنائس المسيحية، أولئك الذين يميلون للتركيز على البر، والغنى، أكثر من تركيزهم على الشر والمعاناة. وهم يحاجون بذلك، لأن الله يبارك الأبرار، وأن الرخاء المادي هو علامة على البركة الإلهية، وهو الأمر الذي يجب أن نسعى إليه. ولا يتطلب الأمر أن نذهب بعيدا، قبل أن نكتشف أن الرغبة في الوفر المادي تحل محل الرغبة في التقوى وحياة البر. إنها مرة أخرى نفس غلطة أليفاز، ولكن بصورة أخرى. إن الإيمان بالله الحي، قد أستبدل بمنطق مقلوب. والعالم الأخلاقي لله الخالق كلي النعمة والسلطان، قد أستبدل بعالم أصغر من الأسباب الطبيعية والقيم المادية.

لقد رافق السالكين الساقطين في هذا الطريق، والذي يشمل المجربين من السياسة، ليعادلوا الرخاء المادي بالحياة الصالحة. إنهم الذين يروا الفقر والبؤس، ليلموا أنفسهم على الورطة. هذا المنطق، هو جزء من منطق أليفاز الذي يوحي بأن الدعوة: تولوا أمر أنفسكم ، هي الاستجابة الوحيدة نحو الألم والحرمان لدى الآخرين.

هـ. رؤية أليفاز (٤: ١٢-١٧):

إن الأمر المحزن عن أليفاز، أنه يطلب أن تكون وجهة نظره بإعلان إلهي، ويصف (٤: ١٢-٢١) اختبارا دينيا غير عادي غامضا، فمن خلال الأحلام والرؤى، يكون وعيه لطرق الله.

"ثم إلي تسللت كلمة
فقبلت أذني منها ركزا.
في الهواجس من رؤى الليل
عند وقوع سبات على الناس
أصابني رعب ورعدة

فرجفت كل عظامي.
فمرت روح على وجهي
اقشعر شعر جسدي
وقفت ولكني لم أعرف منظرها
شبه قدام عيني.
سمعت صوتا منخفضا
ألإنسان أبر من الله
أم الرجل أطهر من خالقه"

تتسم هذه الأعداد ببنية غريبة، لما نتوقعه أن يكون إعلانا نهائيا، فعندما يتوهج، نجده بالأحرى منطفئا. ألإنسان أبر من الله (٤: ١٧). كلا، يا أيوب، يجب أن تتعلم أن تتولى أمر خطاياك.

وهنا، نرى أن أليفاز يجاوب أيوب بنصف الحق، فيخبره بأن المضي قدما في هذا الالتماس أمر عديم الفائدة: ادع الآن فهل لك من مجيب وإلى أي القديسين تلتفت (٥: ١). وأن عليه أن يلاحظ إنسانيته الفانية، ومشاركته في البشرية الخاطئة. ويشدد أليفان عند هذه النقطة، على تعليم الحكمة النموذجي فالإنسان مولود للمشقة كما أن الطير لارتفاع الجناح (٥: ٦-٧). وهو يعتبرها سنة الحياة؛ الأمر الذي يجعلنا نسأل: أليس هذا هو نوع من القدرية الكونية؟!

يجب أن يتوقف أيوب عن التمادي في حزنه، والدفاع عن برائته، وأن يرفع عينيه إلى الله العلي. قول أليفاز "لو كنت مكانك"، ولكني كنت أطلب إلى الله، وعلى الله أجعل أمري(٥: ٨)، ليس في صيغة اعتراض، بل في صيغة خضوع لقوة الله الخلاقة ولعدله. ثم يقدم أليفاز في أيوب (٥: ٩-١٦) تسبيحة عن صلاح الله.

و. أليفاز يمدح صلاح الله (٥: ٩-١٦)

"الفاعل عظائم لا تفحص وعجائب لا تعد .
المنزل مطرا على وجه الأرض،
والمرسل المياه على البراري.
الجاعل المتواضعين في العلى،
فيرتفع المحزونون إلى أمن .
المبطل أفكار المحتالين،
فلا تجري أيديهم قصدا .
الآخذ الحكماء بحيلتهم،
فتتهور مشورة الماكرين .
في النهار يصدمون ظلاما،
ويتلمسون في الظهيرة كما في الليل.
المنجي البائس من السيف،
من فمهم ومن يد القوي.
فيكون للذليل رجاء وتسد الخطية فاها" .

تنبني كل حجة أليفاز على اعتقاده بكمال الله أخلاقيا، وأن أيوب يجب أن يرى نفسه خاطئا في ضوء هذا الكمال. وأليفاز، هنا، قريب للحق، ولكن حتى الآن، ليس لكل الحق - كما سنرى.

ز. حديث أليفاز عن السعادة (٥: ١٧-٢٦)

يتجه أليفاز الآن، للحديث عن سعادة الإنسان الذي يتحمل أعباء الحياة وهمومها باتجاه سليم. ويرى أن المعاناة هي وسيلة الله في التهذيب والتأديب، وهو أمر حقيقي في بعض الأحيان. فكاتب الرسالة إلى العبرانيين يردد المثل: الذي يحبه الرب يؤدبه (عب ١٢: ٥-١١). ويردد أليفاز أقوالا كثيرة مشابهة لذلك في (٥: ١٧-٢٦). فهو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان (٥: ١٨). وقد أخطأ أليفاز مرة أخرى، حينما طبق هذه الأقوال على أيوب، فبين أن السعادة تعود ثانية إلى أيوب، فقط، حينما يعترف بخطاياه، وحينئذ: يعرف أيوب الأمان مرة أخرى، وتزدهر عائلته، ويتمتع بحياة قوية قبل موته (٥: ٢٤-٢٧). والآن، لنتوقف لحظة، ونحن في طريقنا، لنلاحظ عدم الحساسية المفرطة لأليفاز عند هذه النقطة. فمن غير المعقول أن تخبر شخصا قد فقد أسرته وكل ذريته في حادث أليم: بأن بيته سوف يؤمن، وأنه سوف يتمتع بأولاد كثيرين! وليس من المفضل أن تخبر شخصا يسعى للموت: بأن سنوات عمره الباقية ستصبح حياة مزدهرة! ماعدا ذلك، فقد تكلم أليفاز بجزء من الحق في غير محله.

ح. الجانب الغامض من الله

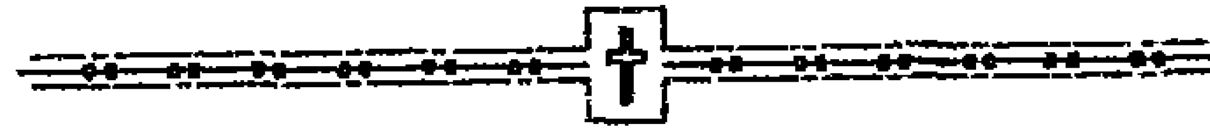
بيد أن هناك جانب من الحق لم يتحدث عنه أليفاز، وهو الجانب الحقيقي المتعلق بمشكلة أيوب. فالله الصالح والكامل أخلاقيا، كما قال أليفاز، يسمح في بعض الأحيان بأن يدير وجهه بعيدا - ليس فقط عن الطالحين، ولكن أيضا عن الصالحين والأبرار. ففي بعض الأحيان، يختبر الصالحين الجانب الغامض من الله.

ويعبر الدكتور "مارتن لليود" عن المشكلة، كما يلي:

أتذكر قصة سيدة اجتازت في واحدة من فترات القحط والجفاف، وكانت في أزمة شديدة، وكان جزء من هذه الأزمة يتعلق بحالتها الصحية. فجاء إليها العديد من أصدقائها، ليأخذوا بيدها، وكان بعضهم من خدام الإنجيل، وقد تحدث جميعهم إليها في نفس الاتجاه. فحاولوا تشجيعها بكلمات نظرية، غير مهتمين بحالتها النفسية، وهو الأمر الذي لم يجدي معها. ورغم أنها تعرف جيدا الذي تحدثوا عنه، إلا أن الأمر لم يفيد معها؛ لأن مشكلتها كانت في أنها لم تلمس البركة التي طالما اختبرتها، فقالت: أين هي تلك البركة التي أمسكت بها، حينما عرفت الرب سابقا؟!. لقد كانت هذه حالتها. الحالة التي وصفها وليم كوبر.

فلم تعنها مشورة أصدقائها؛ لأنه لا يفيد الناس أن تخبرهم قائلا: تولوا أمر أنفسكم ، و انهضوا أنفسكم ! هذا هو بالتحديد ما لا يستطيعون أن يفعلوه. لكن كان الأجدر بك أن تقول، كما قلت أنا لهذه السيدة: نعم، أنت تعلم أن هناك فترات مثل هذه في حياة القديسين. فالله في بعض الأحيان، ومن أجل مقاصده غير المعلنة، يحجب وجهه عنا ، فنظرت إلي في دهشة، وقالت: "هل هذا حقيقي؟". فقلت لها: "بالطبع نعم". وعندها قدمت لها العديد من الأمثلة والشروحات؛ سرعان ما حلت مشكلتها لأنها تمتلك الآن تفسيرا مقبولا لمحنتها .

وقد يسمح الله لنا، في بعض الأحيان، أن نمر بأزمة، يبدو فيها وجهه محتجبا عنا. ونتعلم أحيانا في هذه التجربة دروسا عظيمة في الإيمان، ما كان لنا أن نتعلمها لو لم ندخل هذه الأزمة. وهكذا، فإن أليفاز ببساطة، قد أخطأ الهدف، حينما أخبرنا بأنه علينا أن نتولى أمر أنفسنا ، وأن نتحمل مسئولية أخطائنا.



٢. الحديث الثاني لأليفاز:

(أصحاح ١٥)

أ. أليفاز يوبخ أيوب (١٥:١٥-١١)

يقع حديث أليفاز الثاني في (أصحاح ١٥). بعد أن تحدث كل من بلدد، وصوفر، وأجاب أيوب عليهما. والآن، يتحدث أليفاز مرة أخرى، باتجاه مختلف. فيخبر أيوب أولا، أنه من الشر أن تتعدى على الله (١٥: ٢-٦)، يحاصره كأنه شرير، ويتهمه مباشرة بما يهد حياة التقوى الحقيقية والتكريس لله (١٥ : ٤)! ويترجم موفات العدد الرابع إلى أنت تهد الدين بارتعادك من الله.

ومن الأعداد (١٥: ٧-١١)، نجد أن السخط قد بدا يدب في داخل أليفاز.

"أصورت أول الناس

أم أبدئت قبل التلال

هل تنصت في مجلس الله

أو قصرت الحكمة على نفسك

ماذا تعرفه ولا نعرفه نحن

وماذا تفهم وليس هو عندنا

عندنا الشيخ والأشيب

أكبر أياما من أبيك.

أقليلة عندك تعزيات الله

والكلام معك بالرفق. "

ب . ماذا يظن أيوب في نفسه؟! (١٥:١٥-١٨)

يبدو أن أليفاز يقول لأيوب: ماذا تظن في نفسك؟! ما هي استنارتك التي لا نعرفها نحن؟(١٥: ٩)، وكيف تجرؤ أن تعتبر نفسك بارا أمام الله، في حين أن الله لا يأتمن قديسيه؟ (١٥: ١٥-١٦).

ثم يلجأ أليفاز مرة أخرى إلى المنطق السببي، فيقول لأيوب: أوحي إليك اسمع لي فأحدث بما رأيته. ما أخبر به حكماء عن آبائهم فلم يكتموه (١٥:١٧-١٨).

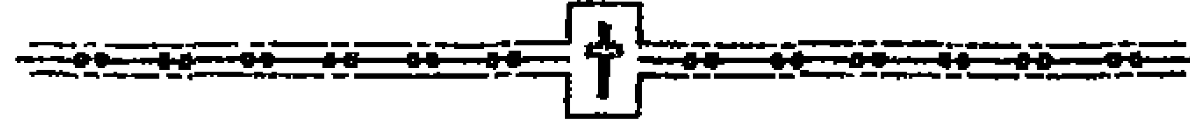
ج. الصورة التقليدية لفاعلي الشر (١٥: ٢٠-٢٢، ٣٤-٣٥)

يتكلم أليفاز بلغة الحكيم، ويبين أن المعاناة ترتبط بالأشرار (١٥: ٢٠). وتقود هذه العبارة أليفاز إلى الصورة التقليدية عن فاعلي الشر، والتي دونها في الأعداد (٢٠-٢٢؛ ٣٤-٣٥):

"الشرير هو يتلوى كل أيامه،
وكل عدد السنين المعدودة للعاتي.
صوت رعوب في أذنيه.
في ساعة سلام يأتيه المخرب.
لا يأمل الرجوع من الظلمة،
وهو مرتقب للسيف". (٢٠-٢٢)

لأن جماعة الفجار عاقر،
والنار تأكل خيام الرشوة.
حبل شقاوة وولد إثما،
وبطنه أنشأ غشا . (٣٤-٣٥)

يرسم أليفاز هنا صورة للشرير، واضعا أيوب بينهم. ويعلن أنه لا عجب أن تسير الأمور سيئة هكذا لطالما أن أيوب قد تبجحا على القدير (١٥: ٢٥).



٣. الحديث الثالث لأليفاز

(أصحاح ٢٢)

أ. هل حقا يهتم الله بأيوب؟ (٢٢: ١-٢٠)

يعتبر الحديث الثالث لأليفاز، والذي يأتي في (الأصحاح ٢٢)، محاولة جديدة للتعامل مع أيوب، في ضوء تمادي اعتراضه على الله القدير. ويدفع أليفاز الحديث إلى أقصى الطرف، فيقول: إن الله متعال جدا، حتى أنه لا يهتم بإنسان مثل أيوب على الإطلاق. ويطرح عليه الأسئلة التالية: هل تعتقد أن الله يهتم بطريقة ما باعتراضك وبرك؟! وإن انخرط في التفاصيل الصغيرة عن حياتك، هل من فائدة له؟! وهل من مسرة للقدير إذا تبررت؟! وما الذي يستفيده إذا قومت طرقك؟! (٢٢: ٣). ويضيف: حيث أن الله لا يبالي، فإن بلايا أيوب لابد وأن تكون بسبب خطاياه (٢٢: ٥).

ثم تغطي البذاءة التي في نغمة أليفاز بقية حديثه، فيبدأ في تلفيق الأدلة ضد أيوب، متهما إياه بالعديد من الخطايا. ويصرح أليفاز أن شر أيوب عظيم (٢٢: ٥)؛ وظلم عائلته (٢٢: ٦)؛ ولم يهتم بالجياع والعطشى (٢٢: ٧)؛ وساد على الأرامل واليتامى (٢٢: ٩)؛ ولهذا يتعذب أيوب الآن (٢٢: ١٠-١١).

لقد تجاوز أليفاز التقي الصالح الحدود. ويمكننا أن نغفر له هذه النظرة اللاهوتية الخاطئة، فقد سار في نفس الخط الذي يسير فيه أهل عصره، والذي ما زال سائدا فيما بيننا، عند أولئك الذين يسألون: ما الذي فعلته حتى يعاقبني الله على هذا النحو؟! ورغم أن هذا اللاهوت منحرف، إلا أنه يعكس بديهية إنسانية أساسية هي إننا نحيا في عالم أخلاقي (Moral Universe). إلا أنه من الصعب أن نغفر لأليفاز أحاديثه الظالمة، قد ظهرت على أليفاز آثار محادثته مع أيوب، وكان إحباطه لعدم توصله إلى شيء وعدم عثوره على إجابة سببا في عدم تمييزه للحق.

ب. أليفاز يناشد أيوب (٢٢: ٢١-٣٠)

أخيرا، يناشد أليفاز أيوب لأن يعود إلى الله (٢٢: ٢١-٣٠). وقد كان محقا حينما وضع التوبة شرطا لنوال بركات الله تعرف به واسلم. بذلك يأتيك خير (٢٢: ٢١). ولكن مهما كان المنطلق الذي نجده في مناشدة أليفاز إلا أنه انبنى على فهم خاطيء لموقف أيوب. ولكنه كان

محقاً، حينما قال أن معاناة أيوب، لا يمكن أن تنتهي بدون إعادة الشركة بينه وبين الله (٢٢: ٢١)؛ لأن الشركة المكسورة بين الله وأيوب هي المعانة الأكبر لدى أيوب. ولكنه يعود، ويلقي بتبعية الأمور والمسئولية على عاتق أيوب. وهذه هي هَرْطَقَة البلاجيين Pelagianism، التي تضع مسئولية علاقتنا بالله على عاتقنا فقط. **ومع أن أليفاز كان قد عظَّم كلمة الله، إلا أنه لم يتحدث مطلقاً عن النعمة. فالإنجيل الذي تقدم به أليفاز إلى أيوب، هو أن أيوب هو المسئول الأول عن نفسه.**

ج. طبيعة منطق أليفاز

تُرى، ما الذي نستخلصه من الأحاديث التي تقدم بها أليفاز؟!

إنه رجل صالح ويخاف الله، تكلم الحق في أغلب أحاديثه. فهو يتكلم من واقع اختباره لسمو الله، ومشدداً على الكمال الأخلاقي لله. كما أنه يعرف جيداً أهمية التوبة لنوال بركات الله، ولكن من خلال نظرته الضيقة، تعامل مع مشكلة أيوب مِنْ منطقه الخاص؛ الأمر الذي دفعه إلى الْمُحَاجَّة بأن أيوب يَتَأَفَّف من لا شئ. فالمعاناة ببساطة، جزء من هذا العالم! وهي إحدى الوسائل التي يستخدمها الله في تأديبنا وتهذيبنا. وكل فاعلي الشر، سوف يعانون، سواء طال بهم أو قصر العمر. لذلك، لا تضايق - يا أيوب - العلي بمشكلتك التافهة، بل ارجع وتصالح مع الله، فيصبح كل شيء على ما يُرام.

ومنْ ثَمَّ، يحاول أليفاز مساعدة أيوب على الوصول إلى جذر المشكلة، لكن من المحتمل أن يكون أيوب قد شعر أن أليفاز لم يستمع إليه ولم يتفهمه.

ويتقدم أليفاز للإجابة، بشكل مُضَخَّم (٥: ٨)، غير مبال بمشاعر أيوب (٥: ٢٤)، مدافعاً عن وجهة نظره (١٥: ٩-١٠)، بل ويبدو أنه كان متعجلاً لإدانة أيوب (٢٢: ٥ وما بعدها). وهو لم يستطع، ولن يستطيع أن يصل إلى أهَمِّيَّة دفاع أيوب. وكأني بأيوب يقول في محاجته : "نعم أنا أعرف أن الله يؤدبنا بالمعاناة، ولكني لم أفعل شيئاً يستوجب التأديب! نعم أعلم أن الله يعاقب على الشر، ولكني لم أفعل شراً وفقا لهذا المعيار! وزيادة على ذلك فإني أؤمن بأن الإله العظيم الذي تحدثت عنه يهتم بتفاصيل الحياة، أو ما نطلق عليه توافه الحياة، **وهذه هي مشكلتي: لماذا يبدو لي وكأن الله لا يهتم بي؟!".**

ويبدو أن هذه هي النغمة التي تَنَاوَلَها هيلموت ثيليك Helmut Thielicke في كتابه "العقيدة"، فكتب:

أخبرني بمدى علو الله عنك، فأخبرك بقلة أهميته عندك. وقد تكون هذه بَدِيهيَّة لاهوتية، فالإله المرتفع لم يعد يهتم بحياتي الخاصة. لا شك أن ذلك من المستغرب، ولكنه حقيقي: لقد صار الله ذا أهمية بالنسبة لي؛ لأنه جعل نفسه أصغر من درب التبانة (المجرة الشمسية)، فهو متاح فقط في تلك الغرفة الصغير التي أعالج فيها وأنا أتنفس بصعوبة، أو يعتني بطلبة طفل لأجل دراجة. فهو يعتني بي، لأن المسيح قد أخذ قلقي وذنبي الشخصي في نفسه. (١)

نعم، يهتم الله بتفاصيل حياتنا التي تبدو تافهة، وهكذا كان أيوب قريباً من الحق الذي في المسيح، أكثر من أليفاز.



(١) Thielicke, I Belive, P.33.

ثانياً: أحاديث بلدد

يختلف "بلدد" عن "أليفاز". فهو مُتَمَسِّكٌ بِالتَّقَالِيد حتى النخاع[١]، ويستند إلى الكتب. وتأتي استنارته لا من الخبرة (مثل أليفاز)، بل من العلم والمعرفة. ويقتبس "جونس" Jones عن "ترين" Terrien بأن مصدر استنارة بلدد يأتي - لا من العشرة مع الإله الحي، بل من التعليم المدرسي وحكمة الأقدمين، ويضيف أن بلدد، مثال اللاهوتي الذي يقتبس من الماضي، دون أن يُدرك أن الحاضر يتطلب إعادة التفكير في صِيَغ الأجيال السابقة التي لم تعد مُنَاسِبة بعد[٢].

فهو لاهوتي واضح، ولكنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالماضي.

---

(١) Jones,P.33

(٢) المرجع السابق: صـ ٤٩

١. الحديث الأول لبلدد

(٨: ٣-٧)

يأتي الحديث الأول لبلدد في الأصحاح الثامن، ويُفتتح بنغمة من الضجر ضد أيوب؛ فيقول: إلى متى تقول هذا وتكون أقوال فيك ريحاً شديدة (٨: ٢). ويستمر في حديثه، ليُبَيِّن أن بني أيوب قد ماتوا بسبب خطاياهم (٨: ٤). ولكن بلدد يتمتع بحس قوي نحو قوة وعدالة الله.

"هَلِ اللهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ
أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكِسُ الْحَقَّ
إِذْ أَخْطَأَ إِلَيْهِ بَنُوكَ
دَفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مَعْصِيَتِهِمْ.
فَإِنْ بَكَّرْتَ أَنْتَ إِلَى اللهِ
وَتَضَرَّعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ زَكِيًّا مُسْتَقِيمًا
فَإِنَّهُ الآنَ يَتَنَبَّهُ لَكَ
وَيُسْلِمُ مَسْكَنَ بِرِّكَ.
وَإِنْ تَكُنْ أُولاَكَ صَغِيرَةً
فَآخِرَتُكَ تَكْثُرُ جِدًّا".

أ. عدالة الله

وبَيْنَمَا يتحدث أليفاز عن سمو قداسة الله العلي، يتحدث بلدد أكثر عن سلطان الله وعن عدله الحازم، فيسأل في (٨: ٣) "هل يعوج الله القضاء" أو "هل القدير يعكس الحق"، فبر الله وعدله

ثابتان. لذا، يَجْبُر بلدد أيوب عن التطلع إلى الله. فإنْ تطلعت إلى الله؛ فإن الله سوف .. ينتبه لك ويسلم مسكن برك (٨: ٦). ولقد كان بلدد يعرف أن هناك شيئاً خاطئاً في علاقة أيوب مع الله. فطلب إلى أيوب أن يثق في الرب، وهو محق في هذا. وقد احتوت كتابات الحكمة على أقوال مشابهة لما ذكره بلدد (أم ٣: ٥-٦).

ب. طَلَبُ الحكمة القديمة (٨: ١١ ١٩)

"هَلْ يَنْمِي الْبَرْدِيُّ فِي غَيْرِ الْغَمِقَةِ
أَوْ تَنْبُتُ الْحَلْفَاءُ بِلاَ مَاءٍ
وَهُوَ بَعْدُ فِي نَضَارَتِهِ لَمْ يُقْطَعْ
يَيْبَسُ قَبْلَ كُلِّ الْعُشْبِ.
هكَذَا سُبُلُ كُلِّ النَّاسِينَ اللهَ
وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ
فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ
وَمُتَّكَلُهُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ
يَسْتَنِدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلاَ يَثْبُتُ.
يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلاَ يَقُومُ.
هُوَ رَطْبٌ تُجَاهَ الشَّمْسِ
وَعَلَى جَنَّتِهِ تَنْبُتُ خَرَاعِيبُهُ.
وَأُصُولُهُ مُشْتَبِكَةٌ فِي الرُّجْمَةِ
فَتَرَى مَحَلَّ الْحِجَارَةِ.
إِنِ اقْتَلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ

يَجْحَدُهُ قَائِلاً: مَا رَأَيْتُكَ
هذَا هُوَ فَرَحُ طَرِيقِهِ
وَمِنَ التُّرَابِ يَنْبُتُ آخَرُ".

يعكس بلدد في الكثير من حديثه تعليم الأجداد الصالحين، ويحتكم إليهم في (٨: ٨-١٠)، وكان بلدد قد خبَر أيوب بأن كل شئ سيعود إلى ما يرام. وُضَمِّن ملاحظة كئيبة وهي أن عقاب الله للأشرار سوف يُرى، حتى وإن احتاج الأمر أكثر من جيل حتى يتحقق.

لكن الله عادل، أي لا يظلم أحدا. ويقول بلدد أنظر إلى العالم الذي حولك. فالشر ينال مجازاته حتى وإن كان هذا الشر، هشاً كخيط العنكبوت (٨: ١٤)، أو مثل العشب الذي ما أن ينبت ويشتد عوده حتى يهلك في الأرض التي نما فيها(٨: ١٦).

ويجذب بلدد انتباه أيوب مرة أخرى، بأن كل شيء سيصبح على ما يرام! فيقول: هُوَذَا اللّهُ لاَ يَرْفُضُ الْكَامِلَ وَلاَ يَأْخُذُ بِيَدِ فَاعِلِي الشَّرِّ. عِنْدَمَا يَمْلأُ فَاكَ ضِحْكاً وَشَفَتَيْكَ هُتَافًا. يَلْبِسُ مُبْغِضُوكَ خِزْيًا. أَمَّا خَيْمَةُ الأَشْرَارِ فَلاَ تَكُونُ (٨: ٢٠-٢٢). ويستعير بلدد الاتجاهات الواردة في مزموري (١٢٦: ٢؛ ١٣٢: ١٨)، واللذان يُبينان أن كل شيء سيؤول في النهاية إلى خير الأبرار.



٢. الحديث الثاني لبلدد

(أصحاح ١٨)

"نَعَمْ نُورُ الأَشْرَارِ يَنْطَفِئُ
وَلاَ يُضِيءُ لَهِيبُ نَارِهِ.
اَلنُّورُ يُظْلِمُ فِي خَيْمَتِهِ
وَسِرَاجُهُ فَوْقَهُ يَنْطَفِئُ.
تَقْصُرُ خَطَوَاتُ قُوَّتِهِ
وَتَصْرَعُهُ مَشُورَتُهُ.
لأَنَّ رِجْلَيْهِ تَدْفَعَانِهِ فِي الْمِصْلاَةِ
فَيَمْشِي إِلَى شَبَكَةٍ.
يُمْسِكُ الْفَخُّ بِعَقِبِهِ
وَتَتَمَكَّنُ مِنْهُ الشَّرَكُ.
مَطْمُورَةٌ فِي الأَرْضِ حِبَالَتُهُ
وَمِصْيَدَتُهُ فِي السَّبِيلِ.
تُرْهِبُهُ أَهْوَالٌ مِنْ حَوْلِهِ
وَتَذْعَرُهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ.
تَكُونُ قُوَّتُهُ جَائِعَةً
وَالْبَوَارُ مُهَيَّأً بِجَانِبِهِ.
يَأْكُلُ أَعْضَاءَ جَسَدِهِ.

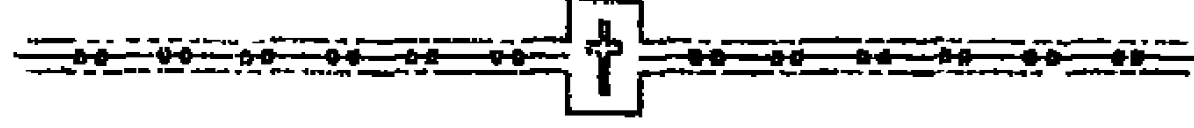
يَأْكُلُ أَعْضَاءَهُ بِكْرُ الْمَوْتِ.
يَنْقَطِعُ عَنْ خَيْمَتِهِ عَنِ اعْتِمَادِهِ
وَيُسَاقُ إِلَى مَلِكِ الأَهْوَالِ.
يَسْكُنُ فِي خَيْمَتِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ.
يُذَرُّ عَلَى مَرْبِضِهِ كِبْرِيتٌ.
مِنْ تَحْتُ تَيْبَسُ أُصُولُهُ
وَمِنْ فَوْقُ يُقْطَعُ فَرْعُهُ.
ذِكْرُهُ يَبِيدُ مِنَ الأَرْضِ
وَلاَ اسْمَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْبَرِّ.
يُدْفَعُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ
وَمِنَ الْمَسْكُونَةِ يُطْرَدُ.
لاَ نَسْلَ وَلاَ عَقِبَ لَهُ بَيْنَ شَعْبِهِ
وَلاَ شَارِدَ فِي مَحَالِّهِ.
يَتَعَجَّبُ مِنْ يَوْمِهِ الْمُتَأَخِّرُونَ
وَيَقْشَعِرُّ الأَقْدَمُونَ.
إِنَّمَا تِلْكَ مَسَاكِنُ فَاعِلِي الشَّرِّ
وَهذَا مَقَامُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ اللهَ".

يأتي الحديث الثاني لبلدد في الأصحاح الثامن عشر، فبعد أن جاوب أيوب بلدد على حديثه الأول، قال بلدد متأثراً: إلى متى تضعون إشراكاً للكلام (١٨ : ٢)، ويلح قائلاً: تعقلوا (١٨ : ٢)، كما لو كان ذلك هو ما يحتاجه أيوب! ويتمادى بلدد في سُخْرِيَته، ويقول:

لماذا حسبنا كالبهيمة وصرنا أغبياء عندكم* (١٨: ٣). وقد قاده هذا إلى حديث آخر عن قَدَر الأشرار، ففي الأعداد السابقة (٥ - ٢١) يتحدث عن الخوف والرعب واليأس الذي ينتاب الناس الأشرار.

إن الإنسان الشرير يجب أن يُطرد من النور إلى الظلمة، وهو الأمر الذي يرعب الناس. ويرى بلدد أن أيوب في طريقه ليكون نظير أولئك الأشرار، ولكنه قد ينجو من ذلك، لو تعقل واستمع إلى حكمة الآخرين، لتقوده إلى حالة فكرية أفضل مما هو عليه الآن.

وكما كان مع أليفاز، فإن الحديث الأول لبلدد ركّز على طبيعة الله، وقد طبَّق ذلك في حديثه الثاني على مصير الأشرار الذين ضم بينهم أيوب. وكما قلنا عن أليفاز، فإن الكثير من أقوال بلدد، أقوال حقيقية ولكن بشكل عام. وقد فشل في التعامل مع موقف أيوب، كما فشل أليفاز.



* بحسب الترجمة الإنجليزية (RV).

٣. الحديث الثالث لبلدد

(أصحاح ٢٥)

يرى كثير من المفسرين أن حديث بلدد الثالث يتضمن ليس فقط ما ورد في (الأصحاح ٢٥)، بل أيضاً فقرات أخرى غير منسوبة إليه مما وردت في (٢٦: ٥-١٤). ومع أن نغمة الجزء الثاني من (أصحاح ٢٦) تتفق مع فكر بلدد في تعظيم قدرة الله الخالقة، فمن المحتمل جداً أن أيوب - في تلك الفقرة - كان يؤكد ما أورده بلدد عن الله، وأن هذا ليس جواباً على المشكلة الخاصة به.

أ. كيف يتبرر إنسان أمام هذا الإله؟ (٢٦: ٧-١٣)

يبدو واضحاً أن (الأصحاح ٢٥)، يبدأ بتقرير بلدد الرائع عن قوة الله، فيقول: السلطان والهيبة عنده. هو صانع السلام في أعاليه هل من عدد لجنوده وعلى مَنْ لا يشرق نوره (٢٥: ٢،٣).

ثم يمضي في حديثه، ليستخلص في النهاية بأنه لا يوجد ما يسمى بالكمال على الأرض: فكيف يتبرر الإنسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة (٢٥: ٤).

وتستمر نغمة تعظيم الإله المهوب في (٢٦: ٥-١٤) في شكل وصف رائع لقوة الله الخالقة، بغض النظر عما إذا كان هذا حديث بلدد أو جزء من جواب أيوب.

"يَمُدُّ الشَّمَالَ عَلَى الْخَلاَءِ
وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى لاَ شَيْءٍ.
يَصُرُّ الْمِيَاهَ فِي سُحُبِهِ
فَلاَ يَتَمَزَّقُ الْغَيْمُ تَحْتَهَا.
يَحْجِبُ وَجْهَ كُرْسِيِّهِ
بَاسِطًا عَلَيْهِ سَحَابَهُ.
رَسَمَ حَدًّا عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ

عِنْدَ اتِّصَالِ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ.
أَعْمِدَةُ السَّمَاوَاتِ تَرْتَعِدُ
وَتَرْتَاعُ مِنْ زَجْرِهِ.
بِقُوَّتِهِ يُزْعِجُ الْبَحْرَ
وَبِفَهْمِهِ يَسْحَقُ رَهَبَ.
بِنَفْخَتِهِ السَّمَاوَاتُ مُسْفِرَةٌ
وَيَدَاهُ أَبْدَأَتَا الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ".

ويمضي الكاتب فيقول: "ها هذه أطراف طرقه" (٢٦: ١٤)، وبعدها يعطينا لمحة عن مذهب اللاأدْرِيِّينَ(agnosticism)، حينما يقول: وما أخفض الكلام الذي نسمعه منه. وأما رعد جبروته فمن يفهم (٢٦: ١٤-١٥).

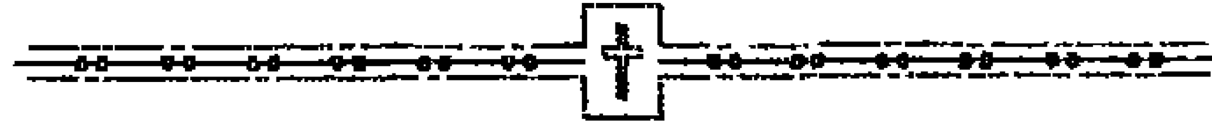
ب. بلدد بعيد عن الهدف

لقد بنى بلدد حديثه على عقيدة قويمة، مفادها أن الله هو: الخالق، والعادل، وكلي القدرة. وهذا هو إله بلدد ومعلميه، إنه إله الجبروت والسلطان والقوة. لكنه فشل مثلما فشل أليفاز في تحديد المشكلة الحقيقية لأيوب، إذْ أنَّ أيوب أيضاً قد آمن بهذه العقائد. فسواء آمن أيوب أو لم يؤمن، فإن هذه ليست المشكلة في وقت الألم والذهول، لكن المشكلة هي أن عقائد أيوب لم تتوافق مع اختباره. وتختلف المشكلة عند أيوب، فيسأل: لماذا لا تأتي إليَّ يا رب وأنت الإله العظيم؟! لماذا يبدو الله الذي أعلن نفسه في الطبيعة، غامضاً لي؟! لماذا لا تتعامل معي بعدل؟! أ لعلي دُمْيَة في يد كُلي القدرة؟! لماذا يبدو وكأنه لا يهتم بي على الإطلاق؟!

ج. الإصغاء

إن إعْلان بلدد غير الملائم عن الحق، ينبهنا إلى الأهمية الحيوية للاستماع إلى درجة الإصغاء. وهذا لا ينطبق فقط على مَنْ يقومون بخدمة المشورة، بل أيضاً على مَنْ يقومون بخدمة

الوعظ. إن بلدد لم يسمع من أيوب احتياجاته الحقيقية، لذا نجد أن وعظه، حتى وإن كان حقيقياً، إلا أنه لم يصب الهدف. فنحن جميعنا نعرف نوعية الوعظ الذي يشغل قلوبنا، ويلمس احتياجاتنا الحقيقية، والذي يُبيّن مدى فهم الواعظ لحالتنا البشرية، وسعيه لتلمس طريقه، سواء إلى النصوص الكتابية، أو إلى قلوب سامعيه. فتكون العظة بمثابة الجسر الذي يربط بين كلمة الله وقلوب سامعيه. فتلمس، حينئذ، الكلمة بقوة نبوية داخلنا. وتكون فرصة لأن نتغير، وأن نتلامس مع الله الحي، ونستمع إلى كلمته المنعشة، أياً كان احتياجنا. كما أننا نعرف أيضاً ذلك النوع من الوعظ التقليدي، الجاف، الذي لا ينفذ إلى القلب، والمنفصل عن واقع الناس، الذي يغوص في النواحي الأكاديمية، والذي يتعالى على أفكارنا، ولا يتقابل مع احتياجاتنا. فالنوع الأول من الوعظ، هو موهبة صادقة، تجدها في أولئك الذين تدربوا على خدمة الإصغاء إلى أصحاب تجارب الألم والمعاناة. أما النوع الثاني، فهو الطريق الذي قد سلكه بلدد.



ثالثاً: حديث صوفر

إن صوفر هو المتحدث الثالث، وهو يتصف بالفظاظة في حديثه. إنه على قائمة أولئك الذين لا نقدر أن نعيش سعداء، لو لم نتمكن من رؤيتهم ثانية! فهو: وقح، ذو عقلية مُتَزَمِّتة، ويعتبر من المُضْجِرين، أو ربما مثل الطالب الذي تخرج حديثاً في الجامعة، ويعتقد أنه يعرف كل شيء. ويقول عنه "روبرت جورديس": لا يترك للحقائق أن تتدخل في نظرياته[٣].

---

[٣] Gordies,p.77.

١. الحديث الأول لصوفر

(أصحاح ١١)

أ. صوفر يوبخ أيوب (١١: ٢-٦)

حتى هذا الجزء من سفر أيوب، نكون قد استمعنا إلى الحديثين الأولين لكل من أليفاز وبلدد، ورد أيوب عليهما. ويبدو واضحاً أن صوفر ناقم على اعتراضات أيوب المتواصلة، ويتهمه بأنه صاحب كلام تافه، فيقول له: أكثرة الكلام لا يجاوب أم رجل مهذار يتبرَّر. أصلفك يُفحم الناس أم تلغُّ وليس من يخزيك (١١: ٢،٣). ويوبِّخ أيوب بازدراء، لتمسكه باعتراضه ببرائته، وبإحساس الظلم الذي دُوِّنَ في (١١: ٤-٥)، إذ تقول تعليمي ذكي وأنا بار في عينيك (أي الله) ولكن يا ليت الله يتكلم ويفتح شفتيه معك.

ب. صوفر يُعلّي حكمة الله (١١ : ٧ ٩)

ويضيف صوفر في كلمات رائعة، ولكن بنغمة متحرِّية:

"أَإِلَى عُمْقِ اللهِ تَتَّصِلُ
أَمْ إِلَى نِهَايَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي
هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ
فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ
أَعْمَقُ مِنَ الْهَاوِيَةِ
فَمَاذَا تَدْرِي
أَطْوَلُ مِنَ الأَرْضِ طُولُهُ
وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ".

لقد كان أحرى بصوفر أن يوَّجه هذا الحديث لنفسه!

إنـه يستند في محاجاتـه، على الله كلي العلم، وعلى حكمـة الله الغامضـة، وبـالطبع علـى أحاسيسه الدفينة. ويعلن أنه، رغم أن هنـاك أموراً كثيرة في العـالم تمثـل لغـزا أمامنـا، إلا أن الله يبقى عادلاً. وخلف نظرة صوفر. مثل أليفاز. توجد نظرة إلى العالم الذي يجب أن يُعاقب الشر فيه: لأنـه هو يعلم أنـاس السوء ويبصر الإثـم فـهل لا يتنبـه (١١:١١). ولكـن يبـدو أن صوفـر يحـوِّل هَـذا إلى قانون للعقاب الإلهي: أنت تزرع؛ إذاً يجب أن تحصد ما زرعته. وهكذا يناشد أيوب ويدفعه إلى التوبة.

ج. طريق التوبة (١١: ١٣-١٤)

يضع صوفر في العددين (١٣. ١٤)، خطوات أربع للتوبة والبركات الناجمة عنها.

"إِنْ أَعْدَدْتَ أَنْتَ قَلْبَكَ
وَبَسَطْتَ إِلَيْهِ يَدَيْكَ.
إِنْ أَبْعَدْتَ الإِثْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ
وَلاَ يَسْكُنُ الظُّلْمُ فِي خَيْمَتِكَ
حِينَئِذٍ تَرْفَعُ وَجْهَكَ بِلاَ عَيْبٍ
وَتَكُونُ ثَابِتًا وَلاَ تَخَافُ.
لأَنَّكَ تَنْسَى الْمَشَقَّةَ.
كَمِيَاهٍ عَبَرَتْ تَذْكُرُهَا.
وَفَوْقَ الظَّهِيرَةِ يَقُومُ حَظُّكَ.
الظَّلاَمُ يَتَحَوَّلُ صَبَاحًا.
وَتَطْمَئِنُّ لأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءٌ.
تَتَجَسَّسُ حَوْلَكَ وَتَضْطَجِعُ آمِنًا.

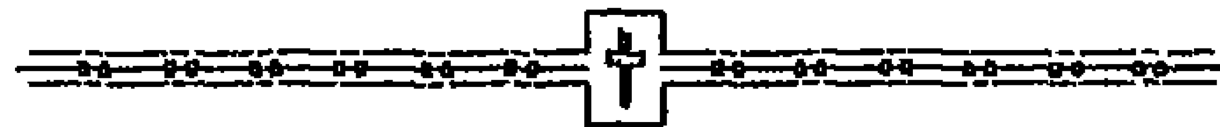
وَتَرْبِضُ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُ
وَيَتَضَرَّعُ إِلَى وَجْهِكَ كَثِيرُونَ" .

إن الخطوة الأولى في طريق التوبة: تكريس القلب لله؛ والثانية: أن ترفع يديك في تضرع وتذلل إليه؛ والثالثة: أن تطرح بعيداً الخطية التي في يدك (الأمور الخاطئة التي تفعلها الآن)، والرابعة: لا تسمح لأي إثم أن يسكن في خيمتك، فكل نواحي حياتك يجب أن تكون خالية من الشر.فإن قمت - يا أيوب - بهذه الخطوات؛ فإن بركات التائب لا بد وأن تحل عليك.

ويرسم صوفر من الأعداد (١٥-١٩)، صورة لهذه البركات، والتي تتمثل في الآتي: سوف ترفع وجهك بدون خجل، سوف تقف ثابتاً دون خوف، سوف تنسى متاعبك، سوف تكون حياتك أكثر إشراقًا من الظهيرة؛ سوف تكون آمناً لأن لك رجاء، وتَرْقُد في أمان؛ ترقد غير خائف من أحد.

وصوفر على حق حينما يقول: إن حياة الإيمان يجب أن تتأسس على الطاعة والصبر، وإن الله يعطي بركة الرجاء والأمن والسلام لشعبه. لكنه مثل صديقيه يقول نصف الحق، فكان مخطئاً حينما نسى أن الله يسمح أيضاً، في بعض الأحيان، بأمور تبدو غير عادلة لمن يعاني منها. وكان مخطئاً حينما افترض أن التوبة هي الجواب المناسب على اعتراضات أيوب.

وهذه هي خلاصة حديثه: سوف تعود السعادة إلى أيوب، فقط، حينما يتوب. وإن لم يتب؛ فإنه سيسلك طريق غيره من الأشرار (١١: ٢٠). لقد أخطأ صوفر بشكْل وَحْشِيّ في تقدير الاحتياجات العميقة لأيوب. مثلما فعل صديقاه الآخران. حينما فشل في رؤية الموقف الحقيقي لأيوب.



٢. الحديث الثاني لصوفر:

(أصحاح ٢٠)

أ. صوفر يفقد صبره (٢٠: ٢٥ ٢٩)

لا تبدو هناك معونة في الحديث الثاني لصوفر، والذي يأتي في (الأصحاح ٢٠). ويخبر صوفر أيوب مرة ثانية، ولكن بتبَرُّم، عن المصير المنتظر للأشرار (٢٠: ٢)، ثم يجيء بيت القصيد عن مصيرهم مع نهاية الأصحاح:

> عَلَيْهِ رُعُوبٌ.
> كُلُّ ظُلْمَةٍ مُخْتَبَأَةٌ لِذَخَائِرِهِ.
> تَأْكُلُهُ نَارٌ لَمْ تُنْفَخْ.
> تَرْعَى الْبَقِيَّةَ فِي خَيْمَتِهِ.
> السَّمَاوَاتُ تُعْلِنُ إِثْمَهُ
> وَالأَرْضُ تَنْهَضُ عَلَيْهِ.
> تَزُولُ غَلَّةُ بَيْتِهِ.
> تُهْرَاقُ فِي يَوْمِ غَضَبِهِ.
> هذَا نَصِيبُ الإِنْسَانِ الشِّرِّيرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ
> وَمِيرَاثُ أَمْرِهِ مِنَ الْقَدِيرِ.

وإذا تتبعنا أولئك المفسرون الذين يعتقدوا أن الحديث الثالث لصوفر يوجد في (٢٧: ١٣-٢٣)، فإننا سنجد أيضاً ذات النغمة.

"هذَا نَصِيبُ الإِنْسَانِ الشِّرِّيرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمِيرَاثُ الْعُتَاةِ الَّذِي يَنَالُونَهُ مِنَ الْقَدِيرِ.

إِنْ كَثُرَ بَنُوهُ فَلِلسَّيْفِ وَذُرِّيَّتُهُ لاَ تَشْبَعُ خُبْزًا .
بَقِيَّتُهُ تُدْفَنُ بِالْمَوْتَانِ وَأَرَامِلُهُ لاَ تَبْكِي.
إِنْ كَنَزَ فِضَّةً كَالتُّرَابِ وَأَعَدَّ مَلاَبِسَ كَالطِّينِ
فَهُوَ يُعِدُّ وَالْبَارُّ يَلْبَسُهُ وَالْبَرِئُ يَقْسِمُ الْفِضَّةَ.
يَبْنِي بَيْتَهُ كَالْعُثِّ أَوْ كَمَظَلَّةٍ صَنَعَهَا النَّاطُورُ.
يَضْطَجِعُ غَنِيًّا وَلكِنَّهُ لاَ يُضَمُّ. يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَلاَ يَكُونُ.
الأَهْوَالُ تُدْرِكُهُ كَالْمِيَاهِ. لَيْلاً تَخْتَطِفُهُ الزَّوْبَعَةُ.
تَحْمِلُهُ الشَّرْقِيَّةُ فَيَذْهَبُ وَتَجْرُفُهُ مِنْ مَكَانِهِ.
يُلْقِي اللهُ عَلَيْهِ وَلاَ يُشْفِقُ. مِنْ يَدِهِ يَهْرُبُ هَرْبًا .
يَصْفِقُونَ عَلَيْهِ بِأَيْدِيهِمْ وَيَصْفِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَانِهِ" .(٢٧: ١٣-٢٣)

يبدو "صوفر"، هنا، قاسياً وغير متعاطف مع أيوب، فهو إنسان لا يهتم إلا بأفكاره، وغير قادر بالتمام على التلامس مع احتياجات أيوب الحقيقية.

ب. مشورة صوفر

يبدو واضحاً أن صوفر لا يتمتع بشخصية المُشير الفعَّال، وقد حدد كل من "تشارس تريكس" Truax و"روبرت كارخوف" Carkhuff، اللذان قدما مسحًا شاملاً لكتابات الحكمة المتاحة [1]. حددا أربع سمات جوهرية للمشورة الفعالة: الصدق، واللطف، والتعاطف.

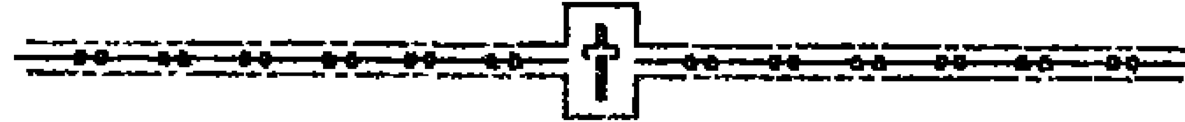
الصدق: يُقصد به وعي المشير بذاته، وبضعفاته، وعدم شعوره بالكفاءة الذاتية في تقديم المعونة للآخرين. والمشير الصادق، لا يهتم بشكل مفرط بمكانته أو دوره. واحترامه للمستشير يجب ألا يكون مُصْطَنَعاً.

(1) Truex and Carkhuff, Towards Effective Counseling and Psychotherapy.1967

اللطف: يرى "تشارس" و"كارخوف" أن اللطف هو توصيل القبول الإيجابي والاهتمام الأصيل بالآخرين. ويعني أيضاً عدم الإدانة، أي عدم تقبيح الآخرين، على أن هذا لا يعني إغفال أخطاء الآخرين [1].

التعاطف: يُقصد به قدرة المشير على فهم مشكلة المستشير، والإحساس به، دون أن يغرق في مشكلته. ويكون لسان حال المشير أنا معك في ألمك، وأفهم ما تشعر به. وكما علَّق "روجر هيردنج"، فقال: يتعاطف المشير في بعض الأحيان، بطيبِ نَفْس، لأنه قد عانى وتعلم من معاناته. ونلمس هذا الموقف في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس، حيث يكتب إليهم قائلاً: مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية الذي يعزينا في كل ضيقاتنا حتى نستطيع أن نعزي الذين هم في كل ضيقة بالتعزية التي بها نتعزى نحن من الله (٢كو١: ٣-٤).

ومن المحزن أيضاً أن صوفر لم يكن صادقاً، ولا لطيفاً، ولا متعاطفاً مع الآخرين على الإطلاق.



[1] المرجع السابق، صفحة ٣٣.

٢. خلاصة نظرة الأصدقاء الثلاثة

لقد عَرَضْنا وجهة نظر أليفاز ومنطقه، حيث وضع تَبْرِيراته فوق الإيمان بالله الحي. ولاحظنا بلدد، المتمسك بالتقليد، والذي يعظ بلسان حاد وأفق ضيق، الذي يميل إلى الكلام أكثر من السمع. ووقفنا وجها لوجه مع صوفر، المشير المُتعَجْرِف، الذي يتسم منهجه بالتسَرُّع والمُوَاجَهَة التي لا تتراجع.

ولكن تُرى ... إلى أين تأخذنا كل هذه الأشياء؟! فالأصدقاء الثلاثة أعلنوا الحق، ولكن بصورة جزئية. وكانوا يدافعون عن نظرتهم بأن هذا العالم، يسيطر عليه ويتحكم فيه إله - ليس قديراً فحسب، بل أيضاً صالحاً وعادلاً. فقد جادلوا بأن هذا العالم يتأسَّس على قداسة، وعدل، وحكمة الله. وكانوا محقين في هذا، لأن قداسة، وعدل وحكمة الله ليست من بنات أفكارنا ومشاعرنا، بل هي حقائق أزلية. ولعل الأصدقاء قد اعتقدوا أن أيوب يستند بشكل مبالغ على مشاعره أكثر من إيمانه. وهكذا كان مضمون رسالتهم: **هناك نظام أخلاقي موضوعي في العالم، شيْءٌ ما خارج نفوسنا ويسود علينا.**

وهكذا، نجد أن "أليفاز" يجادل من واقع اختباره لقداسة الله الفريدة، ويُجادل "بلدد" من التقليد المتعارف عليه عن قوة وبر وعدل الله. أما "صوفر" فيُجادل من جرعة زائدة لما يدعوه فهمه الطبيعي لغموض الله وحكمته العالمة بكل شيء. **فكل الأصدقاء أعلنوا الحق أو على الأقل جزء من الحق. غير أنهم فقدوا احتياجات أيوب الحقيقية.**

أ . نقاط بدء جديدة

يجب أن نتوقف هنا، لنلاحظ فرقاً جوهرياً هاماً بين الأصدقاء الثلاثة. فقد بدأ الثلاثة بمفهومهم عن الله، وتحركوا إلى التطبيقات العملية لنظرتهم هذه عن الله، من خلال الاحتياج الرعوي أو المشورة لأجل أيوب. ومع ذلك، فهناك نقاط خلاف بينهم. ويبدو أن هذا بسبب اهتمامات رعوية معينة. **فالصورة التي عندنا عن الله، والتشبيهات المجازية التي تقود فكرنا نحوه، في غاية الأهمية بالنسبة للطريقة التي بها نشكل إطار المشاكل الأخلاقية والرعوية التي تواجهنا.** فإن شاركنا "أليفاز"؛ فإننا مبدئياً سوف نفكر في الله كالقدوس، وسوف نتناول الموقف الرعوي

بطريقة ما. وإن شاركنا "بلدد"، فسنبدأ من عدل الله، وندخل الموقف بمنظور آخر. ولو شاركنا "صوفر"، فإن النغمة الرئيسية هي الله كلي العلم، وهكذا سيختلف المدخل مرة أخرى.

وقد قدم "رتشارد نبوهر" Niebhour,s في كتابه "النفس المسئولة"، ثلاثة مداخل أساسية لشكلة المسئولية الرعوية، في ضوء الإِسْتِعَارَات المقدمة عن الله.[1] فالبعض يبدأ من زاوية الله (الخالق)، والبعض يبدأ بالله (المصالح)، والفريق الثالث يبدأ من زاوية الله (الفادي). وتَغْدُو الأسئلة الأخلاقية في كل حالة: ما هو الصواب؟ ما هو الصالح؟ ما هو المناسب؟ وتُفهم المهمة الأخلاقية، تبعاً للبحث عن مبادىء الأفعال الصحيحة، أو التوجيهات الصالحة التي تُبيِّن لنا الطريق الأفضل، أو في الإجابة على السؤال: كيف نتجاوب مع أفعال الله في هذا العالم؟!. وهكذا، فإن المداخل السابقة للأخلاق والمبادئ المسيحية، يمكن أن نُفهم على أنها إِسْتِعَارَات إرشادية عن طبيعة الله. ويبدو واضحاً أن المداخل الثلاثة مهمة، وأنه يجب وضعها في الاعتبار.

وتحتم استعاراتنا الإرشادية عن طبيعة الله النواحي التي تتكون منها أسئلتنا الأخلاقية و الرعوية. فلو بدأنا بالله (الخالق)، ومعطي الناموس؛ فقد نجد أن القاسم الأعظم من أحاديثنا يدور حول: طاعة الأوامر الإلهية، والخطية، والحاجة إلى التوبة. وإن بدأنا من رحمة الله (الفادي)، فقد نرى مساءل أخلاقية في تعبيرات، تصف انحرافنا عن المبادئ الإلهية ورحلة الإيمان. وإن بدأنا من الله (المحب)؛ فقد نُشدد مبدئياً على الأخلاق الشخصية والحاجة إلى القبول والفهم المتبادل. وكثير من المنخرطين في الجدل السابق عن الأخلاق الشخصية، على سبيل المثال، لا يتوافقون مع ببعضهم البعض، بسبب اختلاف نقطة البداية لكل منهم، ولأن كل منهم يسلك في اتجاه مختلف. والنتائج الرعوية والأخلاقية التي نصل إليها، سوف تعتمد إلى درجة كبيرة على الاستعارات الإرشادية عن الله، والتي بدأنا منها.

ب . تحذير

لقد فكَّر أصدقاء أيوب الثلاثة في الله بشكل مختلف، وحاول ثلاثتهم مساعدة أيوب، وفشل ثلاثتهم! وهم يقفون أمامنا كمثل تحذيري، **فأن تعلن حق الله، شيء، ولكن أن تطبِّق هذا الحق بصورة غير ملائمة، شيء آخر.** فأليفاز تخطى مشكلة أيوب، بالحديث عن شيء آخر. ونظرة "بلدد"

[1] Niebhour,s, The Responsible self (Harper&Row, 1979).

للنظام الأخلاقي كانت ضيقة، ولم تلمس احتياجات أيوب الحقيقية. و"صوفر" اعتقد أنه يرى الأمور واضحة أكثر مما تعني من داخلها. ولَعَلَّهم لم يتحملوا أن يروا صديقهم في هذه الآلام، وربما لم يجتازوا في مثل هذه الآلام.

ورغم أن ثلاثتهم مشيرون وواعظون، إلا أن الرب قال عنهم في ختام السفر: لم تقولوا فيَّ الصواب كعبدي أيوب (٤٢: ٧).

وفي واقع الأمر، فإن الذي فعله أصدقاء أيوب به، يُعتبر مواصلة للهجوم الشيطاني على أيوب. والذي قرأنا عنه في (الأصحاح ٢،١)، فقد سَوَّوْهُ بالأرض، رغم اعتقادهم بتعزيته. لقد زَادُوا الأمر سوءاً، حينما عجزوا عن استخدام إيمانهم بالله في تسديد احتياجاته العميقة.

بَيْدَ أنه حينما نقرأ هذه الأصحاحات؛ فأننا نجد صعوبة في بعض الأحيان بأن نشير بأنهم مخطئين. فهم، بكل تأكيد، أناس متدينون ومخلصون، حيث كان دافعهم مساعدة صديقهم. وفي نقاط عديدة، كانت كلماتهم مدح عجيب لعظمة الله. وإما اِفْتِراؤهم الذي نال توبيخ الله، فهو ليس شراً صارخاً ولكنه عدم توفيق في التعبير. أليس من الصواب أن نشدد على عظمة وعدل الله؟!

إذاً ... كيف نفهم هذا اللغز؟!

لقد أعطينا مفتاح اللغز عندما أشرنا سابقاً إلى اعتراض أيوب على أحاديثهم، حيث لم نجده مرة واحدة يشتكي بأنهم لا يقولون الحق، فهم فقط لم يعرفوا كيف يتعاملوا معه في مشكلته، فلامهم مراراً وتكراراً، بسبب إخْفَاقهم ومشورتهم غير المناسبة.

إن أيوب يشكو بأن الإنسان البائس يجب أن يتمتع بإخلاص أصدقائه، أما اخوتي فقد غدروا مثل الغدير(٦: ١٥)، "أثبتوا أنه لا نفع فيهم" (٦: ٢١)، "لكنهم حفروا حفرة لصاحبهم" (٦: ٢٧). ولا شك، فقد اِسْتَهْزأ أيوب بهم: صحيح أنكم شعب ومعكم تموت الحكمة (١٢: ٢)، ولكنه يحاج غير أنه لي فهم مثلكم (١٢: ٣)، ليتكم تصمتون صمتاً (١٣: ٥). ويقول أيضاً: اسكتوا عني فأتكلم أنا (١٣: ١٣). ويصرخ: معزُّون متعبون كلكم (١٦: ٢)، هل من نهاية لكلام فارغ*، ويضيف، لو كنتُ مكانكم: أشددكم بفمي وتعزية شفتيَّ تمسككم (١٦: ٥)، حتى متى تعذبونني وتسحقونني بالكلام (١٩: ٢)، تراءفوا تراءفوا أنتم عليَّ يا أصحابي لأن يد الله قد مستني (١٩: ٢١)، ثم يصرخُ بمرارة وتأنيب ساخر: كيف أعنت من لا قوة له وخلَّصت ذراعاً لا عزَّ لها. كيف أشرت على من لا حكمة له وأظهرت الفهم بكثرة (٢٦: ٢-٣).

* الترجمة الدقيقة لكلمة فارغ هي «ريح».

لكن أيوب، وإلى حد ما، في كل هذا لم يخطئ.

ج. الإله الحي

لقد أظهر الأصدقاء الثلاثة معرفة نظرية بالله، وكانت لهم صورة ثابتة وجامدة عنه، وهي الصورة التي طبقوها على كل موقف. وفي المقابل، يواجهنا أيوب بصورة حَيَوِيّة وحية. ونحن (كما عبر عن ذلك كارل بارث) غارقون مع الرب - يهوه - في تاريخ نامٍ من التوتر والشدّة [١]؟؟. فليس هناك من شيء نظري أو عملي يعيق علاقة أيوب بالله. وكل شيء، سواء أن كان صحيحاً أو خاطئاً، قد صُبِغَ مع أيوب في نار المُوَاجَهَة الأليمة مع الله [٢]. وقد كان أيوب، بشكل ثابت، يصارع في علاقته بالله، وبشكل غامض على ما يبدو. وكان أصدقاؤه مستريحين في لاهوتهم النظري، الذي لم يلمس احتياجات أيوب. وهذا هو الأمر الذي حملهم على الكذب، وهو الأمر الذي جلب عليهم غضب الله. لقد أحاطوا علاقتهم بالله بمفاهيم جامدة، وأخضعوا الله لهذه المفاهيم، بيد أن شمولية سفر أيوب تحطم هذه المفاهيم الجامدة، وتُطالِبنا بالاتجاه إلى الله الحي المهوب.

لقد أخطأ الأصدقاء الثلاثة، غَيْرَ أن أخطاءهم كانت مغلَّفة بإطار من الصواب [٣]. وبفعلتهم هذه، لم يسمحوا بمكان لموضوعين مَصِيرِيَّيْن لاختيار أيوب: حُرِّيَّة الله والشخص الذي يتحرر به ولأجله.

ويضيف كارل بارث إن يهوه الإله الحر هو لأيوب الإنسان الحر. ولقد صار إنساناً حراً، لأن إلهه إله حر. وهما معاً بحريتهما الإنسانية والإلهية، قد دخلا إلى أزْمَة بدا فيها الله غامضاً عند أيوب، حتى وإن لم يتركه، وصار أيوب غاضباً من الله، حتى وإن لم يتركه [٤].

---

(١) Barth, Church Dogmatic,IV/3,P459

(٢) المرجع السابق، صفحة ٤٥٩.

(٣) المرجع السابق، صفحة ٤٥٩.

(٤) المرجع السابق، صفحة ٤٦٠.

يَأْخُذنا أيوب، إذاً، إلى قسْوة الله وإلى بؤس البشر؛ إلى صمت الله وإلى يَأس البشر، وأخِيرًا إلى إعلان نعمة الله وعودة الإنسان. وهو الأمر الذي لم يفهمه أصدقاؤه، ولا رأوه. لقد كان إلههم محبوساً في اعتقادهم الجامدة! بينما كان إله أيوب حراً .. لا يقدر إلههم على الاختيار، أو حجب محضره، أو إعلان محبته ونعمته، في حين أن إله أيوب كان إلهاً حياً، فلم يكن فقط إلهاً منزّهاً، بل كان منخرطاً بحب في أمورنا، حتى حينما لم يشعر أيوب بوجوده، لكنه تمسك بإيمانه أن الله لن يتركه وحيداً. ولسوف نتحدث بوضوح، في الفصل القادم، عن عمق هذا الصراع الذي تطلبه هذا الإيمان.

د. مفاهيم ضمنيّة لأحاديث الأصدقاء الثلاثة

لقد أثّرت أخطاء الأصدقاء الثلاثة على فهمنا للإيمان. فالإيمان - عن الأصدقاء الثلاثة - كان منهجاً عقلانياً لما اعتقدوه، ويبرز هذا المنهج من خلال حقيقة العلاقة الحية مع الله (وفقاً لأليفاز)، أو من خلال التشبث بحق ما، لأن السالفين قد أشاروا إليه (وفقا لبلدد)، أو من خلال نظرة للعالم تتمشى والإدراك الطبيعي (وفقاً لصوفر). ولكن الإيمان عند أيوب. هو علاقة دِينامِيكِيّة Dynamic مع الإله الحي قائمة على مفاهيم عقائدية؛ علاقة تثبُت، حتى وإن بدا أن الله قد تركه. والإيمان بالنسبة لأيوب، هو عطية أعطاها الله له، لتمكينه من الحياة في شكوكه. والإيمان لا يقدم أجوبة على تساؤلات؛ ولكنه يد تمتد في وسط الظلام، لتحيا هذه الثقة، حتى وإن بدت الأمور معاكسة، لأن الله ما زال بجواره.

لقد قدّم الملك "جورج السادس" في حفل عيد الميلاد لعام (١٩٣٩) ، (عندما كانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب) قدّم الكلمات التالية: وأقول للإنسان الذي يقف على عتبة العام الجديد: امنحوني سراجاً؛ حتى أسير بأمان إلى المجهول!"، ويضيف: "اخرج إلى الظلمة، وضع يدك في يد الله، لأن هذا أفضل لك، من النور والسلم، من الطريق المعروف[1].

لقد أثّرت أخطاء الأصدقاء الثلاثة أيضاً على لاهوتنا الرعوي، وعلى عنايتنا الرعوية. لأن الخدمة فوق أنها إذاعة حق الإنجيل، هي: أيضاً بصرف الاهتمام إلى الجوانب التفصيلية والملموسة. وهي ليست فقط بالمناداة بعلو الله، لكنها بالتأكيد على قداسة التفاصيل الهامشية والعادية في حياة الناس. إنها ليست توجيه الآخر فقط، من بُعْد إلى الله، بل في الجلوس معه على

[1] عن مقدمة لكتاب «الصحراء» للويس هاسكنس.

كومة الرماد؛ لتشعر بصراعاته ومشاعره الحقيقية، وذلك لكي نعطي الفرصة للاهوتنا، ووعظنا، ومشورتنا، لكي ننشغِل به في أزمته.

هـ. اللاهوت العملي

من السهل أن نُبقى على نمط حياتنا مثل هؤلاء الأصدقاء الثلاثة، الذين هم "المعزون المتعبون"، فنتجنب الانشغال بأسئلتهم الشخصية المُلِّحة، ونُبقي لاهوتنا في حالة أكاديمية، وبهذا، نترك أيوب في آلامه.

ولكن دعنا نتعلم الدرس من التعليم غير الملائم، الذي قدمه أولئك الأصدقاء - ليس في ضرورة انشغال اللاهوت العملي بالاحتياجات الإنسانية، بل أيضاً في أهمية الأفق الواسع للأداة التي نُعَبِّر بها عن الرسالة (كلمة الله). ففي رسالة كورنثوس الثانية، على سبيل المثال، لم نُعط عظة نظرية عن خدمة المصالحة، بل عظة ذات علاقة وثيقة بكل الاحتياجات الخاصة بكنيسة كورنثوس.

أليست هذه هي رسالة تجسد المسيح؟! فنحن نكرز بالمسيح الذي جاء إلينا، حيثما نوجد، الذي فيه - كما قال "توماس أودين": الله اتخذ هيئتنا[1]. ألا يجب أن نعتبر التجسد عطفاً إلهياً؛ حتى نستخدم التعبيرات الإرشادية التي تُبَيِّن انشغال المسيح بإنسانيتنا، دون أن يفقد شيئاً من هويته. **لقد جاء الله إلى حيثما نوجد، وانشغل بنا وبأمورنا الهامشية والتفاصيل العادية لحياتنا، فالشؤون اليومية لحياتنا تشغل باله. ولقد أصبح الأمر أننا ننال ما لا نستحقه، فالله لا يتعامل معنا، فقط، على أساس ما يزرعه الإنسان إياه يحصد، ولكنه وضع هذا الحق اللاهوتي في إطار من النعمة المتفاضلة.**

نعم، في المسيح الذي حمل دينونتنا، لن نعد بعد نحمل أثقال خطايانا.

وفي المسيح الذي إتحدت حياته بحياتنا في بالروح القدس؛ نلنا الحق في الشركة مع الله.

وفي المسيح الذي تألم من أجلنا على الصليب؛ مُزِقَ الصك الذي كان علينا، ولاقانا الله بالنعمة - لا من أجل استحقاقاتنا - بل من أجل محبته.

[1] Oden, kerygma& counseling ,1978,p.50

وفي دائرة محبته، يجد سر الألم قوته والهدف منه. وبدلا من الأسباب الطبيعية العقيمة فإن سفر أيوب يدفعنا إلى إعادة النظر في معنى علاقتنا بالله الحي.



الباب الثالث

أيوب ورحلة الإيمان

[أصحاح ٤:٢٧ -أصحاح ٢٩ : ٣١]

نحن نعرف أن الله يعمل على تحقيق بعض المقاصد التي أعلنت بالمجلس السماوي، وهو الأمر الذي يجهله أيوب. فظروف أيوب وخبرة المعاناة ارتبطتا بشكل ما بهذه المقاصد الإلهية الغامضة. وقد تبدو الأمور ظالمة، متنافرة، و مُتَقَلِّبة، حينما ننظر إليها، فقط، من خلال كومة الرماد، ويفقد الموقف الإنساني معناه. فقد أعطى أيوب الوجه للرب والقفا للشر، وعاش رجلاً تقياً، وأهتم بشكل نموذجي بعائلته. لكن رغم ذلك، فقد سُلبت مواشيه، وقطعانه، وأولاده، وصحته، وسلامته، بدون سبب واضح.

لقد كانت الأعراض الجسدية لمرض أيوب فظيعة جداً، فأصيب بقروح رديئة من باطن القدم حتى هامته (٢ : ٧)، حتى أنه اتخذ شقفة يحك بها جسده (٢ : ٨)، وتغير منظره (٢: ١٢) ... وكسا الدود قروحه لبس لحمي الدود مع مدر التراب. جلدي كرش وساخ (٧: ٥) ... وانتابته الأحلام المزعجة (٧: ١٤) ... واحمرَّوجهي من البكاء وعلى هُدُبي ظل الموت (١٦: ١٦) ... وصارت رائحة أنفاسه مُنَفِّرة (١٩: ١٧) ... وهزل جسمه عظمي قد لصق بجلدي ولحمي(١٩: ٢٠) ... ودب الألم القاسي في عظامه (٣٠: ١٧) ... وأصابته حمى شديدة (٣٠: ٣٠).

وبغض النظر عن كل هذه المآسي الجسدية التي تعرض لها أيوب، كان عليه أن يصارع، ويواجه نداء زوجته المغوي، وتحريضها له للتجديف على الله وعلى التخلص من حياته. ومما لا شك فيه، فقد نال ترحيباً أصيلاً من أصدقائه، وتألموا معه في صمت، لكنه انفجر بغضب في الأصحاح الثالث، صارخاً بيأس عن آلامه: "قل لي لماذا؟".

والآن، عليه أن يتغلب على أصدقائه حسني النية، مختبراً لاهوتهم ومهاراتهم الرعوية التي فقدت معظمها الهدف.

وسنحاول أن نتتبع خطوات أيوب في رحلة إيمانه، وتأرجح مشاعره، وهو يصارع ... ليس من أجل حالته، بل من أجل إيمانه. وتأتي إجابة أيوب في سبع فقرات من (الأصحاحات ٦-٢٧)، وبعد ذلك في (الأصحاحات ٢٩-٣١) والتي أطلقنا عليها: موقف أيوب الأخير.

ولنبدأ الآن من الأصحاح السادس، حيث أعطى أيوب إجابته الأولى لأليفاز ثم نتتبع بعد ذلك نتائج استجابات أيوب لأحاديث أصدقائه المتنوعة.

ويمكن لنا تقسيم خطوات أيوب على درب الإيمان والألم، من خلال استجاباته السبعة لمجادلات أصدقائه على النحو التالي:

١. خطوات أيوب على درب الإيمان

أولاً: غضب من سهام الله

(٦-٧)

أيوب يدافع عن نفسه: .... (٦: ١-١٣)
خيبة أمل أيوب في أصدقائه .... (٦: ١٤-٣٠)
أيوب يستمر في شكواه .... (٧: ١-٢١)

إننا نلتقي بأيوب، هنا، وهو في حالة نفسية متغيرة، حيث تبدو عليه علامات الاكتئاب واضحة.

نشرت "د. إليزابث روس" في عام ١٩٦٠، الحلقات الدراسية التي قدمتها في جامعة شيكاغو، والتي تتناول مفاهيم الساعات الأخيرة عند المرضى، وكذلك عند القائمين على رعايتهم. وكتابها عن الموت والموتى يُحسب ككتاب قياسي، فهو يُوثّق بدقة الحالة النفسية للذين يواجهون الساعات الأخيرة[١]. حيث لاحظت المستويات المتباينة للعزلة، والجحود، والغضب، والمُسَاوَمَة، والغم، وأخيراً القبول. ويبدو أن هذه أنماط عامة مُتَعَارَفٌ عليها، كرد فعل نحو الساعات الأخيرة. وقد وضع "كولين باركس"[٢] مستويات مماثلة للعمليات التي تتصل بالحزن الطبيعي، وكذلك خصائصه، وتخديره لتفكير الإنسان. وسقوطه في الحيرة، ثم الكآبة، والغضب. وأحيانا يسجن الإنسان نفسه في الحزن؛ فيصبح حالة مَرَضِيّة غير قابلة للشفاء، وهذا ما نسميه في علم النفس، "بالتحجر"، أو جمود المشاعر.

أ. مراحل الحزن

نكتشفُ بشكل مدهش، أن سفر أيوب الذي كُتب من قُرُون مَضَتْ، يعطي استنارة مماثلة للمراحل التي اجتازت خلالها مشاعر أيوب، عندما حاول علاج الخسائر التي حلت عليه. حيث فقد

(١) Ross, On Death and Dying (Tavistock, 1970).

(٢) Parkes, Bereavement (Tavistock puplication,1972;Pelican Books,1975).

عائلته، وصحته، والإحساس بحضرة الله. والجدير بالذكر هنا أن كل واحدة منها، وتعتبر فجيعة في حد ذاتها. وسوف نتتبع أثر حزنه، من خلال الأطوار المتنوعة لهذا الحزن.

لقد بدأ أيوب في الأصحاح الثاني صامتا، غير شاعر بنفسه، وهي مرحلة الصدمة وعدم التصديق. ولفترة طويلة لم يكن قادرا على الكلام، فكان جالسا في سكون على كومة الرماد. وأخيرا، أطلق العنان لمرثاته في الأصحاح الثالث، ثم انتقل إلى مرحلة التساؤل والبحث عن المعاني التي تقف خلف آلامه، فسأل مرة بعد مرة: (لماذا ؟)، لاعنا يوم مولده، ومشتاقا إلى الموت.

ب. الغضب

يبين الأصحاحان السادس والسابع أن الغضب قد نال من أيوب، وغالبا ما يكون الغضب هو الوجه الآخر للكآبة، وهو الرفيق الطبيعي المألوف للحزن.

إذا من أين يجيء الغضب؟

في (٦ : ٤) يشعر أيوب ببعض الوساوس؛ فيعتقد أن العالم ضده، وأن الله أيضا ضده لأن سهام القدير في وحمتها شارية روحي. أهوال الله مصطفة ضدي.

وفي (٦ : ٨) يعيد التأكيد على رغبته في الموت: يا ليت طلبتي تأتي ويعطيني الله رجائي. وهنا، ما زالت نظرة أيوب من نحو الله على أنه مصدر الحياة، ومصدر مصائبه. ولكنه بين تارة وأخرى يلبس قوته، فيقول: ألا إنه ليست في معونتي، والمساعدة مطرودة عني (٦: ١٣). ومن المؤكد أننا سوف نستمع لمثل هذه الكلمات لمرات عديدة، حينما نتلامس مع آلام الناس في الفجائع أو المآسي، حيث يقولون: لم يعد فينا قدرة على الاحتمال؛ لقد ضعفت قواتنا ونحن نواجه الضغط والقلق اللذان أنهكانا.

وفي أحيان أخرى، نرى أيوب وقد حشد جراءته ليبدي غضبه من صديقه أليفاز، وهو الأمر الذي نكتشفه حينما نقرأ (٦: ١٤) حق المحزون معروف من صاحبه، وإن ترك خشية القدير، مع الأخذ في الاعتبار أن أليفاز قد أثار حفيظته. ثم بعد ذلك، يمضي أيوب قدما في وصف أصدقائه؛ فهم مثل النهر الجاف للظامئ في قيظ الصيف، ومثل سحابة الصيف للحران: فالآن قد صرتم مثلها. رأيتم ضربة ففزعتم (٦: ٢١).

ج. الغضب.. تجاه الله

يبدو أن غضب أيوب قد تحول أيضا نحو الله، فهو يدرك أن آلامه لا تتعلق بأي خطايا قد فعلها (٦: ٢٤) فهموني في أي شيء ضللت. وينتابه الإحساس بأن الله مستبد، وهو نظير عبد سيد قاس، يشتاق للخلاص منه (٧: ٢). ويرى نفسه أيضا مثل : المكوك في يد النساج، يلقي به هنا وهناك في حركات لا معنى لها (٧: ٦)؛ أو سحابة الصيف التي تمضي سريعا (٧: ٧،٩)؛ وحياته ما هي إلا بخار غير ذي قيمة. وها هو في طريقه إلى مكانه في الهاوية، حيث ينعدم وجود كل الذاهبين إليها (٧: ٩)، ومن ثم فلماذا لا يتحدث عما يجول في خاطره؟!

ولذلك يقول: أنا أيضا لا أمنع فمي. أتكلم بضيق روحي. أشكو بمرارة نفسي (٧: ١١).

ويتجرأ أيوب في حديثه، ويستعير الكلمات الرائعة التي وردت في المزمور الثامن، ويحولها إلى صورة أدبية ممسوخة ما هو الإنسان حتى تعتبره وحتى تضع عليه قلبك؟ (٧: ١٧).

ولكن، هل الظروف مهيأة الآن للحديث عن مجد الإنسان؟! لا إلى الأبد أحيا (٧: ١٦). لماذا يبدو أن الله قد أهملني؟! وإن كنت كلا شئ في عينيه، فلماذا يمدني بالقوة لأكون تعيسا هكذا؟!!

ومرة أخرى تنهمر أسئلة الغضب. لماذا؟! لماذا؟! لماذا؟! (٧: ٢٠-٢١).

لقد علم الله أخطاء أيوب، ولم يقف مكتوف الأيدي حيالها، لأن أيوب كان في طريقه للفرار ولماذا لا تغفر ذنبي ولا تزيل إثمي لأني الآن أضطجع في التراب تطلبني فلا أكون. ولكن يبدو أن أيوب قد رأى أن الله قد تأخر في التدخل!

ومن ثم، فقد إدعى لنفسه الحق في الغضب، وصار يتساءل عن سبب هذه البلية. وقد بدا مرعوبا بما تخيله عن جبروت الله وظلمه - سهام القدير. وعند هذه المرحلة من رحلة إيمانه، نجده لا يرى أية بارقة رجاء.

ء. الغضب البناء

لا يبدو الغضب غير بناء دائما في حياة شعب الله، حتى وإن أعتقد بعض المسيحيين ذلك، ويعود الأمر في ذلك إلى أن الحدود الفاصلة بين الخطية والغضب هي حدود هشة (انظر أف ٤: ٦). ولذا، فإنه يجب أن يكون هناك تمييز واضح بين الغضب الذي يرتبط بالموقف المبدع، وبين العداء الهدام. والغضب يمكن أن يستعمل بشكل بناء؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر: حينما تسير علاقات

الشخص بالآخرين في طرق غير مستقيم، فالغضب البناء يعطي الإنسان القوة على ضبط الأمور. ويمكن أن يكون الغضب البناء رد فعل صحيح على مواقف معينة تتسم بالظلم.

ويعرض "كامبيل" في كتابه الفريد إنجيل الغضب الفكرة التالية:

إن المهمة التي تواجهنا هي: حينما يلتزم المسيحيون بأن يكون العدل الشفقة هما مبدأي التعامل مع الآخرين، سواء كانوا أفرادا أم شعوبا، فإنهم سوف يلغون بذلك العلاقة التي تجمع بين الغضب والتدمير، وسوف يجدوا طريقة ما، تمكن ردود الأفعال الشديدة التي للناس تجاه المواقف الخطيرة للحياة المحيطة بهم، تمكنهم من خدمة الوحدة الإنسانية.[١]

ويجادل "كامبيل" بأن الغضب يمكن أن يكون أحد أشكال الاهتمام بالآخرين، مستندا على أن الغضب ليس نقيض المحبة، بل البغض أو اللامبالاة، فالغضب يكون ملائما إن كان بناء.

ومن هذا المنطلق، كان أيوب صائبا، حينما بدا غاضبا نحو معاناته، وهو البريء. ولذلك يحتاج المسيحيون أن يتعلموا استخدام الغضب بشكل بناء - لا هدام.



(١) Campbell, The Gospel of Anger(SPCK,1986),P31.

ثانياً: اليأس أمام جلال الله وقدرته

(٩ – ١٠)

لقد قدم بلدد رأيه في الأصحاح الثامن من السفر، وقد اتسم هذا الرأي بملامح تقليدية جامدة وفي غير محلها. ويقدم الآن أيوب إجابته على رأي "بلدد" الوارد في (الأصحاحين ٨-٩)، وهو في حالة نفسية تتسم باليأس.

أ. عدل الله وقوته

يبدأ أيوب من حيث أشار "بلدد" إلى عدل الله (٨: ٣)، فيسأل: فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ (٩: ٢).

ويمضي قدماً في الحديث عن حكمة، وسلطان، وغضب، وجبروت، وقوة الله الخالقة، وعن الأعمال العجيبة والمدهشة لله (٩: ٤-١٠) هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ .. الْمُزَحْزِحُ الْجِبَالَ.. الْمُزَعْزِعُ الأَرْضَ.. الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ.. صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجَبَّارِ وَالثُّرَيَّا وَمَخَادِعِ الْجَنُوبِ.. فَاعِلُ عَظَائِمَ.. وَعَجَائِبَ... وهكذا، دُفعَ أيوب ليسأل: كيف يمكن لي أن أملي أية شروط على إله عظيم ورفيع إلى هذا المقام؟!

ولكن أيوب يضيف، إنه من الجيد أن يخبرني "بلدد" بكل هذه الأشياء الحقيقية عن الله. فأنا أيضاً أؤمن بها، ولكنها تعبر عليّ ولا أراها، ولماذا يحجب الله نفسه عني وأنا في هذه الحالة اليائسة؟!هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلاَ أَرَاهُ، وَيَجْتَازُ فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ (٩: ١١)

فأمام كل هذا الجلال الإلهي شعر أيوب فقط باليأس.

ب. التنين "رهب"

يشير أيوب في كلامه إلى التنين "رهب" (٩: ١٣)، وهو اسم وجد في بعض الكتابات الأدبية القديمة، عن أنثى حيوان، يعيش. حسب تصورهم. في المحيطات. وأيوب من خلف إشارته إلى هذا المخلوق الرهيب، يؤكد على قوة الله الخالقة، وعلى قدرته لحفظ النظام في العالم بإعاقة هذه القوى الفوضوية (٢٦: ١٢؛ ٣٨: ٨-١١).

ومن هنا، يعلن أيوب: إن كان "رهب" التنين لا يقدر أن يقف أمام الله ينحني تحته أعوان رهب (٩: ١٣)، فأي رجاء لي حينما أقف أمام الله في مجلسه؟! إن كان من جهة قوة القوي يقول هأنذا. وإن كان من جهة القضاء يقول من يحاكمني (٩: ١٩). وهكذا، فعلى الرغم من كوني بريئا (٩: ١٥)، إلا أنني لا أملك أن أقول شيئا يغير من الموقف، وكل ما أرجوه هو أن ألقي بنفسي في رحمة الله.

ويبدو أن الله يتعامل مع الكل بذات الطريقة، مهما كان الأمر (٩: ٢٢) إن الكامل والشرير هو يفنيهما، ولذلك أنا مستذنب فلماذا أتعب عبثا (٩: ٢٩).

لقد أفسح غضب أيوب المجال الآن أمام الشعور باليأس وقد سقط أيوب في بالوعة اليأس، حينما اختلط شوقه للقاء الله مع رعبه من هذا اللقاء. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو مصير إيمان أيوب في الله؟

لو أن الله هو الذي جلب عليه كل هذه البلية، يصبح الأمر سهلا، إن كان أيوب بلا إيمان. فإيمان أيوب بصلاح وعدل الله المطلق، هو الذي خلق هذه المعضلة.

ج. هل سقط أيوب في الفخ؟

إن الحالة النفسية التي سقط فيها أيوب، ليست بعيدة عن المشاعر التي اختبرها الكثيرون في مواقف مشابهة. وسواء كان علينا أن نتغلب على مرض عضال، أو على يوم عاصف بالآلام، فهناك أوقات يبدو فيها الله بعيد ومرعب. وقد سقطنا في الفخ، لأننا نريد الصلح مع الله، ولكننا حتى الآن مذعورون من تباعد الله. هناك أوقات نجرب فيها لنترك الله كليا، أو نؤمن بأنه قد تركنا. وقد بدت هذه الحقيقة واضحة لمرنم المزامير، فقال:

"لماذا أنت منحنية يا نفسي"(مز ٤٢: ٥)

"لماذا يا رب ترفض نفسي".

لماذا تحجب وجهك عني" (مز ٨٨: ١٤)

"أذكر الله فأئن.

أناجي نفسي فيغشى على روحي.."

"هل نسي الله رأفة"(مز ٧٧: ٣، ٩)

إن المشاعر التي تكلم بها المرنم، هي مشاعر حقيقية في حياة شعب الله، حينما يجتازو ذات الظروف، وهي تحتاج أن نقر ونعترف بها. ويشدد سفر أيوب على أن الله قد قاد أيوب عند نهاية القصة، رغم كل الغضب، واليأس، والشقاء الذي أنتاب أيوب. ومع نهاية السفر، نكتشف أن أيوب لم يكن مخطئا في مشاعره هذه، وأنه لم يدن لأجل التساؤلات اليائسة التي وجهها لله. فالله يقدر أن يغفر، وما من شئ يقدر أن يفصلنا عن محبته لنا، في المسيح يسوع. ويولس الرسول قد استطاع في (رو٨: ٣٨-٣٩)، في نهاية الأصحاح أن يسأل بلهجة بلاغية: فماذا نقول لهذا إن كان الله معنا فمن علينا (رو٨: ٣١).

د. بصيص من الرجاء

نعود إلى أيوب مرة أخرى، لنجد بصيصا من الرجاء، رغم يأسه، وأنه يتحدث بنغمة مختلفة عند نهاية الأصحاح التاسع. ففي ثقة عجيبة، يتقدم في الظلام، ويبسط بشكل مبدئي قرن استشعار نحو الرجاء، فيصرخ: ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا. ليرفع عني عصاه ولا يبغتني رعبه (٩: ٣٣-٣٤)، يطلب أيوب مصالحا، يوفي العدالة حقها، ويرفع الخصومة بينه وبين الله.

ويبدو أن بصيص الرجاء بأنه يجب أن يكون هناك مصالح لم يدم طويلا، ففي (١٠: ١) يتراجع أيوب إلى نغمته المرة: قد كرهت نفسي حياتي. أسيب شكواي. أتكلم في مرارة نفسي، ولا تعتبر هذه الكلمات استياء مبالغا فيه لليأس.

ويمضي أيوب في اعتراضه على تعامل الله معه؛ فيقول: لقد أعطيتني حياة يداك كونتاني

وصنعتاني كلي جميعا، لكن لماذا؟ وفي (١٠ : ١٨) نأتي مرة أخرى إلى سؤاله المؤلم لماذا أخرجتني من الرحم، فهو يتمنى لو أنه قد مات قبل أن يعلم أحد بمولده: فكنت كأني لم أكن (١٠ : ١٩).

٥. الله الخالق ... مازال يعمل

ولكن علينا أن نتوقف هنا، لنسجل، ولو مؤقتا، الأسلوب البديع الذي يصف به أيوب مجيئه لهذه الحياة. فعلى الرغم من شمول اليأس لحياته، وإحساسه بأن الله يدمر ما قد صنعه، إلا أن كلمات أيوب، هنا، تعطي وصفا مشرقا عن انخراط الله في عملية "تخلق" الإنسان. فمنذ اللحظات الأولى للجنين، حتى البلوغ، كان أيوب محل رعاية واهتمام الله:

> ٨ "يداك كونتاني وصنعتاني كلي جميعا أفتبتلعني
>
> ٩ اذكر أنك جبلتني كالطين أفتعيدني إلى التراب
>
> ١٠ ألم تصبني كاللبن وخثرتني كالجبن
>
> ١١ كسوتني جلدا ولحما فنسجتني بعظام وعصب.
>
> ١٢ منحتني حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحي". (١٠: ٨-١٢)

يبدو واضحا من الفقرة السابقة، أن الحياة الإنسانية في فكر العهد القديم، تبدأ بمرحلة الحمل. ونحن نعرف الآن أن عملية التخصيب أكثر تعقيدا، وهو الأمر الذي قاد بعض الناس إلى الاعتقاد بمذهب اللاأدريين (Agnosticism) حول لحظة بدء حياة الإنسان. ويرتبط هذا الجدل بالأبحاث المتعلقة بالجنين، والأسئلة الشائكة حول الإجهاض. على أنه رغم الغموض الذي يحيط بعملية بدء حياة الإنسان، فإنه من الملاحظ أن حياة الكائن البشري تبدأ في عملية التلقيح، ثم في الحمل، فحتى وإن كنا لا نعرف بالتحديد كيف تبدأ حياة الكائن البشري، إلا أننا حينما نقف أمام الجنين (حتى وإن كان مجرد نطفة) الذي في رحم الأم؛ فإننا نقف أمام كائن بشري. وهذه الحقيقة قادرة، بمفردها، أن تقنعنا بأن الأعمال التي تدمر عن عمد حياة الإنسان الذي لم يولد

بعدُ، من "المُضغة: حتى "الجنين" الكامل، لا يمكن أن تُبَرَّرَ فقط من خلال الحجج التي تُساق لإنهاء حياة الكائن الإنساني.

ويبدو واضحاً في الفقرة أن حياة الشخص، وهو في طور البلوغ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بذاته، وهو مجرد "نُطْفَةُ" في رحم الأم. وهو الأمر الذي يؤكد على الهوية الشخصية لهذا الجنين، وبناء عليه، فإن الحديث عن اعتبار حياة الإنسان، فقط، خارج الرحم، يجب أن يُحَذِّرنا من التعامل مع الحياة الإنسانية في الرحم، باعتبارها فقط على أساس مذهب اللاأدْرِيِّينَ Agnosticism حول زمن بدء حياة الإنسان.

ومن ثمَّ، يمكننا أن نقول أن أيوب ومعه المرنم في (مز ١٣٩) لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا. قد آمنا إيماناً وثيقاً بأن الله كان حاضراً معهما، عند تكوينهما في الرحم. على أنه حتى وإن بدت هذه الأعجوبة عنده مضيعة للوقت، إلا أنه أمام قدرة الله الخالقة، لم يستطع أيوب أن يشعر إلا باليأس



ثالثاً: رعب عند حضور أو اختفاء الله

(١٢-١٤)

لقد أنضم "صوفر" بغطرسته، وسخافته، وثقته في علمه بكل شيء، إلى الحديث في الأصحاح الحادي عشر. ثم بدأ أيوب في الإجابة عليه في الأصحاح الثاني عشر، رافضا تحليلات صوفر للموقف. ولكن، وبالرغم من قصر وجهة نظر الأصدقاء الثلاثة لحالة أيوب، إلا أنه يجب ألا نتركها جانبا دون تحليل.

صحيح إنكم أنتم شعب (الشعب الذي يعرف أن مرارة أيوب قد صارت ظاهرة) ومعكم تموت الحكمة غير أنه لي فهم مثلكم (١٢: ٢-٣). لقد امتزجت تهكمات أيوب على عدم موضوعية أصدقائه، بشعوره بالمرارة بأنه قد أصبح موضوع تحقيرهم وازدرائهم: رجلا سخرة لصاحبه صرت. دعا الله فاستجابه. سخرة هو الصديق الكامل (١٢: ٤).

أ. قوة وحكمة الله

يصف أيوب في (١٢: ١٣-١٣: ١) حكمة وسلطان الله. ويبين أن أحدا لا يجرؤ أن ينكر قوة الله. فقوة الله يمكن تمييزها في الطبيعة، والمجتمع الإنساني، وتعدد الاتجاهات الدينية، والشؤون القومية والدولية (١٢: ١٥-٢٥). بيد أن النغمة التي عبر بها أيوب عن هذه الحقائق، كانت نغمة يغلب عليها اليأس والخنوع. ولسان حاله لصوفر: ما من شيء عن حكمة وسلطان الله تقدر أن تعلمني إياه؛ فأنا أعرف أن الله كلي القدرة، ولكن أين هي محبته لي الآن؟ هذا كله رأته عيني. سمعته أذني وفطنت به. ما تعرفونه عرفته أنا أيضا. لست دونكم. ولكن، ولأن كل هذا لم يعينني؛ فلا يجب أن تأتي يا "صوفر" مطالبا إياي بالتوبة، لأنني أريد أن أحاجج الله عن أزمتي (١٣: ٣-٤).

لقد كان أيوب يعلم بأنه ليس خالياً بالكلية من أي خطية ، ولكنه كان يعلمُ أيضاً بأنه بريء من أي شيء قد يجعله مستحقاً أن ينال كل هذه الآلام. وكان يرى أن أصدقاءه مثل الأطباء البطالون، الذين يضعون طلاءً خارجياً للمشكلة - ليس أكثر(١٣: ٤)، فلماذا إذاً لا يصمتون؟ (١٣: ١٣).

ومن ثم، فإن أيوب في الفقرة التالية (١٣: ١٣ - وما بعده) ، في توسله إلى الله، يسأله عن أمرين أساسيين (١٣: ٢٠): "أبعد يديك عني" و "لا تدع هيبتك ترعبني" (١٣: ٢١).

لقد أهتم أيوب أن يخلص من بؤسه، ولكنه بالدرجة الأولى أهتم ألا يبتعد عن الثقة بالله إلى الارتياع من الله. والأمر الذي يضايقه أكثر، هو أن يتحول الله ليصبح وحشا رديا، وأن يصبح إيمانه في غير محله، بيد أن هذا لن يحدث.

ويصلي أيوب في (١٣: ٢٤): لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدوا لك. ويبدو أيوب، هنا، في حالة من القلق الشديد المرتبط بداء "الشعور بالاضطهاد" فيرى نفسه مضطهدا، ويرى أن الله قد صار إلها مرعبا، ويرى أنه قد وصل إلى الحافة، يتطلع إلى الهاوية التي تنتظره.

ولقد وضح د. "فرانك ليك" Lake، العالم النفسي، والمبشر الذي أسس ما يسمى بجمعية اللاهوت الإكلينيكي؛ وضح بعضا من مشاعر أيوب عند هذه النقطة، في مناقشته حول عصاب ((الإحساس بالاضطهاد)) فكتب: لقد كان شعور أيوب بالاضطهاد ممن حوله شعورا ثابتا. وعندما تهدد النفس على نحو قاتل؛ فإنها تفقد السلام". ثم يستطرد نفس العالم في وصف ذات الشعور، عند بعض الناس، بأن كيانهم ينحدر إلى الهاوية، وسرعان ما يتولاهم القلق و"الشعور بالاضطهاد" ويبدو لنا في مثل هذه الأوقات بأن كل حقوقنا في الطمأنينة قد سلبت منا ظلما، وعندما يحدث ذلك :

فإن هذا الشخص يكون عرضة لأن يلقي بتبعية الاضطهاد على بيئته، طول حياته اللاحقة. وعندما تتسم حياة الإنسان بالاضطهاد، كما في حالة أيوب، فإن النفس تمتلئ بإحساس دائم عن جبروت الله (بالمعنى السلطوي وليس بمعنى القدرة).

ب . أيوب يرثي الضعف الإنساني

عندما نعود إلى (الأصحاح ١٤) من سفر أيوب؛ نكتشف أن أيوب يفكر مرة أخرى بأن الله يأتي إليه في رداء المهلك. ويرى أنه حتى وإن بدا هناك رجاء للشجرة، التي وإن قطعت؛ فإنها تنبت ثانية (١٤: ٧). إلا أنه لا يوجد له رجاء مثل هذا، حيث أنه يعتقد أن الله هو الذي يبيد رجاء

الإنسَانِ (١٤: ١٩).

وهكذا يستقر أيوب في عمق هوة اليأس، ويغطيه الاكتئاب كسحابة سوداء.

ويعرف الناس الذين اجتازوا في الأمراض الميئوس منها، ماذا تعني حالة أيوب من هذه الكلمات: إِنَّمَا عَلَى ذَاتِهِ يَتَوَجَّعُ لَحْمُهُ وَعَلَى ذَاتِهَا تَنُوحُ نَفْسُهُ (١٤: ٢٢). فالإنسان المكتئب ينحصر بالكامل في نفسه، لا يقدر أن يرى ماذا وراء أزمته وبؤسه.

ويُعتبر الاكتئاب واحد من أرْدَأ الآلام التي يمكن أن يواجها الكائن البشري، فعندما يُضرب الإنسان بالاكتئاب: يكتسي القلب والذهن بالعبوس، ويشعر الشخص بالدونية وعدم الرجاء، ويحتله الأرق، ثم يفقد شهية الطعام، ويسوده الخمول، ولا يقدر أن يمنع عينيه من البكاء، فيشتهي الموت، وعدا ذلك يختل اتزانه الفكري، وهو الأمر الذي لا يُطاق على الإطلاق.

وقد عبرَّ أحدهم عن مثل هذه التجربة ذات مرة قائلاً: لست أعرف لماذا فقدت مؤخرا كل فرحي؟ وتخليت عن كل العادات المرحة؛ فقد صارت ثقيلة عليَّ، حتى أن هذه الأرض الجميلة بدت لي وكأنها مثل قفر.

وترتبط الأمراض الميئوس منها، في بعض الأحيان، باختلال نسب الكِيميَاء في الدم. والاكتئاب الذي يأتي فقط من داخل الإنسان - قد يكون بسبب اختلال الكِيميَاء في الجسم - ويمكن معالجته بالأدوية. بيد أن حالة الاكتئاب التي انتابت أيوب، تختلف عما نتحدث عنه الآن، فقد كان بمثابة استجابة الجسد والذهن للظروف الخارجية التي اجتاز فيها، فاستجابة الإنسان للخسارة التي حلّت عليه، أمر متعارف عليه في علم النفس.

وقد يكون الاكتئاب بمثابة استجابة الإنسان الروحية لأفعاله غير الأخلاقية، ويزول هذا الاكتئاب حينما يعود الإنسان إلى الله لينال الغفران، لكن، ومرة أخرى هذه ليست حالة أيوب.

ولا عجب إذاً، أن نصيحة أصدقاء أيوب قد فقدت الهدف والمعنى.

ج. هل من رجاء؟!

لم يستقر أيوب بعد في القاع، لأننا نجد بارقة رجاء أخرى في (١٤: ١٢-١٧).

حيث تجيء عبارة إلى أن في هذه الفقرة مرتين. ويتمسك أيوب بموقفه إلى أن يتبدل الموقف إِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَفَيَحْيَا .. أَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي. تَدْعُو فَأَنَا أُجِيبُكَ. تَشْتَاقُ إِلَى

عَمَل يَدِك. فهل سوف يحين الوقت الذي يخلو من نِقْمَة الله؟! هل يتذكر الله أيوب؟! متى يطلق سراحه؟! هل يُسر الله برفقة أيوب؟! وهل سوف يأتي هذا الوقت؟!

إن أيوب رجل الإيمان والاستقامة يتمسك بهذا البصيص العابر من الرجاء، حتى وإن كان الرجاء يلي الموت، حيث القيامة.



رابعاً: رجاء البر يبدأ في الازدهار.
(١٦ - ١٧)

أيوب يصف أصحابه بأنهم "معزون متعبون"	(١٦: ١-٥)
أيوب يتوسل برجاء " لشهادته" في السماء:	(١٦: ١٨- ١٧: ٢)
أيوب يتطلع إلى الموت	(١٧: ٣-١٦)

تبدأ المرحلة الثانية لأحاديث الأصدقاء الثلاثة وإجابة أيوب عليهم، بأليفاز في (الأصحاح ١٥). وتبدأ إجابات أيوب في (الأصحاح ١٦)، وفكرته نحو أصدقائه كما هي: مُعَزُّونَ مُتْعِبُونَ كُلُّكُمْ (١٦: ٢).

ويشعر أيوب، مرة أخرى، بأن الله هو الذي قد ابتلاه (١٦: ٧). وتبدو المفارقة في إحساسه بالبراءة، مع معرفته بأن الله يتعامل مع الأشرار بهذا الشكل (١٦: ١١-١٧). فقد كلّت عيناه من الحزن (١٧: ٧)، وأصدقاؤه مشيرون بلا نفع (١٧: ١٠)، وهو بلا رجاء (١٧: ١٥).

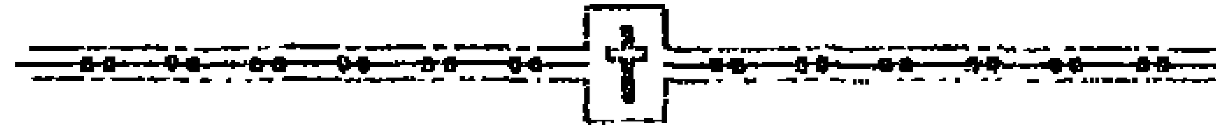
أ. الثقة

مرة أخرى هنا، ولكن بشكل أقوى، حينما نصل إلى قلب هذه الفقرة، نلمس ثقة أكثر عند أيوب. فالرجاء العابر عن القيامة من الأموات، الذي التقينا به في (الأصحاح ١٤)، يبدو أنه قد تبلور الآن إلى رجاء أقوى في الخلاص - ليس هنا على الأرض، بل في السماء أَيْضًا الآنَ هُوَذَا فِي السَّمَاوَاتِ شَهِيدِي وَشَاهِدِي فِي الأَعَالِي (١٦: ١٩)، ولابد أن هذا يُشِير إلى الله. ويلمح أيوب هنا إلى موضوع سوف يتضح بجلاء فيما بعد، مفاده أن الخلاص سوف يجيء حينما تعود شركته مع الله. ولذا يرجوه في (١٧: ٣): كُنْ ضَامِنِي عِنْدَ نَفْسِكَ. مَنْ هُوَ الَّذِي يُصَفِّقُ يَدِي، إنه يدعو الله ليؤكد له بأنه قد سمع شكواه.

لقد أصبح اليأس الآن أكثر غموضاً، فقد تخلى أيوب عن علاقته بأصدقائه، واعتبرها قضية خاسرة. وسارت علاقته بالله في اتجاهين: لا زال لديه شعور بالخوف والظلم من الأسلوب الذي

تعامل الله معه به. ولكن هناك أيضاً إحساساً متزايد بأن الأشياء ليست كما تبدو في ظاهرها، وأنه في يوم آخر، وزمن آخر، في مكان آخر سوف يتبرر.

هذا، وقد وجدت هذه الثقة بعضاً من الحجارة في الطريق، ولم يقدم الحديث الثاني لبلدد في (الأصحاح ١٨) أية تعزية تذكر.



خامساً: الوليّ الحي

(أصحاح ١٩)

أيوب .. يكاد يفقد صبره ....(١٩: ١-٦)
أيوب .. يشعر بالترك من الله ....(١٩: ٧-١٢)
أيوب .. يتوسل إلى أصدقائه ليشفقوا عليه ....(١٧: ١٣-٢٢)
أيوب .. يثق في فاديه ....(١٩: ٢٣-٢٩)

لقد أغرق الحديث الثاني "لبلدد" في (الأصحاح ١٨) أيوب في اليأس. ولذا، يبدأ أيوب ردّه بصرخة موجعة: حَتَّى مَتَى تُعَذِّبُونَ نَفْسِي وَتَسْحَقُونَنِي بِالْكَلاَمِ (١٩: ٢).

ويبدو واضحاً من القصة الآن، أن أيوب قد أعتقد بأنه لو أن هذا هو أفضل ما يفعله الله، فإنه لن يتأثر. وإن كان الله هو الذي أرسل له أصدقاءً مثل "بلدد" - الذي يحتاج إلى أعداء لا إلى أصدقاء، فإنه سيصرخ: اللهَ قَدْ عَوَّجَنِي وَلَفَّ عَلَيَّ أُحْبُولَتَهُ (١٩: ٦)، هَا إِنِّي أَصْرُخُ ظُلْمًا فَلاَ أُسْتَجَابُ. أَدْعُو وَلَيْسَ حُكْمٌ (١٩: ٧).

ويخبرنا القس "ريتشار رمبراند" عن الوقت الذي قضاه كسجين. بسبب إيمانه المسيحي. حينما أجبر على الحياة دون طعام لعدة أيام، كنوع من التعذيب. وإنه عندما كان يسمع صرخات أخوته المؤمنين يومياً، وهم يُعذبون في زنزاناتهم من أجل إيمانهم، كان يبسط يديه ويصرخ إلى السماء صرخة قوية، صرخة شخص مرهوب، مُعذَّب.

وهذه هي صرخة أيوب هنا، فمن منطلق آلامه، هناك القليل ليُقال، فقد نزع الله رجاءه كشجرة (١٩: ١٠) ... خذله أصدقاؤه وعائلته (١٩: ١٣-١٤) ... ضيوفه وعبيده قد حسبوه غريباً (١٩: ١٥) ... رُفض من الله، ومن الكل أيضاً ... يتلمس فقط الرأفة: تَرَاءَفُوا تَرَاءَفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي لأَنَّ يَدَ اللهِ قَدْ مَسَّتْنِي (١٩: ٢١) ... خسارته لأحبائه ورُعبه من ترك الله له قد أمسكا به (١٩: ١٩). هذا بالإضافة إلى الشعور بالوحدة والعزلة. ولكن، هنا، في هوة اليأس يأتي إيمانه، ليمنحه أعلى رفعة حتى الآن. والكلمات الواردة في (١٩: ٢٣-٢٧)، هي كلمات يصعب الوصول إلى أعماقها؛ فهو يتكلم عن فاديه، ويريد أن يُسَّجل ما يشعر به؛ حتى يسمع الآخرون قصته حينما

يمضي.

٢٣"لَيتَ كَلِمَاتِي الآنَ تُكْتَبُ. يَا لَيتَهَا رُسِمَتْ فِي سِفْرٍ
٢٤وَنُقِرَتْ إِلَى الأَبَدِ فِي الصَّخْرِ بِقَلَمِ حَدِيدٍ وَبِرَصَاصٍ.
٢٥أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ
٢٦وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ.
٢٧الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَى ذلِكَ تَتُوقُ كُلْيَتَايَ فِي جَوْفِي".

وتُبين الأنشودة السابقة، أن أيوب قد وضع إيمانه في شخص، هو بمثابة الفادي/ الولي له. ولكن، من هو هذا الفادي/ الولي؟!

أ. الفادي - القَرِيب.

إن الكلمة العبرية التي أستعملها أيوب، والتي وردت في الترجمة العربية بمعنى وَلِيٌّ هي كلمة (go,el)، وقد وردت هذه الكلمة في ترجمة (K J) الإنجليزية بمعنى الفادي. فرجاء أيوب الآن يتمركز حول (go,el). وكثيراً ما تستخدم هذه الكلمة في الكتاب المقدس للإشارة إلى القَرِيب، وأحيانا إلى أقرب الأقرباء، الذي يحق له كل الحق في التدخل في الشؤون العائلية ليحافظ على الحقوق والميراث. فقد يَثأر لموت أحد أعضاء العائلة (عدد ٣٥: ١٦-٢٨)، أو ينوب عن فداء شخص (لا ٢٥: ٤٨-٤٩)، أو عن فداء بعض الممتلكات (لا ٢٥: ٢٥-٢٨). وقد يحدث مثلما حدث في قصة راعوث، أن يتزوج أرملة ليعطي وريثاً لزوجها الميت (را ٤: ٣-٦). وتتوقف مشروعية (go,el) على درجة تَمَاسُك الجماعة، لأن (go,el) هو الفادي - القَرِيب.

وقد استخدم شعب العهد أيضاً كلمة (go,el) للإشارة إلى يهوه، إله العهد. ففي الأيام الأولى، حينما أعلن الله ذاته لموسى، وكلفه بالتفاوض مع فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرض مصر (خر٦: ٦)، قال له: لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ (g,l) بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ (خر ٦:٦).

فالرب الذي فدى شعبه من أثقال العبودية هو قريبهم. فاديهم . ويقول المرنم أيضاً في (مز ٧٢):
مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي (g,l) أَنْفُسَهُمْ وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ (مز ٧٢: ١٤).

وتنبع الأعمال المخلصة ليهوه القريب. الفادي من محبته، وتعبِّر عن مدى القيمة النادرة لعمله الفدائي (بذراع ممدودة). (خر ٦:٦)

ومن المؤكد إن صورة يهوه هذه كانت، في ذهن أيوب، حينما استخدم هذه الكلمة ليتحدث عن الشخص الذي يقف رجاؤه عليه. بيد أن الصورة، بالنسبة لأيوب، محيرة ومربكة، لأن الله كان بالنسبة لأيوب: عدوه، وممثل الاتهام، وخصمه (١٦: ٩). من ثمَّ فإن go ,el الذي يتطلع إليه أيوب، هو شخص ثالث يقف بينه وبين الله. وقد أعتقد بعض المفسرون أن فكرة أيوب عن الله، والفكرة التي تناولناها آنِفاً عن (go,el)، هما فكرتان متناقضتان. بيد أنه ما من شك في أن أيوب في العدد التالي، قد تطلع بالإيمان إلى رؤية الله. ويبدو واضحاً أن (go,el) الذي توسل إليه، ليس سوى يهوه؛ ربُّ العهد نفسه. وأن المحامي الذي سيقف في المجلس بالنيابة عن أيوب، هو الله ذاته. وربما قُصد لنا أن نرى هذه المفارقة Paradox في طبيعة إله أيوب، لأن خبرة أيوب المؤلمة عن شخص الله، تعتبره شخصاً يأتي إليه في هيئة عدو! فكل الذي رآه في الأيام السابقة لم يكن إلا الجانب الغامض من لله. وليس ذلك فقط، بل أن اسم يهوه - الاسم الشخصي لإله العهد - الذي وضع أيوب إيمانه فيه مبكراً (١: ٢١)، لم يستعمل منذ الأصحاح الثاني. ويبدو أن اسم (يهوه) قد استبدل بـ (العلي). لكن الآن، وسط هذا التخبط والغموض، يَتَمَسَّك أيوب بالرب إله العهد. إن (يهوه) الذي فدي إسرائيل من مصر بذراع ممدودة، هو (يهوه القريب. الفادي) الذي سيدافع عنه.

ب. المحامي عن أيوب

إن الله لن يتركه يسقط، حتى وإن فنيّ جسده بهذه الأزمات المدمرة، أو بالموت ذاته، فإن الله الحيّ سوف يفديه.

إن كلمات أيوب أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ، حينما كانت تُقرأ من خلال صليب المسيح، كانت مصدراً لتعزية الشعب المسيحي وقت الكوارث. فلم تحتل مكانة خاصة فقط في كتب الصلاة الخاصة براسم دفن الموتى لدى البعض، بل أيضاً عند الموسيقار الخالد "هايدن"، في سيمفونيته "المسيا". ورغم كل المعاني المسيحية التي لنا في هذه الكلمات الآن، إلا أنها كانت مجرد الضوء الأول للفجر عند أيوب، فالله الذي وضع أيوب ثقته فيه، هو الإله الذي أعلن ذاته لنا في

المسيح يسوع كالقريب. الفادي، والمدافع عن الذين يثقون فيه. وكم كان عجيباً أن يتمسك أيوب بهذا الرجاء، رغم معرفته غير الكاملة! وكم هو مخجل للبعض منا - نحن الذين نملك معرفة عن الله أكثر من تلك التي كانت لأيوب - **ألا نثق فيه كما ينبغي.**

وبعد ذلك يأتي "صوفر" في (الأصحاح ٢٠)، ليُفسد كل ذلك على أيوب.



سادساً: تساؤلات عن العدالة الإلهية - أيوب ينتقد أسلوب الله في إدارة العالم

(أصحاح ٢١)

يترك أيوب الأشياء الأرضية، عندما يقدم إجابته عن الخطاب الذي تقدم به أليفاز في (الأصحاح ٢٠). وفي الوقت الذي يُداوم فيه أصدقاؤه الحديث عن خطاياه وعن ضرورة توبته، يحول هو المناقشة إلى مستوى آخر، فتركيزه الآن على الأسلوب الذي يدير الله به العالم.

ويبدأ أيوب، الآن، في الحديث عن العدالة الإلهية، محاولاً تبرير أساليب الله في إدارة عالم الألم والمعاناة، وذلك من منطلق المصالحة التي تمت بين حياة الألم، وبين الثقة في تبرير الفادي (الولي) في النهاية.

هذا، وقد رفض أيوب المنطق اللاهوتي لأصدقائه. رغم أنه قد شاركهم رأيهم، بأنه في العالم الأخلاقي (الأدبي) لله يُكافأ البار ويُعاقب الشرير. **وكان الأصدقاء قد أفسحوا المجال لمنطق لاهوتهم، الذي يوحي بأن آلام أيوب ترتبط بخطية ما قد اقترفها. ولكن الخبرة الروحية لأيوب، قد أنكرت عليهم رأيهم، ليس لأنه البريء الذي يُعاني، لكن أيضاً لأن الأشرار يزدهرون.**

ويتحدث (الأصحاح ٢١) كثيراً عن ملامح ازدهار الأشرار، فيبدو أن جميعهم يتمتعون بحياة رَغْده ومريحة، وأولادهم يكبرون ويموتون في سلام، حيث يعيشون حياتهم دون اعتبار لله. فكيف إذاً يتعامل أصدقاء أيوب مع حقيقة أن الأشرار سوف يذهبون أدراج الرياح، حينما يبدو واضحاً أنهم يتمتعون بحياة أفضل بكثير من تلك التي للصالحين؟

لذلك، وإن جاز لنا التعبير، فإن أيوب يحاول أن يُخرج الله من مأزقه (من وجهة نظره هو)! أَاللهُ يُعَلِّمُ مَعْرِفَةً، وَهُوَ يَقْضِي عَلَى الْعَالِينَ (٢١: ٢٢). فسواء عاش الأفراد حياتهم في نَضَارَةٍ وأمان، أم في مرارة، فما الذي يحدث في النهاية؟ كِلاَهُمَا يَضْطَجِعَانِ مَعًا فِي التُّرَابِ وَالدُّودُ يَغْشَاهُمَا (٢١: ٢٦). ولذلك، يقلب أيوب المائدة على رأس أصدقائه، مبيناً أن منهجهم قد تأسس على الكذب والبُهتان (٢١: ٣٤). وقد يبدو في غاية السهولة أن نقترح بأن يُسر الحال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقداستنا الشخصية، ولكن الحقائق تتحدى هذه الفكرة.

يتحرك أيوب، إذاً، في مسار قد صار واضحاً، كما رأينا سابقاً عند المرنم في (مز ٧٣)، الذي انزلَّقت قدماه حينما رأى سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ (مز ٧٣: ٣). ولذا، يسأل لماذا يسمح الله لكثير من الأشرار بحياة راغدة؟!!

"حَقًّا قَدْ زَكَّيْتُ قَلْبِي بَاطِلاً
وَغَسَلْتُ بِالنَّقَاوَةِ يَدَيَّ". (مز ٧٣: ١٣)

والآن، جاءت نقطة التحول في تفكير المرنم حينما قال:

"فَلَمَّا قَصَدْتُ مَعْرِفَةَ هذَا
إِذَا هُوَ تَعَبٌ فِي عَيْنَيَّ.
حَتَّى دَخَلْتُ مَقَادِسَ اللهِ
وَانْتَبَهْتُ إِلَى آخِرَتِهِمْ". (مز ٧٣: ١٦-١٧)

ورغم أن أيوب لم يصل تماماً إلى اليقين الذي للمرنم في المزمور، إلا أنه قد تأكد من أن الأسئلة التي طرحها أصدقاؤه ليست سوى الكذب والبُهتان (٢١: ٣٤).

أ. تبرير الله

يُثير السؤال عن عدالة الله مَسَائِل جوهرية في اللاهوت. **فهل العالم الذي نعيش فيه، هو العالم الذي خلقه الله؟! وهل نعتقد أن الله قد خلق العالم في هيئة حسنة؟! وإن كان العالم قد انحرف بعيداً عن الله، فلماذا يسمح الله بأن تفسد خليقته الحسنة؟! هل يمكن أن نُخرج الله من هذه المعضلة، بأن نلقي بتبعية سقوط العالم على الخطية أو الأنانية أو الشيطان؟! وإن فعلنا ذلك،**

فهل هذا يعني أن الله قد حَدَّ من سلطانه؛ حتى أنه لم يعد يُسيطر على أحداث هذا العالم؟!

وهناك مسألة إضافية أخرى، تتعلق بما نعتقده عن أسلوب إدارة الله للعالم. فهل خلق الله العالم وجهَّزه، فقط، بما يلزم، ثم تركه، ثم خلا بنفسه إلى ملكوته الخاص، دون أن ينخرط في إدارة هذا العالم؟! أم أنه هو الإله الذي يتدخل مباشرة في الأحداث اليومية لهذا العالم، والذي يتأثر بما يحدث في العالم، حتى أنه لا يقدر أحداً أن يُغير الأشياء التي يريدها هو؟! وإن كان كذلك، فلماذا لا يُغيِّر الله من بعض الأشياء التي تبدو مؤذية أو غير نافعة لنا! أليس الله ذاته يُعتبر جزءاً من وجود هذا العالم؟ بل هو المسئول عن وجوده! وهل كل ما يحدث يعتبر عمل الله الدائم في الخليقة؟ ألا ينخرط بشكل حَمِيم في مَجَالات وتغْيِيرَات العالم (كما نلمس ذلك)، ليس عن بُعد، بل بالأحرى يتألم مع المتألمين ويفرح مع الفرحين؟!

ب. مساءل لاهوتية

إن مشكلتي الشر والمعاناة في العالم، تعتبرا جزءاً من الأسئلة الأكبر عن طبيعة الله وطبيعة الخليقة(١). وقد تجادل اللاهوتيون بهذه المسائل اللاهوتية لحقبة طويلة من الزمن. فالقديس "إيريناوس" الذي من القرن المسيحي الثاني، والذي أسس نظرية لاهوتية فلسفية، أعتقد من خلالها أن الإنسان خُلق على صورة الله، لكنه لم ينضج بعد ليصل إلى شَبَه الله.

وتنقية الإنسان، ليصل إلى شَبَه الله، يتطلب عمل المزيد من الأشياء. ويبدو واضحاً **أن الله يستخدم هذا العالم، بكل ما به من مآسي وآلام، وكأنه "ورشة عمل" (Work Shop) يهذِّب الإنسان فيها. فالعالم هو وادي إعادة تشكيل النفوس كما قال "جون كيتث".** والشر يجب أن يُرى في صورة خادم الخير، وبخلاف ما قدمه "إيرناوس"، فإن القديس "أغسطينوس"، الذي من القرن الرابع، أكد بأكثر قوة على سقوط الخليقة. وأن العالم الذي خلقه الله كان حسن جداً، وأن الشر الذي بالعالم، الآن، يشير إلى أن خطأ ما قد حدث. ورغم أن الله لم يخلق أو يوصي بالشر، إلا أن هذا لا يعني أن الشر مُسْتَعار أو يمكن إغفاله. ونظرة أغسطينوس الراديكالية هذه، قد دفعته إلى التفاعل المؤسس – لا على التحسن التدريجي لهذا العالم، ولكن على أساس الحاجة إلى نعمة الله التي تفدي وتجدد.

ولا يقدم لنا سفر أيوب إجابة شافية على الأسئلة المتعلقة بالعدالة الإلهية؛ فلا يخبرنا كيف

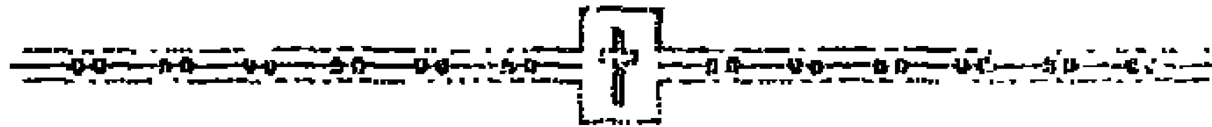
---

(١) Hick, Evil and The God of Love (Macmillan,1966).

تُبرر طرق الله إزاء الآلام. **وهذا السفر، في واقع الأمر، لا يطرح هذه الأسئلة في صيغة نظرية لمناقشة لاهوتية، ولكنه ينظر إليها في دائرة حياة إنسان عاش المعاناة. فمشكلة أيوب، ليست مشكلة في الإدراك الذي على الصعيد الفِكْرِيّ، لكنها مشكلة تتعلق بشركته مع الله الحي.**

وحينما نصل إلى نهاية السفر؛ سوف نرى أن الأسئلة التي طرحها أيوب والتي تتعلق بأسلوب إدارة الله لهذا العالم، قد طرحها الله على أيوب. فهل يقدر أيوب أن يتعامل معها بشكل مختلف؟! وما هي القوة التي يمتلكها أيوب ليضبط أي شيء في هذا العالم؟! وللحق، فإن بعضاً من هذه الأسئلة يبقى بدون إجابة له، حيث أنها ترتبط بقرينة إعلان الله عن ذاته، وبأنه المسئول عن الطريقة التي يدير العالم بها.

ومع أننا نحيا الآن في نور الإعلان الكامل، إلا أننا أيضاً لا نمتلك الحل الشافي لمشكلة المعاناة. وهي تظل مشكلة أمامنا، لأنها تحملنا إلى الشك في صلاح، وحكمة، وقوة الله الذي نؤمن به. **ويجب أن نعلم أن الله لم يأت إلينا في المسيح، ليقدم الحلول لكافة مشاكلنا الفكرية؛ لكنه جاء ليُصلب وليحمل أوجاعنا وأحزاننا. مما يوجب علينا أن نعيد النظر بشكل جذري في الأسئلة المتعلقة بالعدل الإلهي، وأن نراها في ضوء الله المصلوب [1]. قد لا نجد إجابات، لكننا نكتشف في عمق آلامنا وأسئلتنا أن الله بجوارنا في شخص المسيح. إن شركتنا به، تمدنا بالنعمة، لكي نحيا وسط الشكوك والآلام.**



(١) Moltmann, The Crucified God (SCM Press,1974)

سابعا: شوق إلى الشركة مع الله:

(٢٣-٢٤)

أيوب .. يشتاق إلى الشركة مع الله......................................(٢٣: ١-٧)
الله .. يبدو بعيد المنال ....(٢٣: ٨-١٧)
لماذا يبدو الله غير فعَّال.. في وجه الشر الإنساني؟! ....(٢٤: ١-١٧)

بعد أن ننتهي من متابعة حديث "أليفاز" في (الأصحاح ٢٢)، نجد أن اختبار أيوب قد أتخذ مَرْحَلَة أعمق في (الأصحاحين ٢٢-٢٣). ويُعَّبر عن بُعدٍ إضافي في اِتّجاهه إلى الله. ولا يتمثل هذا البُعد فقط في الفهم، بل في الشوق العميق إلى الشركة مع الله، من عمق القلب؛ فيصرخ: مَنْ يُعْطِينِي أَنْ أَجِدَهُ فَآتِيَ إِلَى كُرْسِيِّهِ (٢٣: ٣)، هأَنَذَا أَذْهَبُ شَرْقًا فَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ وَغَرْبًا فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ. شِمَالاً حَيْثُ عَمَلُهُ فَلاَ أَنْظُرُهُ. يَتَعَطَّفُ الْجَنُوبَ فَلاَ أَرَاهُ. (٢٣: ٨-٩).

يعلم أيوب في قلبه، أن مشكلته سوف تنتهي، ليس بالجدل اللاهوتي، ولا بالندم على الخطايا التي لم يقترفها، ولا بأن يُنظر في أمِره، بل في الشركة والتواصل مع الله. فهي الأساس الذي ينبني رجائه عليه الآن.

ورغم أن الله يبدو بعيد المنال. بحسب أَلْفَاظ الاختبار الحالي لأيوب. إلا أن أغْوَار إيمان أيوب قد ظهرت بكل أمجادها: لأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجُ كَالذَّهَبِ (٢٣: ١٠)، وَالْقَدِيرَ رَوَّعَنِي (٢٣: ١٦)، بِخَطَوَاتِهِ اسْتَمْسَكَتْ رِجْلِي. حَفِظْتُ طَرِيقَهُ وَلَمْ أَحِدْ (٢٣: ١١). وأخرج كالذهب.

أ. الحياة يمكن أن تبدأ ثانية

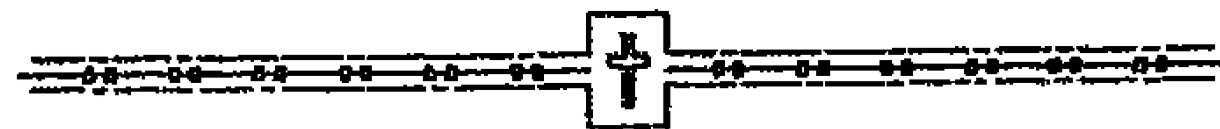
ومن ثمَّ، يعود أيوب مرة أخرى إلى حيرته في (الأصحاح ٢٤)، متسائلاً: لماذا يبدو الله غير مكترث بالأشرار؟! لماذا لا يُعاقبهم الله على كل ما يأتونه؟!

ثم يُدَوِّن السفر في (٢٤: ٢-١٦) قائمة من الخطايا السائدة في عصر أيوب، وهي خطايا يدينها العهد القديم بشدة. ويتساءل أيوب في دهشة (عدد١، ١٧) لماذا يصمت الله إزاء كل ما يفعلونه؟! وهكذا مرة أخرى يتحير أيوب من "ظلم" الله الواضح!

وتُشكل الفقرة التالية للنص الكتابي (٢٤: ١٨-٢٥) مشكلة أمامنا. فللوهلة الأولى يبدو أن أيوب ينقض الحديث الذي تقدم به في الجزء الأول من الأصحاح، وليس ذلك فقط، بل أن هذا الجزء لا يتوافق مع باقي حديثه، وهو الأمر الذي دفع بعض المفسرين للقول بأن هذا الجزء قد يكون لأي من بلدد أو صوفر. وعلى الجانب الآخر يبدو أن أيوب قد شوَّش نفسه، فمنذ لحظة واحدة كان يعتقد أن الأشرار قد بدوا في قمة مجدهم، ولكنه يتذكر الآن بأنهم أيضاً، مثله، خاضعين لحكم الموت. وسواء كان هذا الرأي أم سواه، فإن هذه القصيدة الشعرية، هي مرثاة باكية تصوِّر هَشَاشَة وفشل الحياة.

١٨خَفِيفٌ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. مَلْعُونٌ نَصِيبُهُمْ فِي الأَرْضِ. لاَ يَتَوَجَّهُ إِلَى طَرِيقِ الْكُرُومِ.
١٩الْقَحْطُ وَالْقَيْظُ يَذْهَبَانِ بِمِيَاهِ الثَّلْجِ كَذَا الْهَاوِيَةُ بِالَّذِينَ أَخْطَأُوا.
٢٠تَنْسَاهُ الرَّحِمُ، يَسْتَحْلِيهِ الدُّودُ. لاَ يُذْكَرُ بَعْدُ وَيَنْكَسِرُ الأَثِيمُ كَشَجَرَةٍ.
٢١يُسِيءُ إِلَى الْعَاقِرِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَلاَ يُحْسِنُ إِلَى الأَرْمَلَةِ.
٢٢يُمْسِكُ الأَعِزَّاءَ بِقُوَّتِهِ. يَقُومُ فَلاَ يَأْمَنُ أَحَدٌ بِحَيَاتِهِ.
٢٣يُعْطِيهِ طُمَأْنِينَةً فَيَتَوَكَّلُ وَلكِنْ عَيْنَاهُ عَلَى طُرُقِهِمْ.
٢٤يَتَرَفَّعُونَ قَلِيلاً ثُمَّ لاَ يَكُونُونَ وَيُحَطُّونَ. كَالْكُلِّ يُجْمَعُونَ وَكَرَأْسِ السُّنْبُلَةِ يُقْطَعُونَ.
٢٥وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَا، فَمَنْ يُكَذِّبُنِي وَيَجْعَلُ كَلاَمِي لاَ شَيْئاً.

(٢٤: ١٨-٢٥)



٢ . أيوب ومعنى الضمير

(٢٦ - ٢٧)

١"وَعَادَ أَيُّوبُ يَنْطِقُ بِمَثَلِهِ فَقَالَ
٢ حَيٌّ هُوَ اللهُ الَّذِي نَزَعَ حَقِّي وَالْقَدِيرُ الَّذِي أَمَرَّ نَفْسِي
٣إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِيَّ وَنَفْخَةُ اللهِ فِي أَنْفِي
٤لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْمًا وَلاَ يَلْفِظَ لِسَانِي بِغِشٍّ.
٥ ٦تَمَسَّكْتُ بِبِرِّي وَلاَ أُرْخِيهِ. قَلْبِي لاَ يُعَيِّرُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِي"

لا يعتبر الضمير على الدوام مرشداً أميناً للحق، وتقع علينا مسئولية تهذيبه ليتوافق مع الحق المعلن لنا من الله. ولذا، يجب ألا يُترك الضمير ليتصرف كما شاء. ويرى "الأسقف بتلر" Butler، اللاهوتي الذي من القرن الثامن عشر أن الضمير هو: "حاسة التمييز أو بصيرة القلب، وهو الأداة التي من خلالها نسمع إلى صوت الله في كياننا الداخلي" ويكتب "بونهوفر Bonhoeffer"، اللاهوتي الألماني الشهير، والذي أعدمه النازيون في عام ١٩٤٥:

يَنْبَعِث الضمير من عمق يقع خلف إرادة وعقل الإنسان، ويجعل ذاته مسموعاً كدعوة للوجود الإنساني للاتحاد بذاتها. وهو مُوَجِّه الاتهام عن خسارة هذه الوحدة، وهو ناقوس الخطر الذي يُحذِّر الإنسان من إضاعة نفسه(١).

وبالنسبة للمسيحي، فإن الدعوة للكمال والوحدة الشخصية، يجب أن ترتكز على الاتحاد بالله في يسوع المسيح .

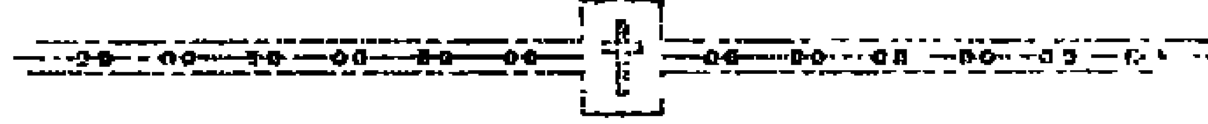
ولكن هذا لا يعني أن كل صوت في كياننا الداخلي، هو بالضَّرُورَة صوت الله. فقد اعتاد الشيوعيون النازيون القول: إن أدولف هتلر هو ضميري. لذلك؛ يستطرد بونهوفر قائلاً: "حينما يصبح المسيح الإله الكامل والإنسان الكامل أساس وحدة وجودي، فإن الضمير في حقيقة الأمر

(١) Bonhoeffer, Ethicks (SCM press,1971),p.211.

يبقى، بشكل رسمي، صاحب الدعوة لكياني الفعلي للاتحاد بذاتي، بيد أن هذه الوحدة يجب أن تتحقق بالشركة مع يسوع المسيح[1].

ثم قال في مقابلة متعمدة لمقولة النازيين: لقد أصبح المسيح يسوع هو ضميري[2].

بالتالي يجب أن يتهذب الضمير. ويجب أن يتعلم الضمير المسيحي أن يستمع للدعوة إلى الكمال الشخصي مثل الدعوة للشركة مع يسوع المسيح. وهكذا يجب أن يتمرن الضمير ولا يهمل.



(١) المرجع السابق، صفحة ٢١٢

(٢) المرجع السابق، صفحة ٢١٢

٣. ملخص رحلة أيوب

لقد انتهت الآن أحاديث أصحاب أيوب الثلاثة: أليفاز التيماني، وبلدد الشوحي، وصوفر النعماني، وقد أجابهم أيوب أيضا شارحا قضيته بكل وضوح، دون آن يرد على كل حججهم، حيث لمس انحرا ف تفسيراتهم.

ولقد تتبعنا أيوب خلال المراحل السبع لحزنه. فبعد وقت الصدمة والسكون، جاء وقت الرثاء والشوق للخلاص من الحياة والتساؤل في (الأصحاحي ٢:٣)، ثم استهل الأصحاح الرابع بإعلان غضبه من القدير، ورفضه لقبول سياسة الأمر الواقع. ونجد في (الإصحاحين ٩:١٠) التساؤلات الغاضبة التي ألقاها أيوب في وجه الله، والتي صورت لنا يأسه الشديد أمام قدرة العلي. وتصور لنا (الأصحاحات ١٢-١٤) الهول الذي انتاب أيوب سواء من حضور أو غياب الله، وهو الأمر الذي دفع أيوب للاستسلام للقلق وسواس "الشعور بالاضطهاد". ورغم الظلام الكثيف الذي انتاب هذه الأصحاحات، إلا أنها حوت بصيصا من الرجاء، الذي سرعان ما عاد يخبو سريعا. بيد أن الرجاء قد وصل إلى ذروته في (الأصحاح ١٩)، حينما صرخ أيوب طالبا "الولي الصالح والفادي المخلص"؛ والذي آمن أيوب بأنه المدافع عن قضيته. وبعد ذلك، يمضي أيوب إلى السؤال عن الأسلوب الذي يدير الله به العالم، ويفتح أمامنا الحديث عن العدل الإلهي؛ فيسأل: كيف نوفق بين سلطان الله المطلق على هذا العالم، وبين المعاناة التي نتعرض لها؟!

وأخيرا، يتطلع أيوب بشوق إلى الوقت الذي يستعيد فيه الشركة مع الرب؛ حتى يهرب الحزن، وتبدأ الحياة من جديد، ويقدر أن يرى الآلام التي حلت به من زاوية مختلفة.

أ. مفاهيم .. في الألم

ولكن، لنتوقف للحظة، هنا، أمام بعض المعاني التي تضمنتها رحلة أيوب. فمع أننا لا نجد إجابات شافية حول السؤال المتعلق بالألم في هذا العالم، **إلا أننا نكتشف من رحلة إيمان أيوب، نكتشف إنسان قد عرف كيف يواجه هذه الآلام. فلم يخف ما في نفسه من اضطرابات، ولا شيء من مشاعره، بل يروي كل شئ بأمانة، وهو الأمر الذي يعبر عن روعة سفر أيوب، وعن شخص أيوب الذي عبر بكل أمانة عن جروحه وأشواقه.**

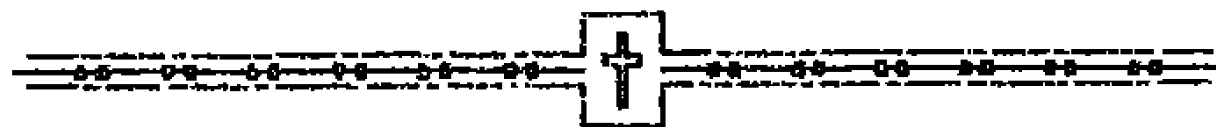
وحينما نصل إلى نهاية السفر، سوف نسمع الرب بذاته، يتحدث من العاصفة، ونرى معنى آخر لصراع الإيمان الذي اجتاز فيه أيوب. ولكن، الآن حتى، وإن لم نرِ بوضوح بعد، لكننا نحتاج أن نفهم الأحداث التي أخذت مكانها في حياة أيوب، من خلال رحلة الإيمان، فالأمور لا تبدو واضحة له حتى الآن. ففي أوقات كثيرة من رحلته، تعلم أشياء مختلفة عن طرق الله. وحينما بدا الله غائباً، أو حينما بدا لأيوب في هيئة عدوٍ له! كان على أيوب أن يصارع في وجه أحزانه، وأن يعرف أن الأمور لا تؤول للأفضل في الحال، بل قد تستلزم أوقاتاً عديدة. وأن الحزن قد يحاصره كما يحاصر الوحش فريسته، وهذه هي الأزمة النفسية الحقيقية.

والذين قَرَأوا كتاب "سي إس لويس" (A Grief Observed)، سوف يميِّزون أوجه الشبه بين تجربة أيوب وبين تجربة الإحساس بالضياع التي وصفها "لويس" قائلاً: الليلة فتح الحزن كل طاقته عليَّ؛ الكلمات الحانِقة، والنقمة المرَّة، والمعدة المضطربة، والكوابيس، والدموع. ففي الحزن، لا شيء يبقى كما هو. فحزن ينادي حزناً، وكأنك تدور في حلقة مفرَّغة، لا تعرف متى بدأت ومتى تنتهي".(١)

ولكن جوهر مشكلة أيوب، لم يكن فقط في البلايا التي أصابته: في ضياع ممتلكاته، وأسرته، ونكبته في صحته، بل كانت مشكلته مع الله؛ لماذا هجره الله؟! ولماذا يبدو بعيداً عنه؟! ولماذا لا يستجيب لصلاته؟!

ب. بداية الرجاء

ووسط هذا الجو من التساؤلات واليأس، تبدو بوادر الرجاء. فخلال هذه الأصحاحات، كما رأينا سابقًا، تشرق بارقة الرجاء، التي تبلغ ذروتها في الإيمان الذي يربط بين أيوب وبين الله الذي سوف يفتقده يوماً ما. وذلك حينما يأتي "المُصالح" الذي يضع يده على كليهما (٩: ٣٣)، وهو ليس فقط مُصالِحاً بل أيضاً شاهداً (١٦: ١٩)، وليس شاهداً فقط بل أيضاً go , el الفادي الذي يدافع عنه (١٩: ٢٥). وعندما يصبح الله المحامي عنه؛ فإن كل شيء يصبح على ما يرام. وحتى وإن كان لا يقدر أن يرى بالعيان وقت أزمته أن الله يحامي عنه، لكن رجاؤه في الله.



(١) Lewis, A Grief Observed,P.46.

٤ . الموقف الأخير لأيوب

(٢٩-٣١)

سوف نتجاهل الآن (الأصحاح ٢٨)، وسوف نعود إليه في الفصل القادم لأسباب سوف تتضح لنا فيما بعد. ونبدأ الآن بدراسة (الأصحاحات ٢٩-٣١)، التي فيها يقدم أيوب خطابه الطويل الختامي متحدثاً عن نفسه. ويمثل هذا الحديث "الموقف الأخير لأيوب". ويعتبر أيضاً الحديث الأخير لأيوب قبل الاعتراض العجيب لأليهو، وقبل حديث الله من العاصفة.

ويمكن تلخيص هذا الموقف الأخير لأيوب، في مجموعة النقاط التالية:

أيوب يلتفت إلى السعادة البائدة (٢٩: ١-٢٥)
أيوب يرثي بؤسه (٣٠: ١-٣١)
أيوب يتمسك بكماله كما في ساحة القضاء (٣١: ١-٤٠)

يبدأ أيوب بالقول بأنه لم يعد هناك شيء أكثر ليقال.

أ. أيوب ينظر للخلف (ص ٢٩)

نلتقي في (٢٩: ١) بالصيغة التي أعتاد أن يفتتح بها أيوب أحاديثه وَعَادَ أَيُّوبُ يَنْطِقُ بِمَثَلِهِ، فقد كان أيوب يشتاق إلى التلامس المباشر مع الحضرة الإلهية التي أختبرها سابقاً، وكما قال "وليم كوبر" بسان حال أيوب، بعداً عن فكرته:

"أين هي البركة التي عرفتها
حينما رأيت الرب لأول مرة؟
ويا لها من ساعات آمنة!
لا زال مذاقها الطيب في حلقي
ولكنها تركت خلفها خواءً أليماً
لا يقدر العالم أبداً أن يملئه".

يستدعي أيوب من ذاكرته تلك الأيام المبكرة، راجياً أن تصبح أيامه الحالية كالسابقة؛ فقال: يَا لَيْتَنِي كَمَا فِي الشُّهُورِ السَّالِفَةِ وَكَالأَيَّامِ الَّتِي حَفِظَنِي اللهُ فِيهَا. حِينَ أَضَاءَ سِرَاجَهُ عَلَى رَأْسِي وَبِنُورِهِ سَلَكْتُ الظُّلْمَةَ (٢٩: ٢-٣). وتمثل الأعداد (٢-١١) لهفة على هذه الأيام، لهفة تتسم بالشوق والحسرة على هذه الأيام. وفي (العدد ١١) تعود شكوى أيوب، ولكن بشكل مُصَغَّر، فيحاجج بأن: كل من سمع عنه طوَّبه، وأنه أنقذ المسكين واليتيم والذي لا معين له، وأهتم بالعمي والعُرج والمحتاجين والغرباء، وكان أباً للفقراء، وتطلع أن يموت بسلام. وفي (الأعداد ٢١-٢٥) يُبيِّن أيوب كيف أنه كان شخصية ذات اعتبار في المجتمع الذي يعيش فيه، وكيف أنه عاش كملك وسط جنوده. وبالحقيقة، فقد كان أيوب إنساناً عظيماً جداً وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ضَحِكَ عَلَيَّ أَصَاغِرِي أَيَّامًا الَّذِينَ كُنْتُ أَسْتَنْكِفُ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ آبَاءَهُمْ مَعَ كِلاَبِ غَنَمِي (٣٠: ١).

ب. بؤس أيوب الحالي (ص٣٠)

يذكر أيوب نفسه في (٣٠: ١_٨) كيف سخر منه الناس أَمَّا الآنَ فَصِرْتُ أُغْنِيَتَهُمْ وَأَصْبَحْتُ لَهُمْ مَثَلاً (٣٠: ٩)، وذلك لأَنَّهُ (الله) أَطْلَقَ الْعِنَانَ وَقَهَرَنِي فَنَزَعُوا الزِّمَامَ قُدَّامِي (٣٠: ١١).

والآن، قد صار الوضع مختلفاً.

يصفُ أيوب آلامه في (٣٠: ١٦-١٩): الحياة قد انحسرت، والألم أحكم سيطرته عليه؛ وسُحقت عظامه، وآلامه لا يهدأ لها جفنُ حتى أُسقط في الطين ورُلت قامته إلى التراب والرماد.

أما صمت الله عنه، فهو أقسى كل هذه الآلام التي عاناهاإِلَيْكَ أَصْرُخُ فَمَا تَسْتَجِيبُ لِي. أَقُومُ فَمَا تَنْتَبِهُ إِلَيَّ (٣٠: ٢٠)، فاعتبر أن قسوة أصدقائه تبدو كلا شيء حينما تُقارن بقسوة الله عليه.

وقد عبَّر أيوب عن مدى عمق الهوة التي اقتيد إليها، فقال: حِينَمَا تَرَجَّيْتُ الْخَيْرَ جَاءَ الشَّرُّ وَانْتَظَرْتُ النُّورَ فَجَاءَ الدُّجَى. أَمْعَائِي تَغْلِي وَلاَ تَكُفُّ. تَقَدَّمَتْنِي أَيَّامُ الْمَذَلَّةِ (٣٠: ٢٦-٢٧).

وعندئذٍ رفع هامته كأمير في وجه الأرض والسماء، مُصراً على برائته.

ج. أيوب يشدّد على كماله (ص٣١)

يبدو (الأصحاح ٣١) وكأنه قَسَم قانوني. وقد تكررت صيغة هذا القَسَم مرات ومرات: إنْ

كُنْتُ .. إِنْ حَـادَتْ .. إِنْ غَـوِيَ، وقد تضمن هذا القسم النقاوة (٣١: ١)، الحق (٣١: ٥)، الكرامة (٣١: ١٣-١٤)، العدالة (٣١: ١٦-١٧)، الأولويات الأخلاقية (٣١: ٢٤-٢٨)، ومحبة القريب (٣١: ٢٩-٣٠). وفي نهاية القَسَم، يؤكد أنه قد فعل كل السابق بشكل صحيح. وأيوب لا يستخدم هنا تأكيده كتوقيع شخصي له، بل مطالباً الله بالرد عليه (٣١: ٣٥).

ويا لها من شجاعة! ويا له من كمال! ويا له من إيمان بالله! أن يتجاسر أيوب ويتحدى القدير على هذا النحو! فعلى الرغم من إقراره بأن أمامه الكثير ليتعلمه من الله، ومعترفاً بجهله بطرق الله - إلا أننا نقف معجبين بثقة هذا الإنسان في إلهه. فحالما أدرك أن الله يقدر على الأمور؛ نجده قد ألقى عليه كل الأحمال. وهكذا على الدوام، أعطى أيوب الوجه لله.

٣٥ مَنْ لِي بِمَنْ يَسْمَعُنِي هُوَذَا إِمْضَائِي. لِيُجِبْنِي الْقَدِيرُ. وَمَنْ لِي بِشَكْوَى كَتَبَهَا خَصْمِي.

٣٦فَكُنْتُ أَحْمِلُهَا عَلَى كَتِفِي. كُنْتُ أَعْصِبُهَا تَاجًا لِي.

٣٧كُنْتُ أُخْبِرُهُ بِعَدَدِ خَطَوَاتِي وَأَدْنُو مِنْهُ كَشَرِيفٍ (٣١: ٣٥-٣٧).

ويبدو أن لسان حال أيوب هنا: إن كان الله سيأتي ويجيب عما فعله، فإنني سوف سأقابله كأمير. وأثبتُ نفسي في عدالة وصلاح الله.

وأيوب هنا يتحدى الله بشكل ساخر لكي يفعل الأشياء - غير المعروفة لأيوب. حينما تحدى الله الشيطان أن يفعلها في البداية؛ أي أن يعلن ماهية خطأ أيوب.

د. في قلب مقاصد الله

إن هذه الأصحاحات الكتابية القوية في رحلة إيمان أيوب، لا تعطينا، فقط، نظرة متعمقة واضحة لسيكولوجية الحزن، بل تقدم أيضاً لنا رحلة الإيمان التي سار فيها أيوب، والتي يمكن أن نقول عنها أنها رحلة إيمان اتسمت بالاستقامة.

وقد نلمس في بعض الأحيان بين سطورها؛ انكسار القلب، واسترساله في رثاء النفس. وقد نلمس أيضاً، في أماكن أخرى، إحساسه بحقيقة نفسه. لكننا لا يمكن أن نشك لحظة في حقيقة كماله. وتؤكد لنا هذه الأصحاحات بوضوح أن الإنسان الصالح والبار، لا يعفيه صلاحه وبره، أو بلايا التجارب، بل ربما يكون نصيبه أوفر وأقسى في هذا الوجود. **وتُبيِّن لنا هذه الأصحاحات بأن أليفاز وصوفر ويلدد، قد فقدوا الهدف حينما استخدموا منطق المكافأة الذي يعتمد على السبب والنتيجة في تعزية أيوب.** وليس ذلك فقط، بل أظهروا سوء فهم للحق، حينما أساءوا تطبيقه على أيوب.

وتبين لنا هذه الأصحاحات أيضا، أن شعب الله يتمتع بمكانة شرعية في مقاصد الخالق، وأنه إذا كان الله هو إله الصلاح والقوة، فإن العلاقة بينه وبين الإنسان علاقة ممكنة، وهذا هو الرجاء.

وتقدم لنا هذه الأصحاحات أيضا لمحة عن الحياة أبعد من الهاوية، وإشارة إلى أن أيوب قد بدأ يدرك أن هناك أشياء في قصته أبعد مما تراه العين. فهو- أي أيوب - كما نعلم، خادم الرب، وبالتالي، فإن مقاصد النعمة الإلهية تتحقق من خلال آلام هذا العبد.

وأيوب بقبوله للخير والشر من يد الرب، وكعبد الرب المتألم، الذي يحقق الله مقاصده من خلاله، قد اصبح مثالا ليسوع المسيح. فيسوع المسيح هو العبد الحقيقي، والشاهد الصادق، والذي أشرقت حقيقته من خلال حياة الرجل الذي من أرض عوص. وقد عبر أيوب عن هذا الشاهد الصادق، حينما خضع للرب. فالله الذي يمتلك الحق والسلطان في العطاء والأخذ (١ : ٢١)، هو الله الذي منح أيوب حريته لكي يختبر حرية الله. والعلاقة بينه وبين الله هي علاقة نعمة رغم كل يبدو ظاهرا، وهذا ما سيكتشفه أيوب في الوقت المعين.

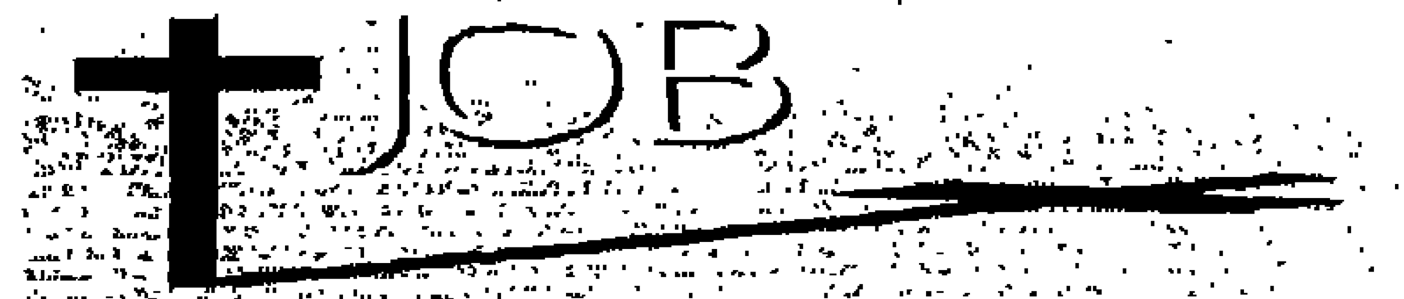
وحينما تأتي الأوقات التي نجتاز فيها محنة أيوب، ليمنحنا الرب نعمة أن نمسك بالمرثاة، وأن نمسك بالرجاء بدلا من اليأس، وأن نمسك بالرجاء المبني على الشركة مع الرب. ورغم أن أيوب لم يكن يعرف أن الرب بنفسه كان حاضرا في كل من يأسه ووحدته، فإن الله لم يدع الأمور تهرب من يديه.

ويتناول "ثيليك" هذه النغمة بأسلوبه البارع؛ فيقول: إن الله إله أيوب، وإله القداسة، هو الذي- إزاء حياتنا الضائعة - يذوب قلبه حزنا وألما، والذي يقول لنا على الدوام: نعم! إن الله مازال يتألم حيث تألم بطل الجلجثة. وهذا كل ما أعنيه

فحينما صرخ المسيح صرخته "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" فقد أودع قلبه المنكسر بين يدي كل متألم ينكسر في وحشة آلامه، ويأسه، حينما يحس أن الآب قد تركه نعم! لقد انشق الحجاب الفاصل بينه وبين الله، وأصبح الله معي في كل ظروفي. إنه أخي، وهو الذي لا يتركني في هاوية ضيقي ويأسي وحزني".

وهذا ما اكتشفناه، نحن، في إله العهد الجديد، وما لم يختبره أيوب.

١. وفي مسيرتنا في سفر أيوب، سنلتقي "بأليهو"، الذي يقدم لنا مفهوما مغايرا ويعيننا - إلى حد - للوصول إلى قمة السفر وذروته. حيث نرى الله قد أتى، شخصيا، لأيوب، وتحدث إليه من العاصفة، بصورة لم يتوقعها، وما كنا نحن أيضا نتوقعها.



الباب الرابع

بين الحكمة البشرية والحكمة الإلهية

[أصحاح ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧]

التأهب للفسير

إننا متأهبون الآن لتغيير نغمة العزف وسرعته. لأننا قد تعبنا من الحركة بين أيوب وأصدقائه. فكلهم - أي أصدقاء أيوب - أصحاب نغمة متقاربة، وكل منهم لم يحاول الاهتمام بالآخرين بل بتفشيلهم. فقد حاولوا أن يجدوا تفسيرا لبلية أيوب في ضوء صلاح الله: فأصروا على شر أيوب وخطئه. وفي مقابل هذا، فقد حاول أيوب أن يبرر نفسه أمام أصدقائه، بتمسكه ببره، وإصراره على أن الله سمح بكل هذه البلايا ظلماً، وأن المشكلة لا تكمن فيه - بل في الله. وقد شهدت إجابات أيوب زيادة في الشدة أو المغالاة، حينما أعتقد أن أصدقاءه، قد أساءوا تفسير موقفه، ولم يتلامسوا معه في آلامه. وعلى الجانب الأخر، فقد شهدت أحاديث الأصدقاء الثلاثة زيادة في الشدة نحو إجابات أيوب ، حينما اعتقدوا . وقد يكونوا محقين . أنه أخطأ في فهم معاملات الله معه، وتلفظ بكلمات لا يمكن أن تخرج من فم شخص مؤمن.

ونحن نعتقد أنه قد حان، الآن، الوقت لكي نفكر بشكل أكثر موضوعية. ونحتاج أن نبعد بأنفسنا قليلاً عن الحوارات التي دارت بين أيوب وأصدقائه، حتى نفكر بأكثر صفاء. كما نحتاج أيضاً إلى شخص أخر ينقد أحاديث أيوب وأصدقاءه، لكنى نرى الأمور من زاوية مختلفة.

ويمدنا هذا الفصل بفترة راحة، لنلتقط أنفاسنا مرة أخرى بطريقتين:

أولاً، بدراسة (الأصحاح ٢٨) والذي تجاهلناه سابقاً، حيث يشكِّل فقرة فاصلة بين حوارات أيوب وأصدقائه. فهو يفصل بين أحاديث أيوب وأصدقائه الثلاثة، وبين ما أسميناه موقف أيوب الأخير، حيث يبدو الأصحاح في صورة ترنيمة مدهشة عن الحكمة.

والثاني، في (الأصحاحات ٣٢-٣٧) نتعرف على مُشارك جديد في القضية يُدعى "أليهو". لم يفتح فمه بكلمة من قبل، وهو يمنحنا الفرصة لنهدأ ونفكر، وكذلك لديه شيء ليقوله عن الحكمة.

فلنبدأ إذا بالأصحاح الثامن والعشرين:

١.ترنيمة ... لأجل الحكمة

"١لأنه يوجد للفضة معدن وموضع للذهب حيث يمحصونه .

٢الحديد يستخرج من التراب والحجر يسكب نحاسا .

٣قد جعل للظلمة نهاية وإلى كل طرف هو يفحص. حجر الظلمة وظل الموت.

٤حفر منجما بعيدا عن السكان. بلا موطئ للقدم، متدلين بعيدين من الناس يتدلدلون.

٥أرض يخرج منها الخبز أسفلها ينقلب كما بالنار.

٦حجارتها هي موضع الياقوت الأزرق وفيها تراب الذهب.

٧سبيل لم يعرفه كاسر ولم تبصره عين باشق

٨ولم تدسه أجراء السبع ولم يعده الزائر.

٩إلى الصوان يمد يده. يقلب الجبال من أصولها .

١٠ينقر في الصخور سربا وعينه ترى كل ثمين.

١١يمنع رشح الأنهار وأبرز الخفيات إلى النور.

١٢ أما الحكمة فمن أين توجد وأين هو مكان الفهم

١٣لا يعرف الإنسان قيمتها ولا توجد في أرض الأحياء.

١٤الغمر يقول ليست هي في والبحر يقول ليست هي عندي.

١٥لا يعطى ذهب خالص بدلها ولا توزن فضة ثمنا لها .

١٦لا توزن بذهب أوفير أو بالجزع الكريم أو الياقوت الأزرق.

١٧لا يعادلها الذهب ولا الزجاج ولا تبدل بإناء ذهب إبريز.

١٨لا يذكر المرجان أو البلور وتحصيل الحكمة خير من اللآلئ.

١٩لا يعادلها ياقوت كوش الأصفر ولا توزن بالذهب الخالص.
٢٠ فمن أين تأتي الحكمة وأين هو مكان الفهم
٢١إذ أخفيت عن عيون كل حي وسترت عن طير السماء.
٢٢الهلاك والموت يقولان بآذاننا قد سمعنا خبرها.
٢٣الله يفهم طريقها وهو عالم بمكانها.
٢٤لأنه هو ينظر إلى أقاصي الأرض. تحت كل السماوات يرى.
٢٥ليجعل للريح وزنا ويعاير المياه بمقياس.
٢٦لما جعل للمطر فريضة ومذهبا للصواعق،
٢٧حينئذ رآها وأخبر بها هيأها وأيضا بحث عنها
٢٨وقال للإنسان هوذا مخافة الرب هي الحكمة والحيدان عن الشر هو الفهم".

إن الفكرة الرئيسية في (الأصحاح ٢٨) هي التقابل بين "الحكمة الإلهية" و"الحكمة البشرية". ويعتقد كثير من المفسرين أن هذا الأصحاح يعتبر إضافة إلى سفر أيوب. ويعتقد البعض الآخر أن هذا الأصحاح نظير نشيد الكورال في المسرحيات اليونانية الذي يأتي في وسط مشاهدها الرئيسية، ليعطي للسامع والمشاهد أن يقف ليفكر ويتأمل، في المدى الذي وصلنا إليه، وفي الأبعاد الباقية؛ حتى نصل إلى النهاية.

وبين هؤلاء وتلك، يوجد فريق ثالث من المفسرين، يعتقد أن هذا الأصحاح، ينتمي إلى أيوب، ويشكل خاتمة لحديث الطويل، والذي يبدأ من (الأصحاح ٢٦) حتى (الأصحاح ٣١). ويؤيد الفريق الثالث رأيه من خلال ما ورد في (٢٦: ٣) كيف أشرت على من لا حكمة له وأظهرت الفهم بكثرة ، وكذلك ما ورد في (٢٦: ١٢) بقوته يزعج البحر وبفهمه يسحق رهب . حيث يشكل (الأصحاح ٢٨) امتدادا للنصين السابقين. أما (الأصحاح ٢٧)، والذي يتوسط (٢٦ :٣،١٢ والأصحاح ٢٧) فهو جزء من تعليق أيوب عن الحياة التي ترضي الله. والنظرة الشاملة لسفر أيوب، ترينا أن الرأي الثاني هو الرأي الأنسب. حيث أن كاتب سفر أيوب، قد لخص في (الأصحاح ٢٨) استنارته وفهمه الشخصي للأمور، ليعيننا على فهم قصد السفر، وهو "الحكمة".

أ. وجوه الحكمة البشرية

نحتاج أن نذكر أنفسنا، بأن أحد وجوه الحكمة البشرية – كما حددها "إريك هيوتن" Heaton هي: القدرة على الفهم[1]. وفي الحكمة التقليدية، التي وردت في كتابات العهد القديم كسفر الأمثال، وسفر الجامعة، ومما ورد هنا في سفر أيوب، نجد ثلاثة وجوه للحكمة البشرية.

الأول، هناك الحكمة الشعرية المستقاة من مدارس الحكمة، التي تعتمد على الأمثال السائدة حول السلوك والحياة، والتي تناقلت من خلال الأباء للأبناء، ومن خلال المعلمين للمتعلمين. وهذه الحكمة . كما نجدها في سفر الأمثال . هي مجموعة من الوصايا عن الأخلاقيات.

والثاني، نوع من الحكمة الواردة في سفر الجامعة، وهي تقدم لنا مهارات الكتبة في تقديم ثمار قرائحهم الذهنية واكتشافاتهم العقلية.

وثالثا، هناك الحكمة البشرية، والتي ظهرت بوضوح هنا في (أصحاح ٢٨)، حيث يبدي الكاتب إعجابه بالعلوم والتكنولوجيا، وبخاصة صناعة التعدين.

وتبدو الحكمة الإنسانية في حالة "القدرة على الفهم"، وفي فهم المتطلبات الأخلاقية العامة للحياة اليومية، وفي فهم الذي يجب علينا أن نفعله، وكيف نحكم ونسيطر، وكيف نتعامل مع المواد الخام لمهارات الحرفيين.

ولكننا نجد في كل مجال أن الحكمة الحقيقية تعتمد في أساسها على طاعة لله، وليست على المعرفة الطبيعية واللاهوتية النظرية.

ب. الحكمة ... أسمى من "التعدين"

وهذا هو مدلول (الأصحاح ٢٨). ففي أبيات شعرية رائعة، أظهر الشاعر إعجابه بالعامل في مجال التعدين. فمن (عدد ١-٦) يشير إلى عملية تنقية الذهب والفضة، وأيضا إلى عملية الحفر لاستخراج خام الحديد، ثم عملية استخلاص النحاس. ويصور لنا أولئك العمال في المناجم في "حجر الظلمة" (٢٨ : ٣)، بحثا عن الخامات.

ولعل الكاتب قد أراد أن يربط بين المعادن النفيسة التي تخرج من قلب الأرض، وبين أيوب الذي يجب أن يخرج من ظلمة التجربة – كما تخرج المعادن النفيسة من قلب الظلام.

---

(1) Heaton ,p.165.

ثم يستمر الكاتب ليصور لنا في (العددين ٧-٨) كيف أن مقدرة الإنسان، تفوق مقدرة الطير والحيوان. فالصقر الذي يقدر أن يميز فريسته بوضوح من عل، والأسد الذي لا يهرب من فكه شيء، يفشلا في مباراة هذا العامل الضعيف الذي يفتش في أعماق الأرض عن الكنوز. وعندئذ، يمدح قوة الإنسان، وقدرته في البحث عن الكنوز المخبأة في باطن الأرض، وسط الصخور القاسية، وكذلك في أعماق البحار (٢٨: ٩-١١). فمن خلال العالم الطبيعي، تتميز مقدرة الإنسان التي تدعو إلى الدهشة والإعجاب.

ومن ثم، يتجه فكر الشاعر في قصيدته إلى الهدف اللاهوتي الرئيسي من سفر أيوب: **أما الحكمة فمن أين توجد وأين هو مكان الفهم** (٢٨: ١٢).

وتحمل الحكمة معنى أعظم من مجرد مهارة عامل التعدين، والعالم التكنولوجي، والمكتشف العلمي. فهناك أشياء أعظم لا يستطيع البشر معرفتها. فهناك الحكمة الإلهية، بالإضافة إلى الحكمة الإنسانية.

إن النفس البشرية لا تصل من ذاتها إلى معرفة قيمة هذه الحكمة (٢٨: ١٣)، والخليقة أيضا تعلن أنها لا تمتلك هذه الحكمة (٢٨: ١٤)، **فالحكمة الإلهية لا تأتي نتيجة البحث التكنولوجي، ولا يمكن أن تشترى أو تستبدل (٢٨: ١٥)**

ج. الحكمة الحقيقية .. عطية النعمة

إن الإجابة عن السؤال: أين توجد الحكمة الحقيقية، أمر يفوق الإدراك البشري، لأن الحكمة الحقيقية ليست من هذا العالم: إذ أخفيت عن عيون كل حي وسترت عن طير السماء. الهلاك والموت يقولان بآذاننا قد سمعنا خبرها (٢٨: ٢١-٢٢). والحقيقة هي أن الله فقط هو الذي يعرف أين هذه الحكمة (٢٨: ٢٣)، لأنه يرى كل شيء تحت السماء، وترتبط هذه الحكمة بقدرته الخالقة (٢٨: ٢٥-٢٧). ومخافة الرب - أي الحياة في شركة وطاعة لإرادته - هي بداية الحكمة (٢٨: ٢٨). إن هذه هي العطية التي تمكننا من الفهم.

إن الحكمة الحقيقية هي عطية الله، عطية النعمة. وكل المهارات الأخرى بما في ذلك القدرة على التعدين، أو الفكر اللاهوتي الذي تقدم به "بلدد"، أو الفكر اللاهوتي الذي سيتقدم به "أليهو"، أو حتى كمال أيوب، وبره، واستقامته، كلها أمور لا قيمة لها بدون مخافة الله. فالحكمة هي أن نعيش في خوف الرب.

وقد كتب "فون راد" Von Rad:

إن أساس كل حكمة حقيقية يعود إلى خضوعنا الكامل لله، فالإنسان يصبح متفوقا، ماهرا، ناجحا، حينما يتأسس برنامج حياته على معرفة الله ومخافته.[١]

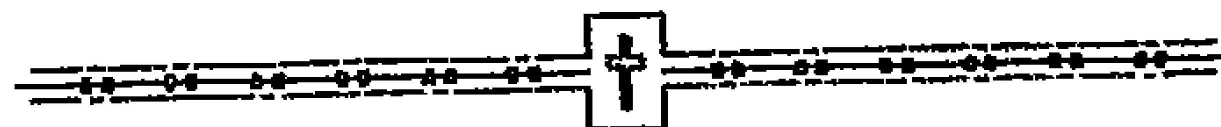
د. المنظور الإلهي للأمور

ولكن، ترى، ما الذي تمثله هذه الحكمة لأيوب؟

إنها تذكره – وتذكرنا حينما نصارع مع أيوب في بلواه، محاولين تفسير موقفه المخيف – بأن الحياة أبعد بكثير مما نفهمه بحواسنا. وأن الحكمة أبعد بكثير من المهارات الإنسانية والفراسة. وبأن هناك نظرة مختلفة، يجب أن نرى بها الأمور، هذه النظرة تأتي من منظور الله الخالق. فالله يرى كل شئ تحت السماوات، في حين تتسم نظرتنا بالمحدودية. وهدف ونظرة الله من نحو أيوب، كانا أكبر مما يتصوره أيوب. وحتى ولو كانت قد فتحت لنا نافذة خلفية صغيرة، نطل منها على مقاصد الله وأسراره، فليس معنى هذا أننا نعرف كل شيء مما يدور في المجلس الإلهي، كما ورد في (الإصحاحين ٢،١). وهكذا نحتاج بداية جديدة لمعرفتنا، لا من خلال تجربة البؤس مثل أيوب، ولا من تجربة تصوف غامضة نظير "أليفاز"، ولا من مفهومنا التقليدي اللاهوتي كما يتضح من حديث "بلدد"، ولا من إدراكنا الطبيعي كما فعل "صوفر".

إن الحكمة الحقيقية تعود إلي الله نفسه، فهوا المصدر الوحيد للحكمة. و الحكمة التي يمكنها أن تقدم كل أجوبة شافية على تساؤلات أيوب، تأتي من الله.

وهكذا يقف الأصحاح الثامن والعشرون بين أصحاحات سفر أيوب، محذرا بأن أية إرهاصات تأتي بعد ذلك من أصدقاء أيوب الثلاثة، لا جدوى منها على الإطلاق. **وأن طريق الخلاص من الهوة، لا يأتي من القاع على الإطلاق، بل يأتي من أعلى. فالخلاص لا يأتي لنا من ترتيبات إنسانية عقلانية، من صنع البشر، بل كعطية من الله. وأن نقطة الانطلاق في المعرفة الحقيقية عن الله، هي التعرف على الله نفسه.** ونحن نحتاج أن نتقابل مع الرب، في النعمة. ونحتاج أيضا أن نبدأ بمخافة الرب، لأنه قد أختار أن يعلن ذاته لنا.



[١] Von Rad, Wisdom in Israel (SCM Press,1972),P.67

٢. دور أليهو

(٣٢ - ٣٧)

بعد موقف أيوب الأخير توقف أصحابه الثلاثة عن الحديث إليه فكف هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب لكونه بارا في عيني نفسه (٣٢: ١). وبطريق أو بآخر، نقول أنه لم يعد هناك بعد ما يقال. ولكن في هذه اللحظة، إذا بصوت جديد لم يكن يسمع به من قبل، يقطع السكون. هذا هو صوت "أليهو"، ولقد كانت نغمته مختلفة عن النغمة التي اتبعها الأصدقاء الثلاثة في الحديث.

والأصحاحات التي يتضمنها حديث أليهو (٣٢-٣٥) تبدو لبعض المفسرين وكأنها دخيلة على النص. وفي واقع الأمر، يقول أولئك أنها كتبت بعد أن تمت الدراما بكاملها، فمادتها تختلف عما سبق.

ولم يكن "أليهو" ضمن الجماعة التي التفت حول أيوب فوق كومة الرماد، كما لم يذكر اسمه في (الأصحاح ٤٢) وهو يتضمن خاتمة الأحاديث. وهذه الأصحاحات التي يتضمنها حديثه، تبدو كإدخال على النص الأصلي. ولكن مهما كان الأمر، سواء كانت أقوال أليهو هي في النص الأساسي، أو كانت دخيلة على النص، قد أضيفت فيما بعد؛ فهي تقدم لنا فترة راحة نلتقط فيها أنفاسنا بعد الوقفة الختامية التي يعلن فيها أيوب تمسكه ببره وبراءته، وقبل أن يجيب الرب أيوب من قلب العاصفة، في (الأصحاح ٣٨).

وكما أشرنا، فنحن بحاجة إلى هذه الوقفة. وفي هذا نرى المقدرة الفنية لكاتب الوحي، ليقدم لنا هذه الأصحاحات؛ حتى يرفع عناء الضيق، وحتى يعدنا للكلمة الحاسمة من الرب. ونحن نحتاج، الآن، أن نتزود بالمؤنة الروحية والفكرية التي قادنا إليها سفر أيوب. ونتساءل: ما هو الهدف من كل الحوارات؟! وما الذي نحتاج أن نسمعه بعد كل هذا؟!

أ. لغز أليهو

لقد كان "أليهو" لغزا في حد ذاته، فهو يندفع أمامنا على مسرح الأحداث كشاب مملوء قوة، واثقا في نفسه وفي قدرته؛ يندفع لتوضيح موقف أيوب وأصدقائه، غاضبا من التشويش الذي قادوا أنفسهم إليه.

وقد يبدو في بادئ الأمر كممثل هزلي: لأنه قرر الصمت لوقت طويل. وإننا لنراه ... بعد الكثير الذي قدمه الأصدقاء الثلاثة، مستعدا لأن يتقدم بشيء جديد، حيث يرينا أن لديه أكثر مما قاله الأصدقاء، وهذا ما يصدق على ما قاله في مستهل خطابه وفي خاتمته. ولكن أحاديثه المتوسطة بين هذه وتلك، تبدو جافة مخيبة للآمال، فهو متجه للحديث عن الأخلاقيات التي كان من الصعب على أيوب قبولها. ولربما كان يشعر، في تلك الأحاديث الوسطى، أنه يقف مصالحا بين أيوب وإلهه. أو لعله كان ينظر إلى نفسه كمحام في ساحة القضاء، محاولا أن يناقش ببرود شديد، قضية لا تهمه.

وهو، هنا، يحاول أن يقدم الأدلة التي لصالح المتهم، والأدلة التي ضده، من وجهة نظر شاهد أو وسيط لا يهمه الأمر. ولكن سفر أيوب، لا يسمح لنا أن نقف من القضية موقف المتفرجين، فقد أخذت أحاسيسنا في القصة منذ البداية وألهبت مشاعرنا. ولا يمكن أن نقف موقف الحياد. وهذا هو السبب في أن أحاديث أليهو الوسطى لا تدفعنا إلى موقف إيجابي، بل تملأنا بالإحباط وبخيبة الأمل، ولكننا – كما سنرى في بداية الحديث (الأصحاح ٣٢)، وفي خاتمته (٣٧) نعرف أن أليهو يمتلك أقوالا مغايرة، لما قدمه الأصدقاء الثلاثة.

ب. هل هو جسر لاهوتي؟

إن السؤال الذي يراودنا الآن هو: لماذا أهتم كاتب السفر بأن يضمن حديث أليهو في هذه الحوارات؟

لقد استمعنا إلى حديث أيوب، في موقفه الأخير، وها نحن في انتظار أن يتكلم الرب، فما هو الجديد الذي يمكن أن يقدمه أليهو؟!

يفتتح أليهو حديثه بالتكلم عن الحكمة، وشأنه شأن الحديث الذي سجل في (الأصحاح ٢٨). وهو الجسر اللاهوتي الذي يربط بين حديث أيوب، وبين جواب الرب له. وهذه هي ميزة أليهو اللاهوتية.

ويبدو أيضاً أن هناك ميزة درامية في حديث أليهو، فالفصول التي تتضمن حديث أليهو تشكل فاصلاً بين أيوب وبين جواب الرب على تساؤلاته. إنها تصور لنا أن الرب ليس مُلزماً أن يسرع بالجواب إزاء موقف أصحاب أيوب، أو إزاء موقف أيوب وتساؤلاته. لقد أُفسح المجال لأليهو، ذلك لأن وقت الله لم يحن بعد أنا الرب أسرع به في حينه. فالرب هو الذي يُحدِّد وقت تدخله في الأمور، ولتحقيق مقاصده العظيمة. ويأتي أليهو إلينا، في هذا المشهد، لكي ننتظر وقت الله. ورغم أخطاء أليهو، إلا أنه كما قلنا سابقاً، فإن حديثه قد مهد الساحة أمام الله، ليتدخل.



٣. أحاديث أليهو

أولاً - الحديث الأول أليهو (٣٢-٣٣)

هناك أربعة أحاديث لأليهو، يبدأ الأول من (٣٢: ٦) بعد مقدمة نثرية فيها يُعلن غضبه على الأصدقاء الثلاثة.

" فَحَمِيَ غَضَبُ أَلِيهُوَ بْنِ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيِّ مِنْ عَشِيرَةِ رَام. عَلَى أَيُّوبَ حَمِيَ غَضَبُهُ لأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللهِ. وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلاَثَةِ حَمِيَ غَضَبُهُ لأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَابًا وَاسْتَذْنَبُوا أَيُّوبَ". (٣٢: ٢-٣)

لقد انتظر أليهو حتى الآن ليتكلم، لأنه أراد أن يفسح المجال لمن هم أكبر منه سناً (٣٢: ٤). ولكنهم أشعلو غضبه حينما لم يفلحوا في تقديم تعزية حقيقية (٣٢: ٥).

وهو يبدأ بسرد الأسباب التي جعلته يُدلي بدلوه بين المتحدثين (٣٢: ٦-٢٢). ويُبيِّن أنه مهلم من الله: وَلكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ (٣٢: ٨).

ولقد تحاجج أليهو مع نفسه أولاً، إن كان سيتكلم أم لا (٣٢: ١٦). ولكنه لم يستطع أن يكظم غيظه في النهاية هُوَذَا بَطْنِي كَخَمْرٍ لَمْ تُفْتَحْ. كَالزِّقَاقِ الْجَدِيدَةِ يَكَادُ يَنْشَقُّ (٣٢: ١٩).

ويبدو من وجهة نظرنا أن أليهو كان متأنقاً في حديثه (٣٢: ١٠-١٢)، حتى وإن بدا ذا قيمة أقل في مجتمعه، ذاك المجتمع الذي يعطي الأهمية للكبار بيد أن فاتحة (الأصحاح ٣٣) تعطي أهمية حقيقية لأليهو.

"١وَلكِنِ اسْمَعِ الآنَ يَا أَيُّوبُ أَقْوَالِي وَاصْغَ إِلَى كُلِّ كَلاَمِي.
٢هأَنَذَا قَدْ فَتَحْتُ فَمِي. لِسَانِي نَطَقَ فِي حَنَكِي.
٣اِسْتِقَامَةُ قَلْبِي كَلاَمِي وَمَعْرِفَةُ شَفَتَيَّ هُمَا تَنْطِقَانِ بِهَا خَالِصَةً.
٤رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي.

٥إن استطعت فأجبني. أحسن الدعوى أمامي. انتصب.
٦هأنذا حسب قولك عوضاً عن الله. أنا أيضاً من الطين تقرصت.
٧هوذا هيبتي لا ترهبك وجلالي لا يثقل عليك".

(٣٣: ١-٧)

أما الحديث الرئيسي لأليهو فيبدأ من (٣٢: ٨) ، حيث يقتبس بعضاً من شكاوى أيوب محاولاً الرد عليها.

أ. قضية أليهو ضد أيوب

يُبين أليهو: إن أيوب في المقام الأول، قد اشتكي، بأن الله قد تجاهل آلامه ومعاناته ولم ينتبه إلى طلباته (٣٣: ١٣). ويجيب أليهو في (٣٣: ١٤-١٨) قائلاً: يا أيوب، إن الله لم يتجاهلك حسب قولك: لكِنَّ اللّهَ يَتَكَلَّمُ (٣٣: ١٤) أحياناً بالرؤى والأحلام. وفي الحقيقة، فإن الله يعلن ذاته للناس، بأكثر من طريق فِي حُلْمٍ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ عِنْدَ سُقُوطِ سَبَاتٍ عَلَى النَّاسِ فِي النُّعَاسِ عَلَى الْمَضْجَعِ. حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ وَيَخْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ (٣٣: ١٥-١٦).

وقصد الله هو أن يعود الإنسان عن الطريق المعوجة التي يسلك فيها، وأن يعلن له شيئاً أكثر عن طريق الله.

لِيُحَوِّلَ الإِنْسَانَ عَنْ عَمَلِهِ وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْحُفْرَةِ وَحَيَاتَهُ مِنَ الزَّوَالِ بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ (٣٣: ١٧-١٨).

لقد كان هدف أليهو من ذلك، أن يتيقن أيوب من حضور الله الدائم معه، حتى وإن كان لا يشعر بذلك.

والسبب الثاني في شكوى أيوب - بحسب نظرة أليهو - هو: أن الله يستخدم سلطانه بغير عدل: يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ. .. وَضَعَ رِجْلَيَّ فِي الْمِقْطَرَةِ. يُرَاقِبُ كُلَّ طُرُقِي (٣٣: ٨-١١).

وعن هذا يجيب أليهو في (٣٣: ١٩-٢٨)، بأن الله قد يستخدم الألم والمصائب كوسيلة لتأديب الإنسان: أَيْضًا يُؤَدَّبُ بِالْوَجَعِ عَلَى مَضْجَعِهِ وَمُخَاصَمَةُ عِظَامِهِ دَائِمَةٌ (٣٣: ١٩). وهكذا، فإن الله لا يستخدم قوته، كنوع من الاستعراض، بل حتى نقوم من غفلتنا.

أما الشكوى الثالثة لأيوب، بحسب ما يرى أليهو، فهي محاولة أيوب في تبرير نفسه بالكامل قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلاَ ذَنْبٍ. زَكِيٌّ أَنَا وَلاَ إِثْمَ لِي (٣٣: ٩). ويعقِّب أليهو على كلام أيوب، بأنه حينما يقبل الإنسان التأديب، ويصلي إلى الله؛ فحينئذ يمنحه الله الخلاص والفرح: يُصَلِّي إِلَى اللهِ فَيَرْضَى عَنْهُ وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهُتَافٍ فَيَرُدُّ عَلَى الإِنْسَانِ بِرَّهُ (٣٣: ٢٦).

ب. أليهو يجادل بأن الله يعرف الأفضل

تمثل العبارة الواردة في (٣٣: ١٢) ملخص حديث أليهو: هَا إِنَّكَ فِي هذَا لَمْ تُصِبْ. أَنَا أُجِيبُكَ لأَنَّ اللهَ أَعْظَمُ مِنَ الإِنْسَانِ (٣٣: ١٢).

يحاجج أليهو هنا، بأنه إن كان الله يعرف الأفضل؛ فبأي حق يشكوا أيوب الله؟! وليس ذلك فقط، بل يُخبرنا أليهو في (٣٣: ٣٠) عن هدف الله من الآلام: لِيَرُدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْحُفْرَةِ لِيَسْتَنِيرَ بِنُورِ الأَحْيَاءِ.

لقد يسمح الله لأبنائه بأن يجتازوا في التجارب والبلايا؛ لِيَرُدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْحُفْرَةِ! ولأجل: فَتَرَى حَيَاتِيَ النُّورَ. وتترجم (R S V) هذه العبارة إلى: حتى أرى نور الحياة. وبالمقارنة مع ما أورده أليفاز وبلدد وصوفر، فإن أليهو يقدم الجانب الإيجابي لفائدة البلايا والتجارب. فهو لا ينظر إلى الموقف من جهة خطايا الماضي فقط، وحاجة أيوب إلى التوبة عنها؛ بل يفتح الباب أمامه، بأن الله يُعد له بركة أعظم تنتظره، حتى وإن كان لا يراها الآن في غمرة يأسه وآلامه ومعاناته. وهذا ما نسميه المعاناة الخلاقة.

ج. المعاناة الخلاقة

قد يبدو من العسير علينا أن نفهم بشكل صحيح، أن الله يسمح بآلام وبلايا، على أولاده؛ لخيرهم العظيم. **ونحن بهذا لا نمجد الآلام أو البلايا، على الرغم من أن بعضاً من المسيحيين، قد انساقوا في تيار هذا الرأي. وخطأهم هنا، هو الخطأ الذي وقع فيه أصحاب أيوب، ونالوا توبيخ الله عليه، حيث ربطوا بين فعل الشر أو الخطية، وبين المعاناة والآلام. أو بين الآلام ، وبين الخير الذي يأتي من هذه الآلام.**

يخبرنا الرب يسوع في بشارة لوقا (١٣) عن أولئك الذين خلط بيلاطس دماءهم بدماء ذبائحهم، وكذلك أولئك الثمانية عشر شخصاً، الذين سقط عليهم البرج في سلوام وماتوا، ثم يتجه

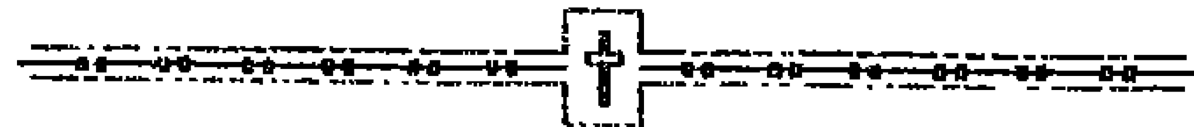
يسوع سائلاً تلاميذه : أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ (لو١٣: ١-٥). وهكذا، رفض يسوع في هذا السياق أن يربط بين الآلام وبين الخطية. وقد شدَّد على هذا الرفض، حينما سأله تلاميذه عن الإنسان المولود أعمى في (يو٩: ٢-٣)، فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى. أَجَابَ يَسُوعُ: لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ.

إن بعض المسيحيين لازالوا يسقطون في فخ الربط بين المعاناة والخطيئة، أما أليهو، فلقد كان أكثر فهما في هذا الصدد.

والطبيب السويسري "بول تورنييه" Tournier في كتابه "المعاناة الخلاقة" يقتبس فقرة عن الدكتور هينال Haynal ، فيها يوضح فكرة هذا الألم الخلاّق، قائلاً: ما هي الصلة التي تربط بين المآسي والمعاناة، وبين الإبداع؟ إن الصلة ليست كما نظنه في العلاقة بين السبب والمُسبِّب. ويُبين "د. هينال" أن هناك صلة قوية بين الخسارة، وبين البلايا التي يُبتلى بها البعض، وبين الإبداع. فالمرء ينضج، ويصبح أكثر إبداعاً، لا بسبب المآسي في حد ذاته، ولكن على قدر تفاعله الإيجابي مع هذه المآسي التي وقع فيها، وسعيه للتغلب عليها. حتى وإن بدا الأمر لا حل له. وهنا يكمن الفخ، حينما نخلط العلاقة بين السبب والنتيجة، ونعلن أن الآلام شيء جيد لمن يتألم. ورغم أن الفرق بين الرأيين يبدو دقيقاً، إلا أنه في غاية الأهمية.[١]

وتثير "سيمون ويل" Weil نفس النقطة في تأملاتها عن الإيمان المسيحي، ورسالة الألم التي دعي الرب يسوع البعض إليها؛ فتقول: تكمن العظمة الكاملة في المسيحية في حقيقة أنها لا تطلب دواءً فوق طبيعي للآلام، بل استخداماً فوق طبيعي له [٢].

وعلى هذا النحو يسعى أليهو في التخبُّط نحو هذا الحق. فيبدأ في محاجاته ليبرهن لأيوب، أن الله مُنْشَغِل بما يحدث لأيوب، في الوقت الذي يصارع فيه أيوب للتوافق مع ما حدث له.



(١) P. Tournier، Creative Suffering (SCM press), p.28.

(٢) S.Weil,Gravity & Grace (Routlege, Ark Paperbacks,3rd ed.1987).

ثانياً: الحديث الثاني لأليهو (ص ٣٤)

بالمقارنة مع الحديث الأول، نجد أن حديث أليهو الثاني يخيِّب آمالنا فيه. فهو يحوِّل وجهه في (الأصحاح ٣٤) عن أيوب إلى أصدقائه الثلاثة (٣٤: ٢). وهل يا تُرى يقصد حقاً أولئك الذين (كما نظن نحن) نزلوا الآن من على خشبة المسرح؟! أم أنه يقصد بعضاً من الواقفين، والمتابعين للحديث بين أليهو وأيوب؟!

يأخذ أليهو جانب أولئك الحكماء، في مهاجمته لتقوى أيوب قائلاً:

> ٢"اسْمَعُوا أَقْوَالِي أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ وَاصْغَوْا لِي أَيُّهَا الْعَارِفُونَ.
> ٣لأَنَّ الأُذُنَ تَمْتَحِنُ الأَقْوَالَ كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَذُوقُ طَعَامًا.
> ٤لِنَمْتَحِنْ لأَنْفُسِنَا الْحَقَّ وَنَعْرِفْ بَيْنَ أَنْفُسِنَا مَا هُوَ طَيِّبٌ.
> ٥لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ تَبَرَّرْتُ وَاللهُ نَزَعَ حَقِّي.
> ٦عِنْدَ مُحَاكَمَتِي أُكَذَّبُ. جُرْحِي عَدِيمُ الشِّفَاءِ مِنْ دُونِ ذَنْبٍ".
> (أصحاح ٣٤: ٢-٦)

أ. أليهو يدافع عن عدالة الله

يبدو لنا أن الاستنارة الرعوية التي بدت في حديث أليهو الأول، قد اختفت؛ وهكذا نراه وجهاً لوجه مع الأصدقاء الثلاثة، قد بدا بارداً، جامداً، لا يكترث بشيء.

ولعل أليهو من أولئك الذين يغيرون بسرعة أفكارهم، بحسب الأشخاص الذين يتحدثون إليهم. فهو يتحدث إلى أصدقاء أيوب عن الله، محاولاً تبرير الأسلوب الذي تعامل الله به مع أيوب: فَحَقًّا إِنَّ اللهَ لاَ يَفْعَلُ سُوءًا وَالْقَدِيرَ لاَ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ (٣٤: ١٢). وهو يتبع المنهج التحليلي، فيبدأ بسلطان الله (٣٤: ١٣-١٩)، ولكن يبدو واضحاً أن الله في حديث أليهو، وكأنه لا يزيد عن كونه قوة عدل مُتجَرِّدة (٣٤: ١٠)، ثم يتحدث أليهو بعد ذلك عن معرفة الله (٣٤: ٢١-٢٣)، وبعدها يتجه إلى عدم تحيز الله (٣٤: ٢٤-٢٧).

ويتميز إله أليهو- من خلال حديثه- بأنه إله العدالة العظيم. ولكن هل هو خالق كل الأشياء؟ وهل هو خالق الشر؟

يبدو أن أليهو على مقربة من الإجابة على هذه الأسئلة. ولا يذكر أليهو هنا، أي شيء عن المجلس الإلهي، والحوار الذي دار بين الله وبين إبليس، ولا يذكر أي شيء عن الصورة التي جابهتنا في مطلع سفر أيوب، والتي فيها نرى الله يطلق العنان للشيطان، للتصرف في عبده أيوب.

وإذا كنا نسلِّم بالرأي القائل؛ بأن حديث أليهو هو إضافة إلى السفر، أو هو محطة هدوء لاسترجاع الأنفاس، في وسط هذه الدراما الصاخبة، فلماذا أغفل كاتب لسفر الإشارة إلى الشيطان، ومؤامرته في المجلس الإلهي؟ ولماذا لم يذكر الكاتب شيئاً عن عدو الخير- عدا ما ذُكر في أول السفر؟! وهل يا ترى كان أليهو مدركاً لما جرى في السماء، والمساومة، التي حاول فيها الشيطان أن يكون الرابح المنتصر على حساب خسارة أيوب وآلامه وبلاياه؟

لعل أليهو قد عرف ذلك، ولكنه كان يفكر بمنطق من يرى في الله إله السلطان، وإله العدالة التي لا تخطيء- إنه يتكلم كثيراً عن عدالة الله، ولكنه لا يذكر شيئاً عن نعمة الله.

ويمكن أن نلخص حديث أليهو في (٣٤: ١١): لأَنَّهُ يُجَازِي الإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِهِ وَيُنِيلُ الرَّجُلَ كَطَرِيقِهِ. وهنا، نجد أليهو يتحدث بمنطق أنك تحصد ما زرعته. وهكذا دُرنا حول أنفسنا هذه الدورة الطويلة؛ لنجد ذواتنا في النهاية جنباً إلى جنبٍ مع أليفاز، ومنطقه الخاطيء.

ويختتم أليهو هذا الحديث، بمحاولة لإظهار غباوة أيوب وجهله!

٣١ وَلكِنْ هَلْ لِلهِ قَالَ احْتَمَلْتُ. لاَ أَعُودُ أُفْسِدُ
٣٢مَا لَمْ أُبْصِرْهُ فَأَرِنِيهِ أَنْتَ. إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ إِثْمًا فَلاَ أَعُودُ أَفْعَلُهُ.
٣٣هَلْ كَرَأْيِكَ يُجَازِيهِ قَائِلاً لأَنَّكَ رَفَضْتَ فَأَنْتَ تَخْتَارُ لاَ أَنَا وَبِمَا تَعْرِفُهُ تَكَلَّمْ.
٣٤ذَوُو الأَلْبَابِ يَقُولُونَ لِي بَلِ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الَّذِي يَسْمَعُنِي يَقُولُ
٣٥إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلاَ مَعْرِفَةٍ وَكَلاَمُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ.
٣٦فَلَيْتَ أَيُّوبَ كَانَ يُمْتَحَنُ إِلَى الْغَايَةِ مِنْ أَجْلِ أَجْوِبَتِهِ كَأَهْلِ الإِثْمِ.
٣٧لكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيَّتِهِ مَعْصِيَةً. يُصَفِّقُ بَيْنَنَا وَيُكْثِرُ كَلاَمَهُ عَلَى اللهِ .
(٣٤: ٣١-٣٧)



ثالثاً: الحديث الثالث لأليهو: (ص ٣٥)

يقول أليهو: "ما أبعد الله وما أغناه عنا؟!"

يستعرض أليهو في حديثه الثالث (الأصحاح ٣٥) شكوى أيوب مرة ثانية: لاَ يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللهِ (٣٤: ٩). وهو يتناول في هذا الصدد أمرين أساسيين:

الأول: الرد على الأقوال التي رددها أيوب في (الأصحاحات ٢٢،٩،٧)، فقال في (٣٤: ٥-٧): انْظُرْ (يا أيوب) إِلَى السَّمَاوَاتِ وَأَبْصِرْ وَلاَحِظِ الْغَمَامَ. إِنَّهَا أَعْلَى مِنْكَ. إِنْ أَخْطَأْتَ فَمَاذَا فَعَلْتَ بِهِ وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ لَهُ إِنْ كُنْتَ بَارًّا فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ، فلا شيء يعمله الإنسان، يؤلم، أو يفرح الله (٣٥: ٨). إن أليهو، هنا، يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه من قبل أليفاز.

وبهذا القول، الذي يملأ النفس باليأس، الخالي من المعونة والتعزية، نجد أن أليهو قد وضع نفسه في مأزق، كما يقول "فرانسس أندرسون" Anderson في تعليقه:

لو كان تعليق أليهو بأن برّ الله المطلق، هو برّ كامل، حيث لن يزيده صلاحنا مجداً، ولن تنتقص ضعفاتنا الإنسانية شيئاً منه؛ فإن هذه تبدو حقيقة تجريدية لا مفر منها. ولو كان يقصد بهذا أن الله لا يهتم بسلوكنا البشري – سواء بهذا الطريق أو ذاك؛ فإنه يردد صدى ما أورده في (الأعداد ٧،٦) وينقض بهذا قضيته برُمتها، معلناً بقوة أن العدالة لا تعني شيئاً بالنسبة لله. فهو على هذا النحو يبدأ بعدم التحيز وينتهي باللامبالاة[١].

أما السؤال الثاني لأيوب، لماذا لا يستجيب الله للصلاة؟ فقد كانت إجابة أليهو عشوائية وخالية من الرأفة. مقدماً ثلاثة أسباب لعدم استجابة الصلاة: الصلف، والكبرياء (٣٥: ١٣) وأخيراً ضعف الإيمان (٣٥: ١٤). وهو بهذا النحو يتمسك بنظريته دون أن يصل إلى الهدف الذي يحتاجه أيوب. فلا واحد من هذه الأسباب يتعلق بمشكلة أيوب. فلماذا إذاً، نطلب لمستقيم القلب، أن يسأل الله بقلب سليم؟.

وهكذا نرى أن أليهو كان مُخيباً للآمال في نصائحه، وأجوبته على أيوب. على الرغم من أنه بدأ بداية مبشرة بالخير. ورغم أنه بدا وكأنه صاحب القول الفيصل. ولربما قدمه الكاتب أيضاً على هذا النحو، كأفضل ما يمكن أن تقدمه الحكمة البشرية التلقائية في معالجة الموقف. هنا نرى

(١) Anderson, P.256.

"وجهة النظر الإنسانية" التي لا تأخذنا أبعد من موطئ أقدامنا. وهكذا نرى أننا نحتاج إلى نظرة أعمق من هذه، كما سيظهر لنا من حديث أليهو الختامي.

أ. الحكمة: منهج مختلف

يبدو مما سبق، أن الصورة التي لأليهو، عن الله، بأنه هو الإله الطيِّع الذي يمكن التَّنَبُّؤُ بأعماله، والذي يمكن معرفته، وهو الإله الذي يتسم بوضوح طرقه، والذي كل شيء في الوجود تحت سلطانه.

ولكن إن كنا قد تعلمنا شيئاً من سفر أيوب، فهو أن هذه الحقيقة التي تزعم أن طبيعة الله مفهومة بالكامل لدينا، هي حقيقة أقل وضوحاً، وليست كما نتصورها. فالحكمة الإلهية ليست شيئاً نناله بالتفكير العميق، أو بالسلوك الحسن، أو لو أن نظامنا اللاهوتي مُرَتَّب وواضح. لكن الحكمة الإلهية – كما سنري فيما بعد – تأتي من خلال العاصفة، من عند الله.

وهناك قصيدة مطوّلة كتبها الشاعر الإنجليزي "فرانسس يونج" Young عن الحكمة (Sophia)، واتخذ لها عنوناً: دعوة الحكمة، وهو يصوّر لنا فيها، أن الحكمة هي الترتيب العجيب للأمور W ild Order، ولأنها قصيدة طويلة، فإننا نكتفي بهذا الجزء القليل منها:

في ليلة الخسارة والأسى، تأتي دعوة الحكمة (S ophia)
في أحلام الليالي المظلمة، ليالي المآسي والخسارة ...
تبدو رائعة في جوهرها ...
أراها منهجاً مختلفاً،
وجمالها كجمال صوت الينبوع المتفجر في الجبل،
تملأ الفكر الواعي بنغمات فريدة ...
وكأني بها تردد ألحان السحب الزرقاء ...
أقدم هي من كل أحلام الحكماء القدماء
عيون الحكمة (Sophia) نبع صافٍ من المحبة،
تأتي مع الأيام، بيد أنها شابة ...
الحكمة (Sophia) قطرات نور
شعرها شابٌ ، تحمله النسمات ...
هذا الجمال الفريد،
أراه في قلب كل الأشياء ...

إن الحكمة (Sophia) هي المبدأ الجوهري ...

إن صوفيا هي الترتيب العجيب للأمور ...

حيث: هناك "إدهاش، في التنظيم الإلهي لكل الأشياء".

وعلى ذلك، لن يستطيع "أليهو" أن يتحمل هذه الحقيقة الجوهرية الضيقة.

ويصوّر لنا "سي. إس. لويس" نفس الصورة بطريقة أخرى، حين يلتقي "مستر بيفر" "بأصلان". فيرى أنه ليس أسداً مستأنساً:

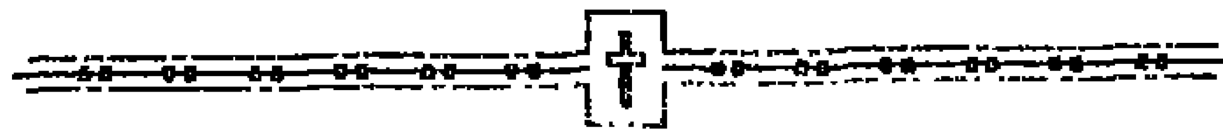
"لقد حذرهم مستر بيفر قائلاً: (سوف يأتي وسوف يذهب) (في يوم سوف تراه وفي يوم آخر لن يظهر لك. إنه لا يقبل أن يكبل بالقيود. ومما لا شك فيه أن له دولاً أخرى ليسهر عليها. هذا حسن وصادق. وغالباً ما ينزل هابطاً علينا. فقط، ينبغي ألا نرغمه. إنه وحشي ثائر كما نعرف، وليس كالأسد المستأنس."

إن إله أليهو، إله منظّم، ولكنه صغير

ب. مُؤْتِي الأَغَانِيِّ فِي اللَّيْلِ

إن الحديث الثالث لأليهو يحتوي على درة رائعة، ينبغي ألا نغفلها، رغم التعليق الذي تقدمنا به. وهي جملة رائعة الجمال فائضة بالتعزيات. فيها يصف الله في (٣٥: ١٠) بأن الله مُؤْتِي الأَغَانِيِّ فِي اللَّيْلِ. حيث ساعات الظلمة، نجد أليهو يحثنا على أن نتغنى، بأغنيات الخالق العظيم، وقد يظهر لنا أن أليهو ليس في إمكانه أن يُبين لأيوب كيف يمكن ذلك. **لكن هذه الآية تمثل بركة كبيرة للباحثين عن يد المعونة وقت الأزمات، فالإله العظيم هو مُؤْتِي الأَغَانِيِّ فِي اللَّيْلِ.**

ليت الرب يعطينا نعمة أن نعرفه، في الظلام الذي نواجهه، حتى نقدر أن نرنم هذه الترنيمة : مُؤْتِي الأَغَانِيِّ فِي اللَّيْلِ.



رابعاً: الحديث الختامي لأليهو: (٣٦-٣٧)

يتضمن (الأصحاحان ٣٦-٣٧) حديث أليهو الأخير. والشكر لله لأن الأمور قد تحولت إلى الأفضل، رغم أن أليهو قد ظهر أمامنا في (الأصحاح ٣٤)، كضحية لمنطقه الفكري الجامد، وكمساهم مع الأصدقاء الثلاثة، في توجيه النقد لأيوب. وفي (الأصحاح ٣٥) نجده جامداً غير مبال بما حدث لأيوب. إلا أنه هنا في (الإصحاحين ٣٦-٣٧) نجده يتجه إلى الله، بنغمة لطيفة وحساسة، في شكل اهتمام رعوي بأيوب. فيقدم لنا، ليس فقط أصدق وأعظم عبارات عن لاهوت المجازاة والعقاب، بل يقدم أيضاً استنارة جديدة، تحوي العديد من الدرر البهية.

وتشكل هذه الأصحاحات الثلاثة في سفر أيوب جسر العبور من عالم أليفاز وبلدد وصوفر إلى عالم الله، العتيد أن يتكلم خلال العاصفة، فتجهزنا إلى الإنصات إليه.

٥"هُوَذَا اللهُ عَزِيزٌ وَلكِنَّهُ لاَ يَرْذُلُ أَحَدًا . عَزِيزُ قُدْرَةِ الْقَلْبِ.
٦لاَ يُحْيِي الشِّرِّيرَ بَلْ يُجْرِي قَضَاءَ الْبَائِسِينَ.
٧لاَ يُحَوِّلُ عَيْنَيْهِ عَنِ الْبَارِّ بَلْ مَعَ الْمُلُوكِ يُجْلِسُهُمْ عَلَى الْكُرْسِيِّ أَبَدًا فَيَرْتَفِعُونَ.
٨إِنْ أُوثِقُوا بِالْقُيُودِ إِنْ أُخِذُوا فِي حِبَالَةِ الذُّلِّ
٩فَيُظْهِرُ لَهُمْ أَفْعَالَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ لأَنَّهُمْ تَجَبَّرُوا
١٠وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ لِلإِنْذَارِ، وَيَأْمُرُ بِأَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الإِثْمِ.
١١إِنْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا قَضَوْا أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ وَسِنِيهِمْ بِالنِّعَمِ.
١٢وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا فَبِحَرْبَةِ الْمَوْتِ يَزُولُونَ وَيَمُوتُونَ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ" .

(٣٦: ٥-١٤)

ويبدأ أليهو بإعادة إعلان الفكرة: إن الله إله عادلُ ورحيمُ حتى وإن أرسل التجارب على شعبه (٣٦: ٦). فهو لا يحوّل عينيه عن الأبرار (٣٦: ٧). وفي النهاية، يدرك أليهو معنى القول حِبَالَهِ الذُّلِّ (٣٨: ٨). ويلخّص حكمته المتعارف عليها في الأقوال:"إِنْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا قَضَوْا أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ وَسِنِيهِمْ بِالنِّعَمِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا، فَبِحَرْبَةِ الْمَوْتِ يَزُولُونَ وَيَمُوتُونَ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ".

(٣٦: ١١-١٢).

أ. الألم الشافي!

إن العبارة التي تقدم بها أليهو في (٣٦: ١٥)، لا تمثل فقط استنارة جديدة، بل تمثل أعظم ما قاله أليهو في حديثه على الإطلاق، فيقول عن الله: يُنَجِّي الْبَائِسَ فِي ذِلِّهِ وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ فِي الضِّيقِ.

ولا تُبين هذه العبارة فقط: أن الله يستخدم الألم لكي يؤدب الإنسان، ويأتي به للتوبة. بل: أيضاً ما هو أكثر من ذلك، حيث يأتي الله بالخلاص للإنسان وسط عملية التأديب. وكما يقول "مارتن إسرائيل" M. Isvael في كتابه الألم الشافي: "أنه من خلال عبد الله المتألم يوجد شفاء[١].

وقد نتذكر في هذا الصدد ما قاله سي. إس. لويس في كتابه: "رحلة المنسحق"، كيف أن بطله "ستاس" قد وقع في فخ حراشف التنين، وكيف أنه كلما حاول نزع هذه الطبقة من الحراشف، وجد تحتها طبقة أخرى، وذلك في إشارة إلى المعاناة الدائمة؛ فقال:

وقال الأسد لي، دعني أحاول أن أخلصك من حراشف التنين. ولكنني خشيت أن تمزقني أظافره ... وكدت أصل إلى اليأس المطبق .. إن أول طبقة نزعها عني، خيل لي أنه قد نزع قلبي مني ... وكانت آلامي وهو ينزعها، فوق ما يتصور إنسان، ثم أمسك بي، وكنت عارياً بلا جلد، وألقى بي في الماء فارتعبت، ولكن لدقيقة واحدة. وبعدها، أصبحت السباحة متعة لنفسي لا تُدانيها متعة. وحينما رحت أضرب بذراعي في المياه، وجدت أن كل ألمي قد زال عني. ورجع لحمي إليّ كلحم صبي صغير[٢]

هذا هو هدف أليهو: إن الله يشفينا من خلال الآلام. وحتى وإن بدت العملية في غاية المشقة، إلا أنه سرعان ما يفتح أعيننا على عالم جديد، ويفتح آذاننا لنسمع موسيقى أغان جديدة. وحسناً قال "مارتن إسرائيل": إن واحدة من أعظم إسهامات الآلام، هو أن يفتح عيوننا النائمة، على نوعية أفضل للوجود الإنساني .. نوعية أعمق لهذا الوجود، لنبحث عن المعاني الجديدة

---

(١) M. Israel, The Pain that Heals (Hodder & Stoughotn, 1981).

(٢) C.S. Lewis, The Voyage of the Damn Treader (Perguin Books., 1965), p 96

لوجودنا في هذه الحياة؛ هذه المعاني التي تأتي بعيداً عن الأحاسيس الزائفة، التي تشغلنا بالنا عن الهدف الحقيقي من وجودنا[٣].

ب. قوة الله في العاصفة

ولكي يجهّزنا كاتب السفر لمجيء الرب على مسرح الأحداث، فإنه يفسح المجال أمام أليهو ليتحدث عن عظمة الله وجلاله (٣٦: ٢٢ إلى ٣٧: ٢٤)، حتى تنفتح قلوبنا لفهم أكبر. وهو الأمر الذي يحتاجه أيوب أيضاً، حتى يتعلم أشياء أعمق عن شخص الله.

وهنا يتحرك أليهو من الحديث عن القوة الإلهية (٣٦: ٢٢)، إلى صورة الله العجيبة في العاصفة. والفقرة الأخيرة من (الأصحاح ٣٦) تصف لنا العاصفة الملبدة بالأمطار:

> "٢٧لأَنَّهُ يَجْذِبُ قِطَارَ الْمَاءِ. تَسُحُّ مَطَرًا مِنْ ضَبَابِهَا
> ٢٨الَّذِي تَهْطِلُهُ السُّحُبُ وَتَقْطُرُهُ عَلَى أُنَاسٍ كَثِيرِينَ.
> ٢٩فَهَلْ يُعَلِّلُ أَحَدٌ عَنْ شَقِّ الْغَيْمِ أَوْ قَصِيفِ مِظَلَّتِهِ
> ٣٠هُوَذَا بَسَطَ نُورَهُ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ يَتَغَطَّى بِأُصُولِ الْيَمِّ.
> ٣١لأَنَّهُ بِهذِهِ يَدِينُ الشُّعُوبَ وَيَرْزُقُ الْقُوتَ بِكَثْرَةٍ.
> ٣٢يُغَطِّي كَفَّيْهِ بِالنُّورِ وَيَأْمُرُهُ عَلَى الْعَدُوِّ.
> ٣٣يُخْبِرُ بِهِ رَعْدُهُ الْمَوَاشِيَ أَيْضًا بِصُعُودِهِ".
> (٣٦: ٢٧-٣٣).

وهذا يقودنا إلى (الأصحاح ٣٧) فيصف لنا الرعد والبرق اللهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا. يَصْنَعُ عَظَائِمَ لاَ نُدْرِكُهَا (٣٧: ٥)، ثم تغطي برودة الشتاء كل شيء بعد ذلك:

> ٦لأَنَّهُ يَقُولُ لِلثَّلْجِ اسْقُطْ عَلَى الأَرْضِ. كَذَا لِوَابِلِ الْمَطَرِ وَابِلِ أَمْطَارِ عِزِّهِ.
> ٧يَخْتِمُ عَلَى يَدِ كُلِّ إِنْسَانٍ لِيَعْلَمَ كُلُّ النَّاسِ خَالِقَهُمْ

(٣) مرجع سابق، M. Israel, P. 12

٨فَتَدْخُلُ الحَيَوَانَاتُ المَآوِيَ وَتَسْتَقِرُّ فِي أَوْجِرَتِهَا .
٩مِنَ الجَنُوبِ تَأْتِي الأَعْصَارُ وَمِنَ الشَّمَالِ البَرْدُ .
١٠مِنْ نَسَمَةِ اللهِ يُجْعَلُ الجَمْدُ وَتَتَضَيَّقُ سِعَةُ المِيَاهِ.
١١أَيْضًا بِرِيٍّ يَطْرَحُ الغَيْمَ . يُبَدِّدُ سَحَابَ نُورِهِ.
١٢فَهِيَ مُدَوَّرَةٌ مُتَقَلِّبَةٌ بِإِدَارَتِهِ لِتَفْعَلَ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ المَسْكُونَةِ
١٣سَوَاءٌ كَانَ لِلتَّأْدِيبِ أَوْ لأَرْضِهِ أَوْ لِلرَّحْمَةِ يُرْسِلُهَا .

(٣٧: ٦-١٣)

هذه هي صورة العالم الذي تحدث فيه الأمور القاسية، العالم الذي صارع فيه أيوب، وشعر بقوة العاصفة، وسمع هَزيم الرعد في آلامه، وتجمد بثلوج الله.

وقد سمح الله - بمحبة - بحدوث هذه الأمور، لتتميم مقاصده. فالعاصفة تهذّب وتنعش الأرض، والتهذيب والإنعاش يُعبران عن أمانة الله، وعن محبة الله الثابتة.

وتعبّر ترجمة (NIV) عن ذلك بوضوح فتقول ما معناه: يرسل غمامه ليعاقب الإنسان، أو ليروي الأرض ويعلن محبته (٣٧: ١٣).

وهكذا تتضح الأمور شيئاً فشيئاً، فمن (العدد ٢١) تنتهي العاصفة، وتصفو السماء، ويصبح الجو صحواً، ويشرق النور مِنَ الشَّمَالِ يَأْتِي ذَهَبٌ. عِنْدَ اللهِ جَلاَلٌ مُرْهِبٌ (٣٧: ٢٢).

"٢١وَالآنَ لاَ يُرَى النُّورُ البَاهِرُ الَّذِي هُوَ فِي الجَلَدِ ثُمَّ تَعْبُرُ الرِّيحُ فَتُنَقِّيهِ.
٢٢مِنَ الشَّمَالِ يَأْتِي ذَهَبٌ. عِنْدَ اللهِ جَلاَلٌ مُرْهِبٌ.
٢٣القَدِيرُ لاَ نُدْرِكُهُ. عَظِيمُ القُوَّةِ وَالحَقِّ وَكَثِيرُ البِرِّ. لاَ يُجَاوِبُ.
٢٤لِذَلِكَ فَلْتَخَفْهُ النَّاسُ. كُلُّ حَكِيمِ القَلْبِ لاَ يُرَاعِي" .

(٣٧: ٢١-٢٤)

يجب علينا أن نلاحظ، أن أليهو قصد من وراء ما أعلنه، أن يوجهّنا إلى الله. وهاهو سفر أيوب قد أصبح الآن مُعَدّاً، لأن تشرق الشمس مرة أخرى على أيوب، ولتحمل إليه نسمات فجر الربيع.



٤. تغيير طبيعة السؤال

لقد كان أيوب وأصدقاؤه الثلاثة يبحثون عن إجابة لأسئلتهم، وعن سبب لهذه البلية. ولكن كافة طرقهم لم تفلح في الوصول إلى نتيجة إيجابية. فالإجابة لا تأتي من النظر إلى الماضي، بل بتطلع أبصارنا إلى المقاصد الإلهية. وقد دفعنا أليهو لنتخلى عن النظر إلى الماضي، والتخلي عن فكرة أن الألم هو نوع من العقاب، بل إن الألم يحمل معنى "فداء"، وهي الآلام التي تشفي.

ولقد قال يسوع ذات الشيء، حينما سأله تلاميذه عن الإنسان الذي وُلد أعمى: هل أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى، كان جوابه عليهم لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن ليظهر عمل الله فيه (يو٩: ١٣). وهكذا تحول السؤال "لماذا؟"، إلى السؤال "لأي قصد. لأي هدف وغاية؟". والجواب لم يكن بسبب خطايا الماضي، بل لإظهار أعمال الله، ومعجزاته العظيمة في الوقت القادم.

وهذه هي النقطة التي أتى بنا أليهو إليها.

وإذ نبدأ بالنظرة التقليدية، نجد أن قانون العقاب والمجازاة، هو الذي حكم النظرة الضيقة التي تبناها أصدقاء أيوب الثلاثة. وهو الأمر الذي أخذنا أليهو بعيداً عنه. قد أخذنا عن فحص قوة الله، والتأمل في جلاله، من خلال العاصفة، إلى استنتاجاته في (٣٧: ٢٤). وتترجم الترجمة (NIV) الآية إلى ما معناه: لذلك فليَحْتَرِمه الإنسان، لأنه لم يراع كل الحكماء في قلوبهم. ويترجمها "أندرسون" Anderson إلى ما معناه: إذًا ليخافه الإنسان، حَتْمًا يخافه كل حكماء القلب.

إن مخافة الرب هي ما انتهينا إليه الآن، وهي تلك المخافة التي تعلمناها في (الأصحاح ٢٨)، هي رأس الحكمة.

أ. لمحات من الحكمة

نعود فنكرر أن أليهو، كان بمثابة الجسر، الذي ربط من ناحية بين النظرة اللاهوتية غير التقليدية، عن إله معتزل بذاته، ومستغْنٍ بصفاته، عن آلام البشر واختبارات البشر، وبين الحاجة إلى الحكمة الحقيقية من الناحية الأخرى. وهكذا، تهيأنا إلى نوال لمحة عن الحكمة الإلهية، ولنقبل هذه الهبة النافعة لنا في جهادنا في ظروفنا.

ثم وصلنا إلى أن الحكمة الإلهية هي :مخافة الرب، وهي طريق الحياة أمام الله في طاعة كاملة، والاعتماد على نعمته. أي أن نختبر حضور الله الفعال الذي يَشْتَمِل على الحكمة.

وبينما كان أليفاز مشغولاً بعظمة الله وجلاله، حتى لم يهتم بالتفاصيل الضَئيلة في حياة أيوب. يأتي أليهو، هنا، ليتحدث عن مخافة الرب؛ هذه الصلة الحميمة مع الله، التي من خلالها يهتم الله - ليس فقط بالتفاصيل الضَئِيلة في حياة الإنسان، بل أيضاً بكل الحياة الإنسانية.

لقد أتي بنا أليهو من الفكر اللاهوتي الْمُجَرَّد، إلى الحكمة، ومن المناقشات العقيمة واليأس إلى الله نفسه. إذاً، فقد أتي أليهو بنا إلى ترنيمة الحكمة التي قدمها لنا (الأصحاح ٢٨) من السفر. فنحن نحتاج إلى لقاء الرب في النعمة، وأن نخافه، وأن نعيش في شركة معه.

ونستخلص من هذه الفكرة، أن الحكمة ليست تخزيناً للمعلومات، أو هي أن نكون لاهوتيين في معلوماتنا، لكن الحكمة هي أن نعيش في مخافة الرب. وهذا هو ما قدمه لنا بولس الرسول في قوله "المسيح هو قوة الله وحكمة الله" (١كو١: ٢٤)، فالحكمة هي المسيح في مشاركته لنا، في عطائه لذاته، وفي معاناته، الحكمة هي المسيح في طاعته للآب حتى إلى الموت على الصليب.

فالحكمة الإلهية قد استُعلنت في يسوع المسيح، وبنعمة الروح القدس أصبحت متاحة لنا، إنها حكمة "عبد الرب المتألم"، الذي بآلامه نلنا الشركة مع الله.

وهذه هي الرحلة التي قطعها أيوب، في معاناته. لقد عرف واختبر الطريق الشاق إلى الحكمة، الحكمة التي هي الترتيب المدهش للأمور، وهي التي علَّمته كيف يواجه متاعبه وينتصر عليها.

لقد أجاب أيوب خلال رحلة إيمانه على منطق الشيطان: "هل مجاناً يتقي الله أيوب؟"، فليست هناك مكافأة أكثر من الشركة مع الله نفسه، ولا مجازاة أعظم من عطية نعمته.

وهذا ما سيأخذنا إليه الفصل الختامي لهذه الدراسة.

JOB

الباب الخامس

الرب يتكلم أخيراً

[أصحاح ٣٨ -أصحاح ٤٢]

وأخيراً، وبعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة بكل ما فيها من: آلام، ومعاناة، وخسائر، وبلايا، ومرض رهيب، أَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ (٣٨: ١).

لقد مضت فترة طويلة منذ أن كنا في المجلس الإلهي، حيث تقدم الشيطان بسؤاله الاستنكاري القاسي: "هل مجاناً يتقي أيوب الله؟". ولقد رأينا الله يعطي الشيطان الزمام ليمتحن سلامة وبر أيوب. وقام الشيطان بدوره الرهيب، في تجريد أيوب من كل ما لديه. وبعدها، لم نر الشيطان في باقي فصول القصة. وقد قال "كارل بارت" Barth في هذا الصدد: لقد نظر الله إلى الشيطان بعد ذلك، نظرة حادة مؤبخة. ولقد مضت أيضاً فترة طويلة منذ أن اقترحت زوجة أيوب: "جدف على الله ومت"، ومضت كذلك فترة طويلة، منذ رأينا أصدقاء أيوب الثلاثة يجلسون أمامه في صمت مدة سبعة أيام وسبع ليال، متعاطفين معه.

ومنذ ذلك الوقت، فقد استمعنا إلى دورات الحديث الثلاث مع الأصدقاء، الذين قدموا له تفسيرهم العقلاني ورؤيتهم لقانون الجزاء، والعقاب. ولقد افترضوا أن أيوب لا بد وأنه أخطأ، ثم طلبوا إليه أن يرجع إلى الله بالتوبة. ولقد استمعنا إليهم أيضاً، وهم يعظمون مجد الله وسلطانه، غير ذاكرين أي شيء عن محبته ونعمته. ولقد أشار كاتب السفر إلى أن مخافة الرب هي رأس الحكمة، وقد سارت أفكار أليهو اللاهوتية على ذات الدرب، فربط بين الحكمة ومخافة الرب.

وطيلة هذه الرحلة، نجد أيوب يؤكد على براءته واستقامته. فقد بكى وتولاه اليأس واعتصر قلبه الألم، وشملت الأزمة نفسه وروحه وجسده، وصارع كل هذه البلايا بكل نَفَسٍ من أنفاسه، فقد كان محل الظلم في الوقت الذي تمتع فيه الآخرون بالعدل! وطلب مرات ومرات أن يعلن الله ذاته له، ويُبين له: لماذا يبدو غير عادل، وبعيد، وصامت؟!!

والآن يتكلم الله، في النهاية، مجيبا على أيوب من العاصفة (٣٨: ١). ولقد كان هناك العديد من الإشارات والتمهيدات إلى هذه الأمر، وذلك حينما تدخل أليهو في الحديث ليمنحنا فترة استراحة، إلى أن يتكلم الرب من العاصفة. ويلاحظ أن أيوب نفسه كان تمسك بوجود شخص ثالث بينه وبين الله، شخص يدافع عنه ويصالحه مع الله. ورغم أن هذا الأمر قد لا يحدث في زمانه، إلا أنه سوف يحدث في يوم من الأيام!

- الله يجيب أيوب

ويُفتتح (الأصحاح ٣٨) بالقول: "فأَجَابَ الرَّبُّ أيُّوبَ". وهكذا يفعل الرب مع عبيده في هذا العالم، في وقته. وأحاديث أليهو التي جاءت بعد وقفة أيوب الأخيرة، ترينا بأن إلحاح أيوب وشكواه لم ترغما الله على تحديد وقت الإجابة، فلكل أمر تحت السماء الوقت المعين عند الله. وخلال الأصحاحات الأخيرة المتبقية من السفر، تُستعلن قمة السفر أمامنا.

ولأول وهلة، يبدو أن الجواب مخيبُ للآمال، ففي (الأصحاحات ٣٨-٣٩) يأخذنا الكاتب في جولة في السموات والبحار، وبين النجوم، وأنواع من الحيوانات البرية والبحرية، ثم يطلب منا أن نتأمل "بهيموث" (٤٠: ١٥) و"لويثان" - ولعله التمساح (٤١: ١). تلك الأمور التي تبدو مدهشة إلى حد ما.

وفي رواية "شارلس وليام Williams" بعنوان: "حرب في السماء"، يقول رئيس الشمامسة: "يبدو أن إجابة الرب ذات حجة ضعيفة. فكيف نجابه إنساناً قد فقد ثروته، وأولاده، وبناته، وصحته، ولم يعد له شيء في الوجود سوى كومة الرماد التي يجلس عليها بالقول: "انظر إلى البهيموث، والتمساح [1]".

إن الله لم يتقدم لأيوب بأجوبة على تساؤلاته، ولم يعتذر عن صمته طيلة تلك المدة، ولم يشِر إلى مساومات الشيطان، ولم يقل كلمة تقدير لصبر أيوب، وصراعه. فهل من الملائم أن يبدأ حديثه لعبده على هذا النحو؟!!

إن هذه الطريقة التي أتبعها الرب في إجابته، دفعت بعض المفسرين، إلى الافتراض بأن هذه الأصحاحات (بخاصة ٣٨و٣٩ التي تعتبر من أجمل الأشعار التي كُتبت عن الطبيعة) رغم ما تحمله من روعة في التعبير، إلا أنها إضافات على النص الأصلي، ويجب أن تُنزع منه!

ولكن قبل أن نتعثر بهذا الرأي الراديكالي، علينا أن نفسح المجال للنظرة المحافظة، متدبرين ما يجري أولاً.



(1) Williams, War in Heaven (Faber ed., 1974), p.24.

١. يهوه يتكلم

إن أول ما يسترعى انتباهنا منذ البداية، أن الرب يتكلم، وأخيرا يعلن ذاته. "فأجاب الرب أيوب من العاصفة" (٣٨: ١). وفي موضع آخر من الكتاب المقدس، نرى أن ظهور الله على هذا النحو ليس صورة جديدة يختص بها سفر أيوب، فنحن نرى مثيلا لها في إستعلان الرب لذاته لعبد موسى على الجبل، جبل سيناء، حيث هناك نرى الرب يأتي إليه في العاصفة: وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه كانت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا. فارتعد كل لشعب الذي في المحلة لملاقاة الله. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الآتون وارتجف كل الجبل جدا. فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا. وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت (١٩: ١٦-١٩).

إن العاصفة وبروقها، والسحب ورعودها، قد بينوا وحجبوا مجد الله، وجلال الله في نفس الوقت. فالله كان قد تكلم إلى الشعب القديم من السحابة الكثيفة (خروج١٩: ٩)، وكانت تلك السحابة علامة على حضور الله. فعلى جبل سيناء، جاء الله إلى شعبه، في هيئة مقدسة مرعبة.

والفكرة التي يتناولها سفر أيوب، أن الله لم ينزل كما حدث في (تكوين ١١)، حينما نزل الله ليرى ما يعمله بني الإنسان، ولكنه هنا يعلن نفسه كشخص مرحب، لكنه مهوب.

والنبي ناحوم أيضا يخبرنا: "الرب في الزوبعة وفي العاصفة طريقه والساب غبار رجليه" (ناحوم ١: ٣). وهذه الآية، يجب أن نضعها على الدوام في ذاكرتنا، حينما نعتقد أن الشركة مع الله، مثل الطريق المفروش بالورود. فبجانب المواهب، والعطايا التي فاض بها الله علينا، وتنازله العجيب ليكون في شركة معنا، وبركاته لنا في الرب يسوع المسيح؛ ينبغي بأن نعرف ونتيقن بأن طريق الله، هو في الزوبعة والعاصفة، وأنه من العاصفة تكلم الرب لأيوب.

أ. من هو "يهوه"؟!

والذي يتكلم فهو يهوه العظيم "رب العهد". وهو الاسم الشخصي الذي كان للرب في مقدمة سفر أيوب، حيث تعرفنا على أيوب، وتعرفنا على العلاقة الشخصية بينه وبين الرب. ومن (الأصحاح ٣) إلى (الأصحاح ٣٧) لم نلتق بهذا الاسم (يهوه)، بل التقينا باسم "إيل شداي"، أي

الإله كلي القدرة والجبروت. ويسود في سفر أيوب هذا الاسم، وقد اصبح دليلا على رفعة الله، واقتداره، كما عن بعده وعلوه، وانفصاله. والمرة الأولى التي يذكر فيها الاسم "شداي"، كانت في سفر التكوين، وهو يشير إلى صورة الله الساهر والراعي، حينما يتبدد كل رجاء، وتتداعى كل قوة. وعلى سبيل المثال: نجد يعقوب يستودع بنيامين ابنه بين يدي "شداي"، حينما طالب أخوته أن يصطحبوه معهم إلى أرض مصر (تك ٤٣: ١٤). ونجد أيضا أن "شداي" هو الذي اهتم بيوسف (تك ٤٩: ٢٥).

ولكن عند أصدقاء أيوب الثلاثة، نكتشف أن "شداي" ليس إله النعمة والأمان، بل الإله المرتفع والبعيد والمنفصل. فقد استخدموا اسم الله الذي يشير إلى النعمة، بشكل ينكر هذه النعمة! فيا للفكر اللاهوتي العقيم، حينما يجرد قلب الله الفائض من النعمة والمحبة! فإله النعمة والعهد قد رأوه فقط: الإله البعيد المرعب المهوب!

ولكن، الآن، في (الأصحاح ٣٨)، يشدد كاتب سفر أيوب بما لا يدع مجال للشك، بأن الله هو (يهوه - إله العهد). فالرب إله النعمة العظيم يتكلم، الآن، إلى الرجل الذي من أرض عوص، إله العهد والرعاية والمحبة، والثابت في أمانته نحو شعبه، وهو الإله الذي تكلم إلى أيوب من العاصفة.

وهكذا أتى الرب لأيوب!
ولعلنا نتذكر صرخة أيوب في (الأصحاح ٢٣):
"من يعطيني أن أجده فآتي إلى كرسيه
هأنذا أذهب شرقا فليس هو هناك وغربا فلا أشعر به.
شمالا حيث عمله فلا أنظره. يتعطف الجنوب فلا أراه".
(٢٣: ٣، ٨-٩)

إن أسوأ المخاوف التي تعرض لها أيوب، هي أن الله قد هجره وتخلى عنه. فحينما بدا الله صامتا، اعتقد أيوب أن الله قد تخلى عنه. ولم يكن أيوب يعلم، بأن الله قد سمح له بأن يجتاز في كل هذه البلايا؛ لقصد سماوي. ولقد كان اختفاء الرب، بداية لهذه القصة، ذلك لأن رحلة إيمان أيوب، لم تكن مستندة على العيان. فقد كان لازما للقصة، أن يبقى أيوب في الظلام، حتى نرى فيه مثالا لكل متألم يتخبط في ظلمة ضيقاته، وصورة لأولئك الذين يحاولون أن يتمسكوا بإيمانهم وهم

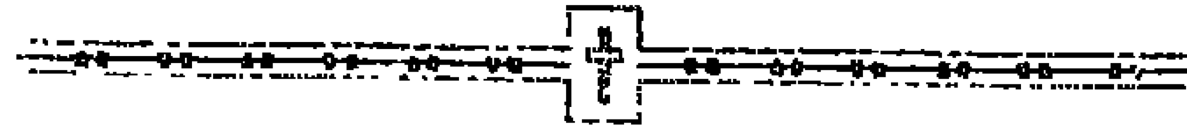
يسيرون في الظلام. **ولكل الذين تجرب إيمانهم بالظلام، ويغياب الله عنهم، يؤكد لهم (الأصحاح ٣٨) أن الله يتكلم، وأن الرب سريع إلى نجدتهم.**

وللحق نقول: إن الله كان حاضرا في كل المواقف التي اجتاز فيها أيوب، ولكنه الآن قد أعلن عن حضوره. وهذا هو التشديد الهام الذي يؤكد عليه سفر أيوب. **إن الرب معنا، حتى وإن كنا لا نلمس بعيوننا هذه المعية، وهو الأمر الأكثر أهمية، والذي تتحدث عنه هذه الأصحاحات الختامية.**

ولقد صور أحد الكتاب المعروفين هذه الحقيقة في قصة يقول فيها:

"في ليلة من الليالي، رأى أحدهم في نومه حلما. وكأني به يسير مع الرب على الشاطئ، فيرى صورا تبدو مرتسمة ومتتابعة عن حياته، تصور له مسيرته في الحياة في كل ظروفه. فهو يسير والرب إلى جواره، خطوة فخطوة، وآثار خطى الأقدام تبدو واضحة له: اثنتان له واثنتان للرب في الرمال. وحينما وصل إلى آخر صورة له في الحياة، إذ به يستعيد صورة الخطى، فيلاحظ أكثر من مرة أن هناك زوجا واحدا من آثار الخطوات فقط. وقد لاحظ هذا في أقسى وأظلم أوقات حياته. مما أثار دهشته، فسأل الرب: يا سيدي إني أرى في أقسى أوقاتي، أن هناك زوجا واحدا من آثار الأقدام. وأنت قلت هاأنذا معك. إني لا أعرف لماذا لا أرى آثار قدميك في أحلك أوقات الحاجة! فأجابه: يا ولدي لقد وعدتك أن أكون معك دائما. وها هي خطواتي، ولكن أين كنت أنا؟" "لقد كنت أحملك على الأذرع الأبدية".

ويقول "شامبرز" Chambers : "في الظلمة الدامسة يخيل لنا أن الله تركنا، لكننا في الحقيقة، نكون معه وجها لوجه."



٢. حكمة الله في خليقته

(٣٨-٣٩)

والآن، لقد حان الوقت لنا، لكي تتحدث إلينا هذه النصوص الرائعة.

" ١فأجاب الرب أيوب من العاصفة وقال

٢ من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة

٣اشدد الآن حقويك كرجل فإني أسألك فتعلمني.

٤أين كنت حين أسست الأرض أخبر إن كان عندك فهم.

٥من وضع قياسها لأنك تعلم أو من مد عليها مطمارا

٦على أي شيء قرت قواعدها أو من وضع حجر زاويتها

٧عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بني الله

٨ ومن حجز البحر بمصاريع حين اندفق فخرج من الرحم.

٩إذ جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه

١٠وجزمت عليه حدي وأقمت له مغاليق ومصاريع

١١وقلت إلى هنا تأتي ولا تتعدى وهنا تتخم كبرياء لججك

١٢ هل في أيامك أمرت الصبح هل عرفت الفجر موضعه

١٣ليمسك بأكناف الأرض فينفض الأشرار منها

١٤تتحول كطين الخاتم وتقف كأنها لابسة.

١٥ويمنع عن الأشرار نورهم وتتكسر الذراع المرتفعة.

١٦ هل انتهيت إلى ينابيع البحر أو في مقصورة الغمر تمشيت

١٧هل انكشفت لك أبواب الموت أو عاينت أبواب ظل الموت
١٨هل أدركت عرض الأرض أخبر إن عرفته كله.
١٩ أين الطريق إلى حيث يسكن النور والظلمة أين مقامها
٢٠حتى تأخذها إلى تخومها وتعرف سبل بيتها
٢١تعلم لأنك حينئذ كنت قد ولدت وعدد أيامك كثير
٢٢ أدخلت إلى خزائن الثلج أم أبصرت مخازن البرد
٢٣التي أبقيتها لوقت الضر ليوم القتال والحرب
٢٤في أي طريق يتوزع النور وتتفرق الشرقية على الأرض
٢٥من فرع قنوات للهطل وطريقا للصواعق
٢٦ليمطر على أرض حيث لا إنسان على قفر لا أحد فيه
٢٧ليروي البلقع والخلاء وينبت مخرج العشب
٢٨ هل للمطر أب ومن ولد مآجل الطل
٢٩من بطن من خرج الجمد صقيع السماء، من ولده
٣٠كحجر صارت المياه. اختبأت. وتلكد وجه الغمر.
٣١ هل تربط أنت عقد الثريا أو تفك ربط الجبار
٣٢أتخرج المنازل في أوقاتها وتهدي النعش مع بناته
٣٣هل عرفت سنن السماوات أو جعلت تسلطها على الأرض
٣٤أترفع صوتك إلى السحب فيغطيك فيض المياه
٣٥أترسل البروق فتذهب وتقول لك ها نحن
٣٦من وضع في الطخاء حكمة أو من أظهر في الشهب فطنة
٣٧من يحصي الغيوم بالحكمة ومن يسكب أزقاق السماوات

٣٨إذ ينسبك التراب سبكا ويتلاصق المدر

٣٩ أتصطاد للبوة فريسة أم تشبع نفس الأشبال

٤٠حين تجرمز في عرسها وتجلس في عيصها للكمون

٤١من يهيئ للغراب صيده إذ تنعب فراخه إلى الله وتتردد لعدم القوت

(أيوب ٣٨)

١ أتعرف وقت ولادة وعول الصخور أو تلاحظ مخاض الأيائل

٢أتحسب الشهور التي تكملها أو تعلم ميقات ولادتهن

٣يبركن ويضعن أولادهن. يدفعن أوجاعهن.

٤تبلغ أولادهن. تربو في البرية. تخرج ولا تعود إليهن.

٥ من سرح الفراء حرا ومن فك ربط حمار الوحش

٦الذي جعلت البرية بيته والسباخ مسكنه.

٧يضحك على جمهور القرية. لا يسمع زجر السائق.

٨دائرة الجبال مرعاه وعلى كل خضرة يفتش.

٩ أيرضى الثور الوحشي أن يخدمك أم يبيت عند معلفك

١٠أتربط الثور الوحشي برباطه في التلم أم يمهد الأودية وراءك

١١أتثق به لأن قوته عظيمة أو تترك له تعبك

١٢أتأتمنه أنه يأتي بزرعك ويجمع إلى بيدرك

١٣ جناح النعامة يرفرف. أفهو منكب رؤوف، أم ريش

١٤لأنها تترك بيضها وتحميه في التراب

١٥وتنسى أن الرجل تضغطه أو حيوان البر يدوسه.

١٦تقسو على أولادها كأنها ليست لها. باطل تعبها بلا أسف.

١٧لأن الله قد أنساها الحكمة ولم يقسم لها فهما .

١٨عندما تحوذ نفسها إلى العلاء تضحك على الفرس وعلى راكبه .

١٩ هل أنت تعطي الفرس قوته وتكسو عنقه عرفا

٢٠أتوثبه كجرادة نفخ منخره مرعب .

٢١يبحث في الوادي وينفز بباس . يخرج للقاء الأسلحة .

٢٢يضحك على الخوف ولا يرتاع ولا يرجع عن السيف .

٢٣عليه تصل السهام وسنان الرمح والمزراق .

٢٤في وثبه ورجزه يلتهم الأرض ولا يؤمن أنه صوت البوق .

٢٥عند نفخ البوق يقول هه ومن بعيد يستروح القتال صياح القواد والهتاف .

٢٦ أمن فهمك يستقل العقاب وينشر جناحيه نحو الجنوب

٢٧أو بأمرك يحلق النسر ويعلي وكره

٢٨يسكن الصخر ويبيت على سن الصخر والمعقل .

٢٩من هناك يتحسس قوته . تبصره عيناه من بعيد .

٣٠فراخه تحسو الدم وحيثما تكن القتلى فهناك هو" .

(أيوب٣٩)

ترى، لماذا نجد الرب يصرف كل هذا الوقت في حديثه عن السموات، والنجوم، والأرض، والبحار، والحيوانات؟! في الوقت الذي نجد فيه أن هناك مواضيع أكثر أهمية، لإنسان ابتلع في آلامه، وانتابه الإحساس بالضياع؟!

مما لا شك فيه، أن الشخص اليائس يمكن أن يتحدث مع الآخرين حينما يشعر بالأمان والقبول. وها هو أيوب، الآن، يشعر أنه ليس وحيدا، لأن الله سوف يتكلم معه، ويعزيه عن يأسه، ويمنحه نظرة جديدة عما يحدث له.

ويقول، هنا، الله لأيوب: اشدد الآن حقويك كرجل. فإني أسألك فتعلمني" (٣٨: ٣). ويبدو أن نغمة الكلام تحمل نوعا من السخرية والتهديد، وهو الأمر الذي دفع بعض المفسرين إلى الاعتقاد بأن الله يريد أن يستعرض قدرته في الخليقة أمام أيوب حتى يذله، ويشعر بالتفاهة! وقد تبدو نغمة الحديث ذات سخرية هادئة، وتهدف إلى تعليم أيوب. وهي مثل الأسئلة التي يوجهها المعلم إلى الأطفال؛ لكي يثير أفكارهم. وكأني بالله، هنا، يمسك بيد أيوب، ويأخذه في جولة خاطفة وسط الخليقة وعجائبها. وهو يقول له بين الحين والحين: أترى؟ أتتأمل؟ أتعرف معنى هذا؟ تماما كما كان يسوع يفعل مع تلاميذه، حينما يقول لهم: "تعالوا إلى موضع خلاء واستريحوا قليلا"، ثم قوله: "تأملوا زنابق الحقل"

وهكذا يدعو الله أيوب للتأمل في جمال الخليقة، وروائعها، وعجائبها.

أ. السماوات

ويبدو أن الله يقول لأيوب، دعني أثير دهشتك، بتراكيب وروائع مذهلة - من أساسات الأرض (٣٨: ٤)، حينما ترنمت كواكب الصبح - في بدء الخليقة - وهتف جميع بني الله أي الملائكة، هناك في المجلس الإلهي، وهم يتأملون روائع الله في خليقته (٣٨: ٧)، هذا التسبيح البهيج للخالق في خليقته، الذي كان منذ القديم ...

تأمل البحر، وقته الهائلة التي لا تتعدى حدودها (٣٨: ٨-١١)، تأمل السماوات، والأعماق، والنور، والظلمة (٣٨: ٢٢) ... وماذا عن الأمطار؟ (٣٨: ٢٥-٣٠) ثم أرفع عينيك إلى السماوات، إلى السحب، إلى الجبار والثريا، ومعظم الأجرام! إلى البرق والصواعق (٣٨: ٣١-٣٨)! هل ترى هذه كلها بعينك المجردة؟! تعال، وتجول بين الخليقة، وأنظر وتعجب، واستمتع بأعمال الله وعجائبه، وتفكر فيما الهدف من هذا كله!!

ب. الحيوانات

ويستطرد الله، ولسان حاله يقول لأيوب: "هلم يا أيوب أيضا وتأمل عظائم الله في مملكة الحيوان، هل يمكنك أن تصطاد فريسة لتطعم أشبال الأسد الجائعة؟!" (٣٨: ٣٩) ... "ومن ذا الذي يطعم صغار الغربان، إذ تتعب في أوكارها؟!" (٣٨: ٤١) ... "ومن الذي يعطي للحيوان قوة للولادة؟!

ومن يرعاه؟! من الذي يرعى الأيائل (٣٩: ١)، والحمار الوحشي (٣٩: ٥)، والثور الوحشي (٣٩: ٩)؟!

ثم تعال، وتأمل النعامة (٣٩: ١٣)، هل تفهم كيف ترعى بيضها؟! حينما تدفنه في الرمال وتمضي، دون تفكير بأن قدم أحد قد تطأه وتحطمه (٣٩: ١٧)، أولم يعطها الله هذه الملكة؟! وحتى تلك المخلوقات التي لا حظ لها من الذكاء، هي جزء من عمل الله المدهش في الخليقة.

بيد أن النعامة ذاتها، قد تكون صورة تشبيهية عن أيوب في بعض التصرفات. فهي خليط من المتناقضات (٣٩: ١٣-١٧)، فهي تجمع بين القوة والحماقة. ومع أنها لا تتمتع بالفهم الجيد، إلا أنها ذات قيمة في خليقة الله.

وماذا عن حصان الحرب، إن الله يقدمه في تصوير شعري رائع جميل (٣٩: ١٩-٢٥): فهو في افتخار يقف، ثم ينفخ بأنفه وهو يدق الأرض بحافريه، وحينما يسمع صوت البوق، يندفع إلى الحرب غير خائف من السهام الطائرة حوله! وماذا عن النسر أيضا؟! (٣٩: ٢٦-٢٧) ... هذه كلها جوانب من خليقة الله العظيمة، التي تعبر عن حكمته ...

هلم يا أيوب وانظر معي. هكذا يقول الله من خلال كلماته لعبده. تعال، وتمتع بكل مظاهر الخليقة العظيمة. لأنك لا تستطيع أن تسيطر على واحدة منها، ومع ذلك، فكلها تحت سلطاني، وبقوتي تحيا، يقول السيد الرب.

ويقول الكاتب "توماس تراهرن" Thomas Traherne في كتابه "القرن الثاني" : بروح الفهم والعطف، أدعوك لتكون حاضرا وسط المخلوقات التي تحيا بسلطانك. واستمع إلي تسبيحاتهم بصيغة سماوية. البعض يسبح بصوته الرخيم، والبعض الآخر بخدمته، وهم يفعلون ذلك بتلقائية. إننا نضر أنفسنا، ونخسر الكثير في احتقارنا لهذه المخلوقات، وفي تكاسلنا عن التمتع بها. إن كل الشعوب والأمم والألسنة تسبح الله، وتقدم التمجيد له، حتى أنك تصل إلى التمني لو استطعت أن تخرج من ذاتك وجمودك، وتشترك معها في حمد الخالق العظيم، وهذا هو السبب الذي يجعل الله، يأخذ أيوب في هذه الجولة الممتعة، ليحيا وسط مخلوقات الله الشاكرة الجميلة الحامدة لإله المجد والعظمة والجلال، وليتعلم منها درس الشكر، والحمد، والاتكال على الله. وأنت لن تكون ما تشتهي، إلا حينما تخرج من ذاتك، وتحيا مثل هذه المخلوقات مسبحا لله"[١].

(١) Thomas Traherne, the second century 76, in centuries (Mowbray, ed., 1985) p. 91

قد يكون هذا هو السبب الرئيسي الذي من أجله أخذ الرب أيوب في هذه الرحلة العجيبة بين هذه المخلوقات، لكي يأخذ أيوب بعيدا عن ذاته، ليعزيه عن يأسه، وليخرجه من جموده إلى الله الحي الفعال الخلاق، ولكي يرى نفسه في مكانة مختلفة.

إن هذه هي الدائرة التي تجد الراحة فيها، يا أيوب: حينما تجد مكانتك في قلب مقاصد الله من نحو هذه الخليقة: فهل تقدر أن ترفع عينيك بعيدا عن كومة القش، وتتطلع إلى مجد الله في خليقته؟! إن فعلت ذلك؛ فسوف تستمتع بالعالم الذي تحيا فيه كما قال "توماس تراهرن".

ج. استمتع بالعالم!

لقد خلق الله الإنسان، ووضعه في جنة، كل ما فيها حسن، وكل ما فيها مسر (تك٢: ٩). والمقام التي نحيا حياتنا فيه ، يساهم في إحساسنا بالسعادة، أما كومة الرماد فهي تناسب إنساننا في نوح أو حزن شديد، لكنها لا تهيب بنا أن نقضي حياتنا في مذلة وتشائم.

وحينما يطلب منا في بعض الأحيان أن نشارك الحزانى أحزانهم، بتقديم أفضل ما لدينا من مواعظ واختبارات في هذا المجال، ينبغي ألا نضيف إلى أحمالهم أثقالا من همومنا ومتاعبنا، بل علينا أن نجذبهم إلى الله - من اليأس العميق الذي يعيشون فيه - ولا نجذبهم بالتعليم الجاف العقلي، ولا بتلك العظات أو الآيات المحفوظة، ولا بكشف عيوبهم لهم، **ولكن بأن نكون معهم ونشعرهم بمدى إدراكنا للأشياء التي يجتازونها. فدون وعظ سلبي أو جاف، لنأخذهم إلى مكان حيث يتمتعون فيه بخليقة الله. وهكذا نجذبهم إلى نظرة مختلفة، إلى واقع جديد يروا فيه أنفسهم كجزء من قصد الله نحو هذا العالم. وهو الأمر الذي يشيع بالتعزية في النفس.**



٣.الحكمة الإلهية وتفاعل أيوب معها

(٤٠: ١-٥)

هناك نقطة أخرى يجب أن نستخلصها من هذه الأصحاحات الأخيرة، فهي تفتح لنا المجال، لكي نرى حكمة الله التي تتعالى وتسمو فوق حكمتنا البشرية بمراحل. ولقد دفعنا (الأصحاح ٢٨) دفعة قوية إلى هذه الحكمة الإلهية.

وها نحن نرى كيف أن "أليهو" على الرغم من أخطائه، قد سار بنا في نفس الطريق، إلى الحكمة الإلهية التي تسمو بمراحل عن حكمتنا البشرية. فالله يعلم الأمور التي نعجز نحن عن إدراكها، وعنده من الأسرار التي لا يشاركه فيها بشر. فعنده النموذج الخاص الذي يصوغ بموجبه كافة الأشياء، والذي أسميناه بـ الترتيب العجيب للأمور، والذي لا نقدر حتى أن نحلم به فمن البشر.

وها نحن نرى الرب في (الأصحاحين ٣٨، ٣٩) يصطحب أيوب معه في جولة، من سؤال إلى سؤال: هل تعرف هذا ؟ هل؟ هل تدرك أسرار هذه..؟ فالله هنا يفتح عيني أيوب إلى قدرته العجيبة، وذهنه على صور ما كان يحلم بها، وعلى مفاهيم ما كان ليدركها.

ثم تلي ذلك فترة يتبادل فيها الله وأيوب الحديث:

١"فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ فَقَالَ

٢ هَلْ يُخَاصِمُ الْقَدِيرَ مُوَبِّخُهُ أَمِ الْمُحَاجُّ اللهَ يُجَاوِبُهُ.

٣فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ وَقَالَ

٤ هَا أَنَا حَقِيرٌ، فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي.

٥ مَرَّةً تَكَلَّمْتُ فَلاَ أُجِيبُ وَمَرَّتَيْنِ فَلاَ أَزِيدُ".

(٤٠: ١-٥)

في هذه المحاجاة التي لم يسبق لها نظير، بين الله وبين أيوب، نجد أيوب يعترف بأنه أخطأ الهدف في اعتراضه على الله في أفعاله. فما كان ينبغي عليه أن يوجه نقداً أو لوماً أو احتجاجاً على "العظيم" كلي القدرة. وما كان عليه أن يظل متمسكاً بحكمته وبفهمه. وما كان ينبغي عليه أن يوجه إلى "العادل" شبهة عدم العدالة.

وهكذا يجيب محتقراً نفسه:

هَا أنَا حَقِيرٌ فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي (٤٠: ٤) لقد تكلم الرب إليه، وفي هذا كل الكفاية.



٤. سلطان الله يستعلن في سلطان بهيموث وصورة لوياثان

(٤٠: ١٥- ٤١: ٣٤)

ولكن كان لدى الله أشياء أخرى ليقولها لأيوب. وفي (الأصحاحين ٤٠، ٤١)، نجد الله يضيف إلى الرحلة التي أخذ أيوب فيها: مخلوقين غريبين:

" ١٥ هُوَذَا بَهِيمُوثُ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ يَأْكُلُ الْعُشْبَ مِثْلَ الْبَقَرِ.
١٦هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنَيْهِ وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ.
١٧يَخْفِضُ ذَنَبَهُ كَأَرْزَةٍ. عُرُوقُ فَخِذَيْهِ مَضْفُورَةٌ.
١٨عِظَامُهُ أَنَابِيبُ نُحَاسٍ جِرْمُهَا حَدِيدٌ مَمْطُولٌ.
١٩هُوَ أَوَّلُ أَعْمَالِ اللهِ. الَّذِي صَنَعَهُ أَعْطَاهُ سَيْفَهُ.
٢٠لأَنَّ الْجِبَالَ تُخْرِجُ لَهُ مَرْعًى وَجَمِيعُ وُحُوشِ الْبَرِّ تَلْعَبُ هُنَاكَ.
٢١تَحْتَ السِّدْرَاتِ يَضْطَجِعُ فِي سِتْرِ الْقَصَبِ وَالْغَمِقَةِ.
٢٢تُظَلِّلُهُ السِّدْرَاتُ بِظِلِّهَا. يُحِيطُ بِهِ صَفْصَافُ السَّوَاقِي.
٢٣هُوَذَا النَّهْرُ يَفِيضُ فَلاَ يَفِرُّ هُوَ. يَطْمَئِنُّ وَلَوِ انْدَفَقَ الأُرْدُنُّ فِي فَمِهِ.
٢٤هَلْ يُؤْخَذُ مِنْ أَمَامِهِ هَلْ يُثْقَبُ أَنْفُهُ بِخِزَامَةٍ" (٣٨: ١٥-٢٤)

١ "أَتَصْطَادُ لَوِيَاثَانَ بِشِصٍّ أَوْ تَضْغَطُ لِسَانَهُ بِحَبْلٍ
٢ أَتَضَعُ أَسَلَةً فِي خَطْمِهِ أَمْ تَثْقُبُ فَكَّهُ بِخِزَامَةٍ
٣ أَيُكْثِرُ التَّضَرُّعَاتِ إِلَيْكَ أَمْ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ بِاللِّينِ

٤ هَل يَقطعُ مَعَك عَهدًا فتتَّخِذهُ عَبدًا مُؤَبدًا

٥ أتلعَبُ مَعهُ كالعُصفُور أوْ تَربطهُ لأجل فتيَاتِك

٦ هَلْ تحفِرُ جَمَاعَةُ الصَّيَّادِين لأجلِهِ حُفرةً أوْ يَقسِمُونَهُ بَيْنَ الكَنعَانِيِّين

٧ أتملأ جِلدَهُ حِرابًا ورأسَهُ بِآلال السَّمَكِ

٨ ضَعْ يَدكَ عَلَيْهِ. لا تَعُدْ تَذكُرُ القِتَال

٩ هُوَذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَاذِبٌ. ألا يُكَبُّ أيضًا بِرُؤيتِهِ

١٠ لَيسَ مِنْ شُجَاعٍ يُوقِظُهُ فَمَنْ يَقِفُ إذًا بِوَجهِي

١١ مَنْ تَقَدَّمَنِي فَأُوفيَهُ مَا تَحتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ هُوَ لِي.

١٢ لا أسكُتُ عَنْ أعضَائِهِ وَخَبَر قُوَّتِهِ وَبَهجَةِ عُدَّتِهِ.

١٣ مَنْ يَكشِفُ وَجهَ لِبسِهِ وَمَنْ يَدنُو مِنْ مَثنَى لجَمَتِهِ

١٤ مَنْ يَفتَحُ مِصرَاعَيْ فَمِهِ دَائِرَةُ أسنَانِهِ مُرعِبَةٌ.

١٥ فَخرُهُ مَجَانٌّ مَانِعَةٌ مُحكَمَةٌ مَضغُوطَةٌ بِخَاتِمٍ.

١٦ الوَاحِدُ يَمَسُّ الآخَرَ فَالرِّيحُ لا تَدخُلُ بَينَهَا .

١٧ كُلٌّ مِنهَا مُلتَصِقٌ بِصَاحِبِهِ مُتَلَكِّدَةً لا تَنفَصِلُ.

١٨ عِطَاسُهُ يَبعَثُ نُورًا وَعَينَاهُ كَهُدبِ الصُّبحِ.

١٩ مِنْ فَمِهِ تَخرُجُ مَصَابِيحُ. شَرَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنهُ.

٢٠ مِنْ مِنخَرَيهِ يَخرُجُ دُخَانٌ كَأنَّهُ مِنْ قِدرٍ مَنفُوخٍ أوْ مِنْ مِرجَلٍ.

٢١ نَفَسُهُ يُشعِلُ جَمرًا وَلَهِيبٌ يَخرُجُ مِنْ فِيهِ.

٢٢ فِي عُنُقِهِ تَبِيتُ القُوَّةُ وَأمَامَهُ يَدُوسُ الهَولُ.

٢٣ مَطَاوِي لَحمِهِ مُتَلاصِقَةٌ مَسبُوكَةٌ عَلَيهِ لا تَتَحَرَّكُ.

٢٤ قَلبُهُ صُلبٌ كَالحَجَرِ وَقَاسٍ كَالرَّحَى.

٢٥عِنْدَ نُهُوضِهِ تَفْزَعُ الأَقْوِيَاءُ. مِنَ الْمَخَاوِفِ يَتِيهُونَ.
٢٦سَيْفُ الَّذِي يَلْحَقُهُ لاَ يَقُومُ وَلاَ رُمْحٌ وَلاَ مِزْرَاقٌ وَلاَ دِرْعٌ.
٢٧يَحْسِبُ الْحَدِيدَ كَالتِّبْنِ وَالنُّحَاسَ كَالْعُودِ النَّخِرِ.
٢٨لاَ يَسْتَفِزُّهُ نَبْلُ الْقَوْسِ. حِجَارَةُ الْمِقْلاَعِ تَرْجعُ عَنْهُ كَالْقَشِّ.
٢٩يَحْسِبُ الْمِقْمَعَةَ كَقَشٍّ وَيَضْحَكُ عَلَى اهْتِزَازِ الرُّمْحِ.
٣٠تَحْتَهُ قُطَعُ خَزَفٍ حَادَّةٌ. يُمَدِّدُ نَوْرَجًا عَلَى الطِّينِ.
٣١يَجْعَلُ الْعُمْقَ يَغْلِي كَالْقِدْرِ وَيَجْعَلُ الْبَحْرَ كَقِدْرِ عِطَارَةٍ.
٣٢يُضِيءُ السَّبِيلُ وَرَاءَهُ فَيُحْسَبُ اللُّجُّ أَشْيَبَ.
٣٣لَيْسَ لَهُ فِي الأَرْضِ نَظِيرٌ. صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ.
٣٤يُشْرِفُ عَلَى كُلِّ مُتَعَال. هُوَ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ بَنِي الْكِبْرِيَاءِ". (٤١: ١-٣٤).

إن الخاصية المشتركة في كافة الحيوانات التي تعرض لها سفر أيوب في (الأصحاحين ٣٨، ٣٩)، هي أنها ليست جميعاً تحت السلطان البشري. وسؤال الرب المتكرر لأيوب، من خلال هذه الصور التي عرضها عليه، يكمن في أن الكثير من هذه المخلوقات، يبقى ضمن أسرار الله الخفية. وهي أسرار يعجز نحوها سلطان وحكمة الإنسان، فهذه رؤيا عن حكمة الله.

وهاهو "عجل البحر" الملقب في السفر باسم "بهيموث" (٤٠: ١٥)، وأيضاً هاهو "لوياثان" الذي ربما كان "التمساح" (٤١: ١)،يثيران الأسئلة حول سلطان الله وقدرته. فالله يختار هاتين الصورتين للدلالة على جبروته، كما تحدث إلينا في (الأصحاح ٣٨) عن حكمته. وهذان الحيوانان ربما كانا يشيران إلى مخلوقين خرافيين من الأساطير السائدة: "بهيموث" هو صيغة الجمع في العبرية لكلمة فيها تشير إلى (وحش) أما "لوياثان" فهو إشارة إلى (التنين) الذي ينفث ناراً من فمه، ودخاناً من منخريه. ونقرأ عنه أيضاً في سفر (إشعياء ٢٧) كحيوان له قدرة فوق الطبيعة. فحين يُضم الاثنان معاً؛ فإنما يشيران إلى القوة الطبيعية، والقوة المرعبة فوق الطبيعية. وهما يجسدان عالم الله المخيف، وغير الظاهر.

وهنا سرّان للإله العجيب: فأيوب لا يقدر أن يعرف هذين المخلوقين، ولا أن يسيطر عليهما. وهو، هنا، يخشى هذه الأسرار المرعبة. بيد أن الله يسيطر على أعظم قوة في هذا الوجود. ففي يد الخالق العظيم، نرى هذين المخلوقين كلعبة مَا تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ هُوَ لِي (٤١: ١١).

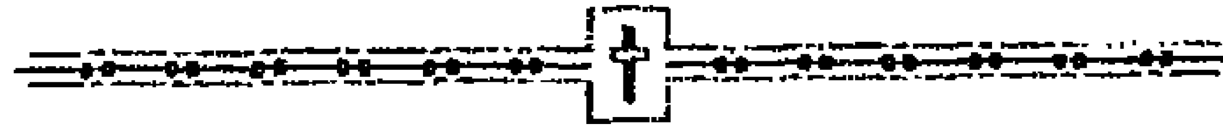
ولقد أعطيت هذا الفكر صبغة مسيحية، فيما قدمه لنا "ابراهام كوبير" Kuyper,s، في محاضرة، حين قال: "لا توجد بوصة واحدة في هذا الوجود تبعد عن نطاق قول يسوع: دُفع إليَّ كل سلطان ما في السماء وما على الأرض. والكلمات التي رددها بولس في (رو١١: ١١، ٣٦)، ما هي إلا امتداد لهذا المعنى: (الذي منه وبه وله كل الأشياء ... له المجد إلى أبد الآبدين).

لقد ضم بولس الرسول العالم كله في دائرة واحدة مع الطفل الرضيع، ومع هذا الوجود، ضم أيضاً ظروفنا، ومتاعبنا، قائلاً بكلمات أخرى: من سيفصلنا عن محبة المسيح. لأني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا شياطين ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا (رو٨: ٣٥-٣٩).

إن ما فهمه أيوب من خلال الكلمات التي قالها الله إليه ، قد أظهره الله لنا بصورة أعظم وأوضح، حينما أعلن الله ذاته في المسيح يسوع، ابنه الحبيب. هذا هو حق الله الذي يجب أن نمسك به ولا ندعه يفلت منا، مهما كانت ظروفنا في الألم وفي الحزن.. في الحياة والموت. وهذا هو الاختبار الذي يؤكده كثيرون ممن نالوا الحياة في الله في يسوع المسيح.

وإن كان الوحي المقدس بشاعريته عن الطبيعة في (الأصحاحين ٣٨،٣٩) قد قدموا لنا جديتهم عن الحكمة الإلهية، فإن "بهيموث" و"لوياثان" يوجهان أنظارنا إلى القدرة الإلهية، وأن الأيدي المقتدرة ليست مدمرة، بل خلاّقة على الدوام.

وهكذا، يرينا العهد الجديد الحق بأن قدرة الله هي اقتدار محبته العظمى في يسوع المسيح.



٥. عدالة الله: هي انفراده بتبرير أيوب

(٤٠: ٦-١٤)

هناك أعماق مازالت أمامنا في هذه الأصحاحات، ولذا نحتاج أن نعود إلى فقرة من الأصحاح الأربعين.

" ٦فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ فَقَالَ
٧ الآنَ شُدَّ حَقْوَيْكَ كَرَجُل. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي.
٨لَعَلَّكَ تُنَاقِضُ حُكْمِي تَسْتَذْنِبُنِي لِكَيْ تَتَبَرَّرَ أَنْتَ
٩هَلْ لَكَ ذِرَاعٌ كَمَا لِللهِ وَبِصَوْتٍ مِثْلِ صَوْتِهِ تُرْعِدُ
١٠تَزَيَّنِ الآنَ بِالْجَلاَلِ وَالْعِزِّ وَالْبَسِ الْمَجْدَ وَالْبَهَاءَ.
١١فَرِّقْ فَيْضَ غَضَبِكَ وَانْظُرْ كُلَّ مُتَعَظِّمٍ وَاخْفِضْهُ.
١٢انْظُرْ إِلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَذَلِّلْهُ وَدُسِ الأَشْرَارَ فِي مَكَانِهِمْ.
١٣اطْمِرْهُمْ فِي التُّرَابِ مَعًا وَاحْبِسْ وُجُوهَهُمْ فِي الظَّلاَمِ.
١٤فَأَنَا أَيْضًا أَحْمَدُكَ لأَنَّ يَمِينَكَ تُخَلِّصُكَ" . (٤٠: ٦-١٤)

في أكثر من طريق، كانت هذه الفقرة مركز كلام الرب لأيوب. والله هنا يستجيب لمحاجاة أيوب، عن الأسلوب الذي يدير به العالم (راجع أصحاح ٢١). وحسناً يجيب الله قائلاً: تعال أنت يا أيوب واحكم في العالم! تمنطق بالبهاء والعظمة، والبس ثياب العزة والكرامة (٤٠: ١٠)، صُبّ غضب الدينونة على فاعلي الشر، انزل الأعزاء عن الكراسي، وادفن الأشرار في التراب (٤٠: ١٢-١٣)، احكم العالم بعدل، يا أيوب، وعندئذ أعترف بك!

لقد كان ذلك رد فعل الله على السؤال: أ لَعَلَّكَ تُنَاقِضُ حُكْمِي في (٤٠: ٨).

فالقاضي الذي بيده ميزان العدالة عليه أن ينتظر ليرى نتيجة حكمه. وإن كنت، يا أيوب، تريد أن تجلس على كرسي القضاء وتصدر الأحكام، فعليك أن تنتظر لترى أن الأحكام قد نُفذت بالفعل. لقد شددت على تبرير نفسك، فهل لك السلطان على أن تبرر ذاتك؟!

وعلينا الآن أن ننظر لنرى، كيف أن التركيز على حكمة الله في العالم الطبيعي له دلالة أعظم. وأن أيوب عليه أن يتحقق أن لا سلطان له على ممارسة القضاء، فهو لا يقدر أن يُصدر الأحكام الأخلاقية، ولا يقدر أن يدرك سر هذه الطبيعة. وهذا هو مركز السؤال الوارد في (عدد ٩): "هل لك ذراع الله وهل يرعد صوتك نظيره". (٤٠: ٩).

ويُذكر الله أيوب بأنه، لا يخطيء في أحكامه ولا يتعدى حدود العدالة، وهذه هي إجابة سفر أيوب عن العدالة الإلهية.

أ. الحكمة، والسلطان، والعدالة

إن الله هو إله الحكمة، والطبيعة تذكّرنا بذلك. وهو إله السلطان، والحيوانات الجبارة الخارقة تكشف لنا ذلك. وهو إله العدالة، كما يقول الآن لعبده أيوب. وبهذا التأكيد على حكمة الله، وسلطان الله، وعدالة الله؛ يمكننا أن نكوّن صورة عن صفات الله، الذي بين يديه كل أسرار هذا العالم المتألم. فأمام هذا الإله العظيم، نجد كل حلولاً للمتناقضات في هذا الوجود، وللمشكلات التي تحيِّر العقول، والتي لا يجد المنطق البشري حلاً لها. فالله كلي المعرفة، وكلي القدرة، وكلي العدالة والصلاح.

وغالباً ما نحاجج بمشكلة الألم على هذا النحو: إن كان الله كلي الصلاح؛ فعليه أن يمحي كافة صور الآلام والمعاناة من هذا الوجود. وإن كان كلي العلم والمعرفة، فلن تفوته معرفة ما يعاني منه الإنسان في هذا العالم. وإذا كان كلي السلطان؛ فإن له القدرة ليفعل ما يشاء. بيد أن المعاناة التي تسود هذا العالم، تنفي ما نصف به الله، بأنه : كلي القدرة، وكلي العلم، وكلي العدالة. ومع ذلك، فهذا ما يريد الله أن يعلِّمه لعبده أيوب - على الرغم من كافة المتناقضات التي تبدو لنا.

فإن كنا نقول بأن الله حكيم، وعادل، ولكن لا قدرة له ... أو إن كنا نقول بأن الله ليس حكيماً، ولكنه مقتدر ... أو إن كنا نقول بأنه عادل وقوي مقتدر، ولا حكمة في حكمه، لكي نحل المشكلات التي تعترضنا في هذا الوجود؛ فإن عالمنا يصبح عالماً فلسفياً. وليس العالم الذي خلقه الإله الحي، والذي كشفه لعبده أيوب. وذلك، لأن إله أيوب وإلهنا، هو ليس خلاصة اكتشاف منطق

بشري، أو إبداعاً عقلياً منطقياً. إنه الحي القوي، الحكيم، والعادل، والخالق العظيم الذي "كما علت السموات على الأرض هكذا سمت أفكاره عن أفكارنا وطرقه عن طرقنا". (إش ٥٥: ٩).

في عام ١٦٥٤ كتب المفكر الفرنسي "باسكال"، اختباره عن الإله المحتجب، الله في شخص يسوع المسيح. وكان هذا الاختبار بداية حياة لامعة متألقة له، طيلة الحياة. وبعد موته، اكُتشفت رقعة من الجلد، خيطت في بطانة جاكتته، وقد كُتبت عليها هذه السطور:

"إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ...

ليس إله الفلاسفة والعلماء

اليقين.. اليقين.. الفرح الذي

نستشعره في قلوبنا... والسلام،

إله يسوع المسيح.. وإلهي.. وإلهك

إله إبراهيم وليس إله الفلاسفة والعلماء"

لقد كان "بسكال"، شأنه شأن "أيوب"، صاحب اختبار مع لله الحي، الذي أعلن ذاته له في العلاقة الشخصية، فهو ليس الإله الذي يُكتشف بمنطق الفلاسفة ومعرفتهم.

ب. المنطق الإلهي

ينبغي أن نخطو في هذا الطريق بكل حذر. فنحن لا نقول بأنه لا مجال هناك لممارسة المنطق البشري في الإلهيات، فقد كان "باسكال" نفسه أحد العقول المبدعة في مجال الفكر الفلسفي الديني. ولا نقول أيضاً، أنه لا مكان هناك للمنطق البشري عندما يعرض لفلسفة الأديان. ولا نقول أيضاً، بأن طرق الله غير معقولة، ولا تُفهم بالعقل البشري أو تتنافى معه، لأن العقلانية الإلهية السوية هي أساس كل نظام في الوجود، أليس الله هو مصدر التفكير والمنطق في حياتنا؟ ألم يطلب منا الله أن نتعبد له بالروح والذهن؟ لكننا، فقط، نؤكد أن الله، يدعونا ألا ينبغي أن نعتمد على عقولنا وحدها، حينما نريد أن نفهم منطق الله. وسفر أيوب، أيضاً، لا يدعونا لأن نهجر عقولنا، فهو يقول لنا: لا سبيل الآن لنصل إلى أسرار الله وحكمته، عن طريق عقولنا وحدها، فالله ليس موضوع بحثنا العقلي، لأنه فوق مستوى كل تفكير بشري، ولا ينحصر في دائرة المنطق الإنساني، فالله يمتلك حرية التصرف في الأشياء بالشكل الذي نعجز عن إدراكه بعقولنا المجردة. وحينما يستعلن ذاته لنا، فهو لا يعلنها عن طريق منطق بشري أو براهين منطقية عقلية، فهو حرُ ويفعل ما

يشاء. ولا نستطيع نحن أن نحدّد أعماله بمفاهيمنا القاصرة، ومنطقنا البشري، وحينما يكشف الله عن ذاته، فهذا هو ملء نعمته، الذي يدعونا إلى التسليم لجلاله.

هذا هو المفهوم الذي ندرك عن طريقه أن إله أيوب، هو إله إبراهيم ويعقوب - وليس إله الفلاسفة، الذي يُدرك بالمنطق العقلي البشري الفلسفي، كما فعل أليهو، أو كما بيَّن بلدد ، فالله هو الكلي الحكمة، والقدرة، والعدالة. ويكفي هنا بأن نقول بأنه الإله الحي.

ج. الله ... إله المفاجآت!

وسفر أيوب يقدم لنا أيضاً "إله المفاجآت والاكتشافات"، والإجابة على المعضلات التي لا يستطيع أن يحلها المنطق البشري. ومع أن هذا السفر، يرسم أمامنا صوراً ذات ألغاز، إلا أن إلهنا أيضاً، كما قال "جيرارد هوارز" هو "إله المفاجآت". إنه الإله المحتجب، الذي سُر بأن يعلن وجوده، في أكثر من ظرف ووقت حتى من خلال اختفائه الظاهري. و بكلمات أخرى، نقول إننا كثيراً ما نلتقي بالرب في الأعماق، وليس على السطح وسفر أيوب، يأتي بنا وجهاً لوجه مع الله الحي، ويدعونا لأن نحيا بكل المشاكل المنطقية التي تؤرقنا من نحو العلاقة مع الله، حتى وإن عشنا بإيمان يتسم بالصراعات. **وبهذا، نقول أنه "إله المفاجآت"!**

نحن بحاجة، إذاً، إلى الثقة الكاملة في الله، كجهاز دفاعي وقائي، فأمام مشكلاتنا، لا يسمح الرب لنا بأن نرتبك - بل يفاجئنا بظهوره العظيم الشخصي ...

وفي معضلاتنا اللاهوتية، وبخاصة السؤال: كيف يدير الله العالم؟! نقول بأن لله أسراره الخفية. وهو يُجابهنا كما يجابه أيوب، بصورة "لوياثان"، الحيوان الغامض الرهيب، الذي نقف أمامه في أكثر من تساؤل. ومع أنه واحد من مخلوقات الله، إلا إننا لا نستطيع أن نفهمه، أو نطوِّعه ونجعله تحت سلطاننا.

وكذلك بالنسبة للمعاناة وآلام الحياة، فإننا يجب أن نعلم بأن هناك أشياء تقع في دائرة أسرار الله العظيمة.

لقد أكد أيوب، أكثر من مرة، أنه يوقن بعدالة الله. ولكنه خلط هذا الإيمان، بالإصرار على براءته، وعلى أنه لم يرتكب ذنباً يستحق كل هذه المعاملة. وهنا، قرب ختام سياحته، **يكتشف بأن الله وحده له السلطان ليبرر، وأنه . أيوب . لا يمكنه أن يمسك بزمام قيادة هذا الوجود، وإدارة هذا**

العالم. وهذه الفقرة في (الأصحاح ٤٠)، تختم على تساؤلات أيوب، بأن عليه أن يسلم ملف القضية بكامله، بكل ثقة وإيمان، بين يدي القدير، ويترك له الفرصة ليعمل كما يشاء.

وهكذا، نقترب من قلب وجوهر سفر أيوب، والغاية منه. وفي هذا التوبيخ الكفاية لكل من تسوّل إليه نفسه، بأنه يستطيع أن يدير دفة السفينة في بحر هذا الوجود، أفضل مما يفعل القدير.

هناك قصة تُروى عن شخص كان عائداً إلى منزله في ظلمة نصف الليل، بعد ليلة صاخبة مع أصدقائه، ومشكلات متعددة، حينما التقى بشخص آخر في الطريق. وإذا بهذا الصديق يقول له : "آه، لكم كنت أرغب أن أجلس على كرسي الحكم في هذا الوجود لمدة عشر دقائق، فكنت أقول لله إني أفضّل الموت، ولا أحيا تحت حكومتك لمدة عشر ثواني!"

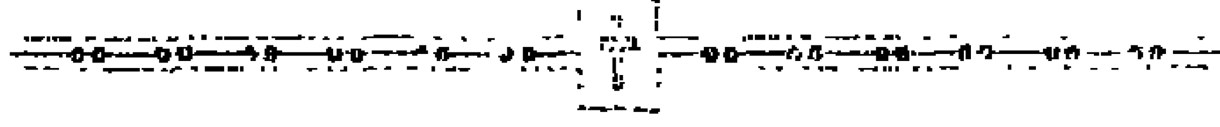
نعم، فعلى الرغم من نظرتنا المتشائمة، للحياة بأسرارها ومتاعبها وبلاياها، فإن الرب يجيبنا - كما أجاب أيوب في (٤٠: ٨-١٤): هل تريد أن تصبح شيطاناً آخر، يحاول أن يجلس على كرسي الحكم في هذا العالم، ويأخذ مقاليد الأمور بين يديه بديلاً عن الله؟!

ويقول "أندرسون" Anderson في فقرة رائعة، معلّقاً على نفس الفكرة: "لا قوة في الوجود تستطيع أن تقدم للإنسان ما نسميه: القوة المدمرة الخلاقة (Creative Distracter)، إلا قوة الله، لأنه هو الوحيد المسئول عن كل ما يحدث في الوجود، إنه القادر على صنع كل شيء حسناً، حتى الذي نعتقد أنه رديئاً. فالخير والشر يعملان في ملكوته لتحقيق الحسن. وصلاح الله هو المحرك لعدله. ولهذا السبب، فإن منطق الثواب والعقاب الذي لطالما رأيناه كلما قابلنا أصدقاء أيوب الثلاثة، هو منطق مرعب، يُفسّر الآلام الإنسانية، دائماً وفقط، كنتيجة للخطية، وليست كنتيجة لنعمة الله".

د. النعمة

لقد اظهر الله ذاته لأيوب بالنعمة؛ فاكتفي أيوب وشبع. ولم يعد بعد يئن بالشكوى. وهكذا رغم أنه لم ينل من الرب جواباً مباشراً على تساؤلاته. إلا أنه قد اكتفى برؤية الرب. وقد كان أيوب يخشى. كما نفعل نحن حينما تصيبنا الأزمة . بأنها نافعة للآخرين فقط. فقد كان يشعر بأنه قد سقط في حفرة لا تستطيع النعمة الإلهية أن تصل إليها، ولا تستطيع ذراع القدير أن تنتشله منها، ولكنه الآن ها قد عرف أن خالق كل الأشياء يمسك بالوجود في يمينه، بكلمة قدرته. **وهكذا استطاع أيوب، أن يسكن في اطمئنان، حتى ولو لم ينل أجوبة شافية على أسئلته. ففي الله كل القوة وكل العدالة وكل الحكمة.**

وهكذا، تمسك أيوب بالإيمان بالله؛ فالإيمان هو عطية الله التي تعيننا على الوقوف في وجه الشكوك.



٦. تجاوب أيوب مع الله

(٤٢: ١-٦)

"فأجاب أيوب الرب فقال.
قد علمت أنك تستطيع كل شيء
ولا يعسر عليك أمر.
فمن ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة.
ولكني قد نطقت بما لا أفهم.
بعجائب فوقي لم أعرفها.
أسمع الآن وأنا أتكلم. أسألك فتعلمني.
بسمع الأذن قد سمعت عنك.
والآن رأتك عيني.
لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد."

وها هو أيوب، هنا، يُجيب بروح التذلل والخضوع؛ "بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عيني" (٤٢: ٥). لقد عاد ضميره إلى الانتعاش وصار صوت الله في العاصفة معلماً له. ثم يضيف: "الآن أرفض" كل ما تكلمت به. فهو يذلل نفسه بكل توبة وانسحاق أمام الله، لأنه قد أخطأ إصابة الهدف في شكواه.

على أننا لا ينبغي أن نرى في هذا تسليماً من جانب أيوب لما قاله صوفر، بأن سبب ما أصابه هو خطيته، وأنه ينبغي عليه أن يتوب عن تلك الخطية. فليست هذه هي النقطة التي تحرك منها أيوب. لقد أذلته رهبة محضر الله وعظمته. في كلماته، كما في الصور التي عرضها عليه؛ وهكذا أحنى رأسه بكل خضوع وتسليم كامل.

ونلتقي في العهد الجديد بصورة مماثلة، بطلها "سمعان بطرس"، فبعد ليلة فاشلة في محاولة صيد السمك من بحر الجليل، يخبرنا البشير لوقا، بأن يسوع قد ظهر لهم وهم في السفينة، فقال لبطرس: "ابعدوا إلى العمق وألقوا شباككم للصيد"؛ فأطاعوا ولم يقدروا أن يجذبوا الشبكة حتى كادت تتمزق، وعند ذلك أصاب بطرس الذهول من المعجزة، حتى أنه امتلأ حزناً بشعوره بخطاياه، وجثا على ركبتيه وسجد قائلاً للرب: "أخرج من سفينتي يا رب لأني إنسان خاطئ" (لو ٥: ٤-٨).

وهنا، نرى أيوب يشعر نفس الشعور بالتصاغر أمام مجد الرب. وهو الأمر الذي دفعه للشعور بعدم الاستحقاق. بيد أن شعوره، هنا، لا يعتبر اعترافاً بارتكابه للأخطاء التي اعتقدها الأصدقاء الثلاثة، لأن الرب قد برّره (٤٢: ٧-٨).



خاتمة الأحداث

جميع خيوط القصة معاً

[أصحاح ٤٢ : ٧- ١٤]

إن الملحمة الشعرية التي بدأت من (الأصحاح ٣: ١٠)، إلى (٤٢: ٦)، قد انتهت الآن. ومن (٤٢: ٧) تبدأ الصيغة النثرية مرة أخرى، وكما كانت المقدمة نثرية، هكذا فإن الخاتمة نثرية (٢،١).

ولنا ملاحظتان على هذه الخاتمة:

أولاً: إن اختبار أيوب للنعمة قد عبَّر عنه في الصلاة لأجل أصدقائه. "وكان بعدما تكلم الرب لأيوب بهذا الكلام أن الرب قال لأليفاز التيماني. قد احتمى غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك. لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب فخذوا لأنفسكم الآن سبعة ثيران وسبعة كباش. واذهبوا إلى عبدي أيوب واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم. وعبدي أيوب يصلي من أجلكم لأني أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب. فذهب أليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماني. وفعلوا كما قال الرب لهم. ورفع الرب وجه أيوب. ورد الرب سبي أيوب لما صلّى لأجل أصحابه" (٤٢: ٧-١٠).

لقد وبخ الرب "أليفاز" وأصحابه "لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب" (٤٢: ٧)، وكما نقرأ في النص الكتابي؛ أمرهم الرب بأن يأخذوا سبعة ثيران، وسبعة كباش، ليقدمها أيوب محرقة عنهم، "وعبدي أيوب يصلي من أجلكم لأني أرفع وجهه" (٤٢:٨).

نعم، إن أيوب عبد الله قد رفع الصلاة من أجل أصحابه، لكي تُرفع عنهم خطيتهم، ويسكن غضب الله من نحوهم.

وهناك سيل غني من الفكر اللاهوتي في هذه الأعداد القليلة. فغضب الله على أولئك الأصحاب الثلاثة، ليس هو الكلمة الأخيرة بالنسبة لهم. فعن طريق الذبيحة المحرقة والصلاة؛ يمكن أن يُرفع الغضب، ويحل محله الرضى والبركة. ولقد قُدمت الذبيحة، ورُفعت الصلاة، بواسطة ذاك الذي لقّبه الله "هوذا عبدي". وهذا ما أشرنا إليه، آنفاً، في اقتباسنا لبعض الشواهد من سفر إشعياء، في حديثنا عن "أغاني العبد" (إش ٤٢: ١-٤، ٤٩: ١-٦، ٥٠: ١-٩، ٥٢: ١٣، ٥٣: ١٤). "فالعبد" يقف أمام الله بديلاً عن الشعب، مقدماً ذبيحة، وتكريس، وترضية، ومصلياً من أجل الشعب، لتحل عليهم رحمة الله ونعمته. وهكذا نرى أن سفر أيوب يتقدم مرة موجهاً أنظارنا إلى الوسيط الأعظم بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، الوسيط الواحد الذي لا شفيع لنا سواه أمام الله. والذي بذل نفسه تقدمه عن خطايانا، وها هو حي في السماء يتراءى ويشفع فينا.

نعم! نقول إن سفر أيوب، في أكثر من موضع، يصوّر أمامنا صوراً، تجد تفسيرها الحي المبارك، في وليّنا الأعظم، وفادينا، وذبيحتنا، ومُصالحنا مع الآب، بموته وبقيامته، وبصعوده، وبشفاعته، في يسوع المسيح الحي. وما أروع ما قدمه بطرس في (١بط ٢: ٢١-٢٤)، فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا.. الذي لم يفعل خطية ولم يوجد في فمه مكر... الذي حمل نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن خطايانا ونحيا للبر. الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد. بل كان يسلّم لمن يقضي بالعدل". نعم! لقد حمل بنفسه خطايانا على الصليب؛ لكي نموت عن الخطية ونحيا للبر.

ثانياً: إن اختبار نعمة الله، كما يُصوِّر لنا في سفر أيوب، هو هنا على الأرض، وفي هذا العالم. "وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً فجاء إليه كل أخوته وكل أخواته. وكل معارفه من قبل. وأكلوا معه خبزاً في بيته ورثوا له وعزوه. عن كل الشر الذي جلبه الرب عليه وأعطاه كلٌ منهم قسيطة واحدة (من الفضة) وقرطاً واحداً من الذهب. وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه وكان له أربعة عشر ألفاً من الغنم وستة آلاف من الإبل. وألف فدان من البقر وألف أتان. وكان له سبعة بنين وثلاث بنات وسمى إسم الأولى يميمة وإسم الثانية قصيعة واسم الثالثة قرن هفوك. ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب في كل الأرض. وأعطاهن أبوهن ميراثاً مع إخوتهن وعاش أيوب بعد هذا مئة وأربعين سنة ورأى بنيه إلى أربعة أجيال. ثم مات أيوب شيخاً وشبعان الأيام".

ولكن، تُرى لماذا يحرص كاتب الوحي على أن يقدم لنا تعويضات الله لأيوب؟!

نقول أنه بعد حضور الرب السخي لأيوب، فإن هناك مساحات في القصة، تدعونا إلى التساؤل في هذا الأصحاح الختامي. وهي تختص بعطايا الله في هذا العالم، وتعويضه عن الخسائر التي عاناها عبده. لقد كان أيوب يعلم أن الرب سيعوضه الكثير في العالم الآتي، وفي هذا كان رجاؤه. ولعله لم يكترث بما مضى. ولكننا، هنا، نرى الصورة تتألق بأكثر بهجة، حينما سننظر أيوب وقد رُدّ سبيه. فها أخوته وأخواته ومعارفه حوله. يقدمون له التعزيات مع الهدايا والهبات. وها هم بنوه وبناته بعد ذلك، يُعزون بوجودهم قلبه المنكسر المنسحق على إخوتهم وأخواتهم الضحايا من قبل، وها هو يعوِّض عن الخسائر المادية في القطعان، والإبل، والبقر، والأتن، بأضعاف ما كان له. وها هو يصل إلى الشيخوخة، ويرى بنيه وبني بنيه.

وها هو يمتد به العمر حتى تنتهي حياته شيخاً، وشبعان الأيام. وهذا ما اختبره بطل البلايا والآلام، بل بطل الإيمان العظيم في مسيرته مع الرب وانتظاره بصبر للرب. ويبقى ما يتمتع به الآن في

السماء، ويكفيه، هنا أيضا، أنه قد أصبح مثالا لكل المتألمين وداعية للصبر، لكل من نفذ صبرهم في ضيقاتهم وتجاربهم.

إن نعمة الله لنا، لا تنتظر فقط لتعوضنا عما نقاسيه، في العالم القادم، بل إن الرب، في حنانه، يبرد جراح قلوبنا بلمساته العظيمة المباركة ومحبته العجيبة الرحيمة في رحلة حياتنا، سواء طالت هذه أم قصرت. **إن "فيما بعد" بالنسبة لله، يشمل أيضا حاضرنا وليس فقط مستقبلنا.**

١. جميع خيوط القصة معا

ولكن، ماذا بقى الآن لنقوله؟

لم يبق لنا سوى أن نجتذب بعض الخيوط أو الملامح معا، من كل الرحلة التي سرنا فيها جنبا إلى جنب مع بطل الآلام والإيمان، في طريقه الشائك.

أولا: إن هناك أمورا في الأرض والسماء، أكثر من تلك التي نتخيلها، وتفوق كافة توقعاتنا وأحلامنا.

وها نحن نرى كيف أن أيوب قد أخذ في شراك مقاصد الله العجيبة. تلك التي ما كان يعرف عنها شيئا، ولا يفهم ما هو الهدف النهائي منها. فهناك ما يحير تفكيرنا من أمور لا ندركها ولا نفهمها، في حياة الإيمان التي نحياها هنا. وعلينا، ألا نرهق أنفسنا بالبحث فيها، أو حل غموضها، بل ينبغي أن نسلمها، بإيمان، بين يدي إله الأسرار العجيبة. فخفيات الأشياء تنسب إلى الرب، وهي في دائرته (تث ٢٩: ٢٩). وينبغي أن نترك لإلهنا أسراره، ونأخذ من يمينه هبة الإيمان والثقة الكاملة، حتى نتمسك به، رغم كل الأسرار التي قد نجتازها، وندور في دوامتها، ونحن لا ندرك لها سرا ولا هدفا. فيا ليت الرب يعمق إيماننا فيه! حتى نصعد إلى الرب، بدارج الثقة الكاملة – كما فعل موسى على جبل سيناء، حينما صعد إلى الرب "في الظلام".

ثانيا: الرب أيضا يحذرنا، كرعاة، من الوعظ غير المناسب، والتقدم بتعاليم لا تتوافق مع حاجة السامعين، حتى ولو كانت من صميم الحق الإلهي.

وهذا الدرس نتلقنه من أحاديث أصحاب أيوب الثلاثة. وما أحوجنا أن تكون لنا الحساسية الرعوية الفائقة! حتى لا نعطي كأس الماء البارد للجوعان ورغيف الخبز للظمآن.

وهذا ما فعله أصحاب أيوب. فليس كل ما قدموه بأحاديثهم ونظرياتهم اللاهوتية يتنافى مع الحق، ولكن أين هذا من حاجة أيوب المعذب في بلاياه؟

لقد كانوا يضعون الخل على الجراح، فتزيدها آلاما ولهيبا. وإننا لن نفيد سامعينا حينما نأتي بنظريات نعرفها، ونضغطها في قالبنا، ونقدمها لهم، كأنها أعظم ما يحتاجونه. **ينبغي أن ننظر إلى أولئك الجالسين فوق كومة رماد تجاربهم وبلاياهم، وننزل إلى مستواهم. أقول ونجلس هناك معهم.**

ثالثا: لقد رسمت لنا، من خلال هذه الدراسة، الصورة التي تلمس مشاعرنا وعواطفنا: أن شعب الرب لا بد وأن يعاني في عالم فاسد يحكمه الشيطان، لابد وأن يلاقوا مكائد الشيطان وأبنائه. ينبغي أن تعلم ألا نحكم على روحانية إنسان على أساس ثرائه، أو ظروفه. ولا نحكم على رضى الله عنه، لأنه يعيش في سهولة ويسر.

فقد يكون في المعاناة بركات. وقد يكون الألم شافيا، وعلامة على قرب الله منا، في الوقت الذي تكون فيه ظروفنا قاسية ومعاكسة. وفي معاناة أيوب، نجد أن: الجسم، والعقل، والروح، والعلاقات، والعواطف، والإرادة - كلها تحت الآلام، فلم يسلم جانب منها. وعلينا كخدام لشعب الرب، في تقدمنا في مواساة إنسان في ألم وحزن أن نتذكر بأننا ينبغي أن نتعامل معه، كشخص كامل، لأننا لا يمكن أن نمزق الإنسان إلى أجزاء.

وأقسى ما يعانيه الإنسان يأتي من جانب إيمانه - من إحساسه بأن الله ليس في سلام معه، وأنه ليس في سلام مع الله. ومع ذلك، نرى في حالة أيوب كيف أن الجانب الأدبي يمكن أن يزداد قوة في وسط الآلامات، فالمعاناة تولد الاحتمال، وتعطي طاقة للصبر... والصبر يولد رجاء... والرجاء لا يخزي (رو ٢: ٣-٤).

رابعا: لعلنا نتذكر الفارق في الإيمان بين ما أسماه "باسكال": الإيمان بإله الفلاسفة، والإيمان بالإله الحي الذي يستعلن ذاته لنا.

ونحن نرى في صورة أيوب، كيف أن أصحابه، قد حاولوا مرة بعد أخرى، أن يدفعوا بمفهومهم عن الله إلى حيز ضيق متزمت، ومن منطقهم العقلاني الذي فيه أرادوا أن يوقعوا أيوب في مصيدتهم. إن مفهومهم عن المجازاة والمعاناة، يستند على فهمهم الخاطئ "لأيل شداي" بدلا من أن يبني على رب العهد الحي، الذي استعلن لنا في "يهوه". وفي الخطأ الذي وقع فيه أولئك

الأصحاب، نجد تحذيرا لنا، بأن علينا أن نتمسك بما قاله الله عن نفسه - لا أن نستسلم للمنطق الملتوي الخاطئ، فنحن نعرف الله، فقط، في استعلان ذاته في الرب يسوع المسيح. (ففي المسيح) نلتقي بالإله الحي، إله إبراهيم، واسحق ويعقوب، وإله أيوب - وليس إله الفلاسفة.

خامسا: يقول الرسول يعقوب "قد سمعتم بصبر أيوب"، وهي تتفق مع ترجمة (KJ). **لكن الترجمة الحديثة (NIV) تجعل الكلمة "صبر": (مثابرة).(يع ٥:١١) أو "ثبات أيوب" في ترجمة أخرى، وهي أكثر دقة.**

وهنا، إنسان استمع إلى صوت ضميره، ويبقى ثابتا متمسكا، في التجربة. متعلما بروح الله. وهذا ما حدث حينما كلمه الرب الإله. لذلك، لا ينبغي أن نسقطه من حسابنا. وكما إننا لا نستطيع أن نقدم المعونة إلى سوانا؛ إلا إذا استمعنا إليهم، وعرفنا مشكلاتهم - هكذا لا نستطيع إلا إذا أصغينا إلى صوت الضمير.

سادسا: إن قانون التعويض والتركيز على الجرم، والمذنوبية، يحتاج إلى قرينة من المحبة والتركيز على النعمة.

وهنا، نجد أنفسنا في دائرة أكثر اتساعا.. ولكن هذا لا يعني أن ننفي التركيز على الجرم والمجازاة، لأننا نعيش في عالم أخلاقي: فلا بد أن يكون هناك مكان للدينونة الإلهية وتقديم المثابة والعقوبة. ولكن هذه العقيدة، يمكن أن تستخدم كدفاع ضد متطلبات الشركة والصداقة، ويمكن أن تأتي في طريق كلمة النعمة.

ودعنا ننظر الآن في سفر أيوب، لنرى كيف أن الله يتحرك في دائرة أوسع من ناموس التعويض، حينما يتنازل إليه بنعمة حضوره معه. وعلى نفس النمط، نجد "عقيدة النعمة" تتحدى كل الأسئلة عن أسلوب الله في ادارة العالم، فتتخطى البحث عن المسببات الأولى إلى رجاء في خلاص قادم. إن تساءلات أيوب عن أسلوب الله في العالم، لا يتقدم الله عنها بجواب. فهي توضع في إطار أوسع، في دائرة شخصية، في قرينة لا يمكن أن تكون فيها حاجة للتساؤلات.

سابعا: وما يهمنا أكثر من أي شئ آخر في سفر أيوب، ليس خدمة الوعظ ولا المشكلات اللاهوتية، ولا حتى بر أيوب وحياته الكاملة بلا عيب. أهم من كل هذه ـ مع أهميتها ـ هو السير مع الله في شركة حميمة معه، والتمتع بالله في عالمه الذي خلقه، في البر وقداسة الحق.

وهذه المسيرة مع الله لابد وأن تأتي بالكسب، ولو من قلب الخسارة الظاهرة والمعاناة. وهذا ما يعلمنا إياه الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورونثوس. لقد كان يعاني بما يصفه "بشوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني" (٢كو ١٢: ٧). وإلى الرب تضرع ثلاث مرات أن يرفع عنه هذه الشوكة. ولكن الرب كان جوابه له: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل". وهكذا، يستطيع بولس أن يقول: "بكل سرور أفتخر بضعفاتي لكي تحل علي قوة المسيح لأنه حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي"

ثامنا: وأخيرا من الصورة المتكاملة في كافة تفاصيلها، نستطيع ونحن نتأمل عمق المتاعب التي اجتازها أيوب، مع ما صار إليه في النهاية، أن نمتلئ شجاعة وثقة.

فالآلام لابد وأن تنتهي، أما متى ذلك، فلا نعرف. نعم! ستنتهي الآلام، ويقبل إلينا رب العهد، ويحول كل أوجاعنا إلى تسبيحات وهتافات. وهذه كلمة الرجاء من أيوب إلى أولئك الذين في دوامة معاناتهم، ينتظرون بقلق وخوف، وغالبا في عدم ثقة، ويقولون متسائلين: "أين المسيح في دائرة حياتنا؟! أين المسيح في دائرة آلامنا ومعاناتنا؟! "لكن لابد وأن يأتي المسيح. ولنثق بهذا.

وفي موت المسيح على الصليب من أجلنا، نستطيع أن ندرك: الطول، والعرض، والعمق، والعلو لمحبة المسيح الفائقة الفهم. وفي الصليب نرى أيضا، ليس فقط معاناة الله من أجلنا، الإله الذي صلب عنا، بل نرى فيه "ولينا"، و"مخلصنا"، و"فادينا"، و"مصالحنا" الذي يضع يده علينا، ويده الأخرى بالسماوي، ليجمعنا في قبلة المصالحة العظيمة: "لأن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها".

ونعود، لنقول بأن الله لم يعدنا بالتحرر الكامل من الألم في هذه الحياة الدنيا، ولكننا أعطينا الوعد بالنعمة التي تعيننا على احتمال الألم والتجارب والمعاناة. وقد يكون من خطة حياة البعض منا، أن ينالوا الشفاء والتحرر من آلامهم في هذه الحياة، وهناك البعض الآخر الذين عليهم أن ينتظروا التعويض الكامل في السماء الجديدة التي يسكن فيها البر "حيث لا ألم هناك ولا حزن ولا بكاء". وسوف يمسح الله كل دمعة من عيونهم. والحزن لا يوجد فيما بعد، ولكن لنا جميعا هنا، أو هناك، الوعد بالنعمة الكاملة وبشركة الرب المجيد معنا. "فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه. ملقين كل همكم عليه. لأنه هو يعتني بكم. اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان. عالمين أن مثل هذه الآلام تجري على اخوتكم الذين هم في العالم وإله كل نعمة الذي دعانا لمجده في المسيح يسوع بعدما تألمتم

يسيرا هو يكلمكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم. له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين" (١بط ٥: ٦-١١)

قائمة المراجع واختصاراتها ، بالنص الأصلي

Bibliography

F. I. Andersen, *Job* (Tyndale Old Testament Commentary, IVP, 1976).

O. Chambers, *Baffled to Fight Better.* Talks on the book of Job (Marshall, Morgan & Scott, 1931).

D.A. Clines, *Job 1-20* (Word Books, 1989).

S. R. Driver, *The Book of Job in the Revised Version* (Clarendon, 1906).

R. Gordis, *The Book of God and Man.* A Study of Job (University of Chicago Press, 1965).

N. C. Habel, *The Book of Job* (SCM Press, 1985).

A. and M. Hanson, *The Book of Job* (Torch Bible Commentaries, SCM Press, 1953).

J. E. Hartley, *The Book of Job* (Eerdmans, 1988).

E. W. Heaton, *The Hebrew Kingdoms* (OUP, 1968).

E. Jones, *The Triumph of Job* (SCM Press, 1966).

A. S. Peake, *Job* (Century Bible, T. C. & E. C. Jack, 1905).

M. H. Pope, *Job* (Doubleday, 1965).

H. H. Rowley, *From Moses to Qumran* (Lutterworth, 1963).

H. H. Rowley, *Job* (Nelson, 1970).

N. H. Snaith, *The Book of Job* (SCM Press, 1968).

S. Terrien, "Job", *in The Interpreter's Bible, vol.3* (Abingdon Press, 1954).

J. Wood, *Job and the Human Situation* (Bles, 1966).

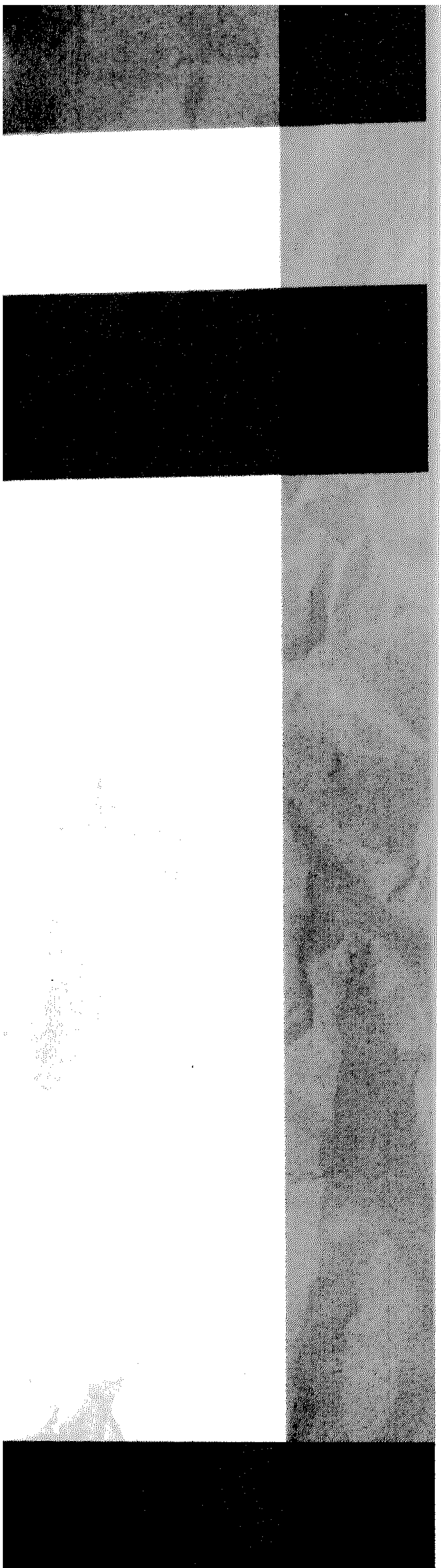
ملاحظات

ملاحظات

ملاحظات

ملاحظات

ملاحظات



David Atkinson

الكتاب المقدس يتحدث اليوم

BST

The Bible Speaks Today

سفر أيوب

هذا الكتاب

إن الألـم ـ كحقيقة واقعـة في عالمنا، إنما يواجهنـا ويتحدنا بوابل من التساؤلات المؤرقة، فيأتي سفر أيوب، بإجابة مميزة عن مشكلة الألم الإنساني . .

حيث فيه نقابل رجلاً قد أبتلى أدبياً و مادياً . . كما نتقابل مع أصدقائه، الذين بذلوا معه قصارى جهودهم، دون جدوى . . كما نجد أنفسنا وجهاً لوجـه مع ألغاز تحيّر العقل . . و فوق كل هذا، وبسبب كل هذا، نكتشف أن " أيوب " في صراع رهيب مع إيمانه بالله .

والمفسر هنا " ديفيد أتكنسون " يقدم تفسيراً يوضح قوة وعظمة سفر أيـوب، من خلال تطبيقه على حالتنا الإنسانية الراهنة، و ربطه باحتياجاتنا الإنسانية الحالية، حيث الألم و المعاناة .

إن سفر أيـوب يمنـح المتألميـن نوعاً عجيباً من الراحة الداخلية، النابعة من أن إنساناً آخر مثلنا قد اجتاز نفس الآلام . . وبالتـالي، فالمفسّر قد جعل من هذا السفـر، مرجعاً للخدمة الرعويـة، و مساعداً لخدمـة المشـورة . . إن هذا الكتـاب ليس فقط للألـم و المعاناة، بل للشفـاء و الراحة للألم الذي داخلنا، و للمتألمين من حولنا .




دار النشر الأسقفية